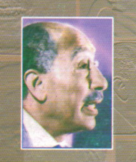
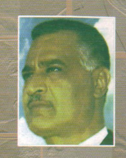
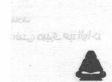
سهام ذهنى

# من أيـــام عبد النـاصر والسـادات


# من
# أيام عبد الناصر
# والسادات

سهام ذهنى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٣

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى: صبرى عبد الواحد

# الإهداء

## إلى صلاح عجارمة



# المقدمة

## دعاء الكروان

المشهد ثابت فقط فى الصور، لكنه متغير مهما طال فى الحياة.
الدوام ليس سوى لله، والملك له، والأمر له.

لست فى حلقة للذكر كل ما فى الأمر أننى قد وجدت نفسى أتساءل بعد أن انتهيت من جمع مادة هذا الكتاب حول ما الذى شغلنى خلال رحلة البحث، هل السياسة أم الإنسان، هل التاريخ أم الزمان، أم أرجوحة السلطة والسلطان. أم بالتأمل حول كل هذا.

وكأن تأملى فى سكون الليل قد اندلع عبره صوت مجلجل لكروان يردد:

الملك لك، لك، يا صاحب الملك.

الدوام لك.

أما الإنسان فمهما بلغ من عمر وصولجان فإن أحدا لا يستطيع أن يجعل شيئا يدوم له على مر الزمان.

لا السجن دائم للمظلوم، ولا يدوم على الجانب الآخر السلطان.
لا الفرح دائم ولا الأحزان.

فكل حدث فى الحياة تعقبه أحداث، مثلما تدور فى الملاعب أية كرة ومثلما تدور على مر الزمان الأرض.

إن ما أقدمه فى هذا الكتاب هو حوارات حول ذكريات، أو هى ذكريات عبر حوارات، وهى بالطبع تستدعى التأملات مع ما تتضمنه من تنويع للآهات.

الأولة آه

والثانية ثورة.

الثالثة سلطان ودولة

والرابعة جاه

الخامسة آه.

-وياه

هل ابتعدت عن تقديمى للكتاب. الحقيقة لا.

فالحوارات التى سجلتها على صفحات هذا الكتاب تضم ملامح من كل هذا خلال مشاهد من أيام عبد الناصر والسادات.

لا أهداف من تلك التسجيلات إلا مجرد سرد لوقائع وأيضا لا أهداف إلا مقارنة شهادات متضاربة حول حدث معين. إنما ما أحرص عليه هو مزج الأحداث والوقائع بالإنسان، وبالزمان لأن هذا كما نقول عادة ببساطة هو حال الدنيا.

## السجن والحرية

فصحيح مثلا أننى أسأل فى أحد الحوارات د. ميلاد حنا عن الفترة التى قضاها فى السجون خلال اعتقالات سبتمبر الشهيرة، لكن الجانب السياسى ليس وحده هو ما يشغلنى، بل أيضا الملامح الإنسانية كتلك اللمسات التى سجلتها معه حول «اللورد» و«الباشا» أو «محمد حسنين هيكل»، بكل ما اشتهر به من أناقة، و«الباشا فؤاد سراج الدين»، بكل ما هو معروف عنه من ثراء وعراقة، وكيف تأقلمت القضبان مع تلك الصفات أو كيف تقلمت أظافر تلك الصفات خلف الأسوار، كمحاولة لرسم صورة طبيعية لأحوال البشر أمام ما تأتى به الأيام مما ليس على البال، وإذا بالأيام تبدو وكأن لا دور لها سوى أن تجر ما يليها من أيام إلى حين تعلن الدنيا عن تلك الدورة الأزلية التى تتلخص فى أمر يغفله من يغرق فى أحداث اليوم الحالى، ناسيا أن كل حدث مآله إلى زوال، وهى تأملات لم يسجلها د. ميلاد حنا بلهجة خطابية مباشرة، وإنما تركها تتسلل من خلال ذاكرة تملك عينا تجيد الالتقاط ثم تضع الصور التى تم التقاطها داخل بناء هندسى متناسق مما ترتب عليه أن ينقل لنا الذكريات من خلال الشخصيات التى تعامل معها وراء القضبان عبر

بناء جديد لصور نرى أبعادها بوضوح وشمول ونحن ننظر إليها من بعيد بعد أكثر من عشرين عاما، حيث ذابت أشياء مع مرور الوقت، وترسبت فى الوجدان أشياء هى العميقة والجديرة بالتسجيل. فنسجل بذلك مواقف للتاريخ، ونأخذ العبرة من مواقف أخرى، ولا ننسى أن نضحك. فكثير مما كان قاسيا فى وقته قد صار اليوم مادة للضحك الذى يمنحه الله لنا فيساعدنا على أن نتجاوز المرارة، وإن كانت المرارة نفسها ليس من السهل أن نتجاوزها عندما ننقل مشاهد أخرى من السجن خلال تلك الفترة، لكن الرواية فى هذه المرة كانت للسجينات السياسيات، فليس من السهل تجاوز المرارة ونحن نرى مع الكاتبة الكبيرة صافيناز كاظم مشهد قدوم رجال الشرطة لاعتقالها فى الليل، بينما هى وحدها فى البيت مع ابنتها الصغيرة فى ذلك الوقت «نوارة»، وإذا بها لا تجد ما تفعله سوى أن تترك الصغيرة عند الجيران، ولقد كان الشاعر «أحمد فؤاد نجم» والد نوارة هو أيضا سجينا سياسيا. كذلك تظل المرارة هى السائدة مع ما ترويه «فريدة النقاش» عندما استمرت فى السجن خلال اعتقالات سبتمبر، التى كان زوجها الكاتب الصحفى حسين عبدالرازق هو أيضا أحد المقبوض عليهم فيها. فقضى أبناؤهما تلك الأيام بدون الأب والأم.

ومع تكرار حرمان الأبناء من الأمهات فقد أرسلت صافيناز كاظم للرئيس حسنى مبارك رسالة بمجرد توليه الحكم أشارت له فيها إلى اثنين من المعتقلات تهمتهما أنهما زوجتان لمتهمين فى تنظيمات دينية دون أن تكون للزوجات أية صلة بأى اتهام، وكانت إحداهما حاملا والأخرى نزعوها من رضيعها الذى تم فطامه بالقوة الجبرية من الرضاعة ومن حضن الأم لمجرد أن هناك اتهاما موجها للأب.

وأنا أعتقد أن هذه الذكريات الإنسانية وغيرها مما قالته

السجينات السياسيات فى سبتمبر عام ١٩٨١ والتى قمت برصد بقيتها مع د. عواطف عبد الرحمن، ود. لطيفة الزيات، وأمينة رشيد هى تفاصيل شديدة العمق، لذلك كنت حريصة بشدة على أن أضمها فى كتابى هذا، وعندما فشلت فى العثور عندى على أعداد مجلة سيدتى التى مضى عليها حوالى العشرين عاما عند نشر تلك الحوارات عقب الإفراج عن السجينات، فقد لجأت إلى زميلتى «ماجدة عفارة» باعتبارها كانت السكرتيرة الناجحة لى بمجلة سيدتى، عندما كنت مسئولة تحرير المجلة فى مصر. وما أن اتصلت بها وسألتها عن إمكانية عثورى على تلك الأعداد حتى جاءت لى بما طلبته بعد أن بحثت بهمة وحرص ووفاء لا أملك أمامه سوى كلمات الشكر الكبير لها من أعماق قلبى.

أما بقية الحوارات فكان حصولى عليها أسهل فمعظمها حديث ومنشور فى صحف ومجلات أعدادها متوفرة عندى، وهى جريدة «الاتحاد»، ومجلة «صباح الخير»، و«سيداتى سادتى» وجريدة «العربى».

## يوم اغتيال الرئيس

نعود إلى الأيام التى أعقبت اعتقالات سبتمبر الشهيرة وما تلاها من اغتيال السادات فيطل أمامى حوار لى مع د. صوفى أبو طالب الذى صار وقتها رئيسا لمصر على مدى ثمانية أيام عقب أعجب مفاجأة شهدتها دراما المد والجزر والملك الذى يؤتيه الله لمن يشاء، وينزعه ممن يشاء. فلقد تم نزع الحكم من الرئيس السادات فى واحدة من أكثر مشاهد التاريخ المصرى الحديث إثارة وتدفقا..

وإذا بالدكتور صوفى أبو طالب يزهد ويذهب إلى بلدته لينام ببدلته الكاملة فوق «قش الأرز» مستمتعا بالاسترخاء فى الهواء، ناظرا إلى السماء، متبينا حلاوة صوت الفلاح المندمج فى الغناء خلال قيامه بدرس الأرز، وكان رئيسا لم يتم اغتياله منذ أسبوع،

أو كأن الفلاح هو سلطان زمانه تصديقا للقول بأن السلطان هو البعيد عن السلطان، وعندما يعقب الحوار مع من زهد فى السلطة حوارا مع السيدة جيهان السادات أول قرينة لرئيس مصرى تحمل لقب سيدة مصر الأولى، والتى ظلت بعد رحيل اللقب محتفظة بعلاقات مع السيدات الأول فى أمريكا، فلابد أن أذكر أننى قد شعرت بالحيرة حول هل من المفروض فى هذا الكتاب الذى تغلب عليه الحكايات أن أكتفى بنقل حكاية مشهد اغتيال السادات على لسان السيدة جيهان بكل أهمية الزاوية التى وضعت فيها الكاميرا التى تنقل بالكلمات المشهد فى بيت السادات طوال يوم الاغتيال أم أن أضع فى الكتاب بقية حوارى معها، والذى جاء فى صورة أسئلة تضمنت إجاباتها عليها مقارنة بينها وبين جاكلين كنيدى باعتبارها زوجة لرئيس سبق اغتياله وتربطها بها علاقة صداقة، كما تتضمن آراءها فى «هيلارى» سيدة أمريكا الأولى وقت إجراء الحوار وموضوع الساعة فى ذلك الوقت، وهو فضيحة مونيكا وكلينتون، وأيضا حكاية ديانا وتشارلز مما استدعى التعليق على الخيانة الزوجية عند أهل القمة.

فهل فى هذا ما يتعارض مع دراما ما روته السيدة جيهان حول مشهد الاغتيال، أم أنه مكمل لمشهد الحياة التى تستمر ولا تتوقف برحيل من يرحلون.

كما سألت نفسى أيضا هل أضم للكتاب بقية الحوار مع السيدة جيهان السادات والذى تروى فيه شكل حياتها الحالية فى الفترة التى تقضيها سنويا فى أمريكا وأنها تقوم هناك بطهو الطعام بنفسها، وخاصة البطاطس والأرز والبوفتيك وقولها أنها تجيد عمل الكنافة، وأنها تدعو جيرانها الأمريكان على الطعام الذى تصنعه بيديها.

هل فى هذا ما يقطع سياق الحكايات، أم أن حال الدنيا هو ما

أسعى إلى تسجيله، وأن التفاصيل الإنسانية أو الطبيعية أو اليومية هى ما يكمل المشهد الجاف.

## يوم وفاة الزعيم

مازلت أفكر بصوت عال، وأسجل على الورق ما فكرت فيه عند انتقاء ما أجمعه لاستكمال مادة هذا الكتاب، الذى لم أتردد فى أن أبدأه بوفاة الرئيس عبد الناصر، ليس حرصا فقط على تسجيل الشهادة التاريخية لطبيبه الخاص الدكتور «الصاوى حبيب» الذى خرج عن صمته عبر حوارى معه، ليس هذا هو ما حرصت عليه فقط بالرغم من أهميته، فأنا فى كتابى هذا لا أحاول القيام بدور المحقق الذى يبحث ويقارن، وإنما أنا أحرص على القيام بدور من يرصد، والرصد هنا ليس فقط بعدسة واحدة زووم تقوم بتقريب البعيد وإنما معها عدسة شاملة (وايد انجل) تنقل فى أحد جوانب الصورة من يتدثر بغطاء لاتقاء البرد لكنها تنقل أيضا فى جانب آخر من الصورة من لا يجد ما يحصل به على الدفء سوى بإشعال نيران.

لذلك فإننى إذا كنت عن طريق الكتابة بالعدسة الشاملة قد قدمت أيام اغتيال السادات من داخل السجن وعلى المنصة وفى بيت الرئيس السادات وفى بيت الرئيس المؤقت د.صوفى أبوطالب فإننى أيضا عندما نجحت فى إقناع د.الصاوى حبيب طبيب الرئيس عبدالناصر بتسجيل شهادته حول كيف مات جمال عبدالناصر؟، وهو السؤال الذى مازال يثير الخلاف حتى اليوم. إلا أننى قد حرصت مع د.الصاوى حبيب على أن أنقل منه أيضا تفاصيل حول كيف عاش جمال عبدالناصر عقب هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧، وتأثير الأحداث السياسية والعسكرية على حالته الصحية، مثل اكتشاف أول جلطة له عقب إنزال إسرائيل لقوات لها فى حرب الاستنزاف، ومثل مرض السكر الذى أصبح من الصعب السيطرة عليه بسبب

الانفعالات. وفى الوقت ذاته كنت مشغولة بأن أسجل كيف كان جمال عبدالناصر ينسى آلام ساقيه ويخالف التعليمات الطبية التى تحتم عدم الوقوف طويلا، لكنه كان يقف ويسعد رغم الآلام الجسدية عند الوقوف وذلك من أجل عيون الجماهير الذين كان يحتضنهم بعيونه ويستمد القوة من التفافهم حوله.

ففى الكتاب كما قلت تأمل فى الإنسان وتأمل فى السلطة وتأمل فى الأيام وتأمل فى المواجهة بين الإنسان والزمان عندما يأتى بما ليس فى الحسبان سواء فى الصحة أو فى العمر أو فى صعود وهبوط ترمومتر الجاه والقوة والسلطان.

لذلك فعندما حرصت على أن يتضمن كتابى هذا حوارا لى مع د.عبدالقادر حاتم فان هذا لا يعود إلى اهتمامى فقط بما ذكره عن عبدالناصر التلميذ بمدرسة العطارين الابتدائية الذى كان يشارك فى المظاهرات، أو بما ذكره عن صراع الرئيس السادات مع مراكز القوى فى «١٥ مايو»، ثم ما رواه من أسرار حول حرب أكتوبر، لكننى حرصت أيضا على نشر هذا الحوار لما تضمنه من لمسة عبرة جميلة عندما روى لى د.عبدالقادر حاتم عن حياته الشخصية وإصابته فى حادث سيارة خلال شبابه، وإذا بصبره على هذا الابتلاء وإيمانه بأن لله حكمة فى كل ما يمر به الإنسان. إذا بهذا الإيمان يجعل من تلك الفترة تتضمن ما يجدد مسار حياته إلى الأفضل.

كذلك السيد حسين الشافعى الذى لى معه حوارات طويلة لم أحرص فقط على أن أنشر منها ما له صلة بالرئيس عبدالناصر والرئيس السادات والثورة لمجرد أن الكتاب يحمل اسم «من أيام عبدالناصر والسادات»، وإنما أحرص أيضا على أن أسجل من حواراتى مع عضو مجلس قيادة الثورة والنائب الأسبق لعبد الناصر والسادات، أحرص على أن أسجل فى الكتاب ما يتعلق

بالملامح الإيمانية العميقة فى شخصية هذا الرجل الذى عاش الثورة والسلطة وأجاد التأمل فى كل ما يحيط بهما.

أما الحوار مع الفنان «حسن دياب» المصور الخاص للرئيس جمال عبدالناصر فليس ما أهدف إليه من ضمه إلى هذه المجموعة من الحوارات هو مجرد أن أنقل على لسانه مواقف له مع عبدالناصر ومع السادات وإنما لأننى أقرأ بين سطور الحوار كيف أن أحداثا تاريخية تهز الدنيا وتزلزل الكيان، إذا بها تمر ككل ما يمر فى الحياة، ثم تبقى منها صور للذكرى.

كذلك اختيارى للحوار مع المهندس «مشهور أحمد مشهور» الأب الروحى لقناة السويس، صحيح أننى اخترته لما يحتويه من كم هائل للحكايات الجديدة عن عبدالناصر وعن السادات، لكن لأنه فى الوقت ذاته حديث يشرح الصدر بما يحويه من حكاية إنسان بسيط كان حلمه ذات يوم هو أن يعمل - مجرد أن يعمل - بهيئة قناة السويس، فأصبح رئيسا لها، وكان وصوله إلى ذلك نتيجة لعمله وإخلاصه وحبه، وإذا بتاريخه داخل هذا المرفق الحيوى يجعله شاهدا على أحداث تاريخية أبطالها هم قمة السلطة فى مصر، وهى أحداث رواها عبر قصص جذابة وحكايات مثيرة.

كنت أستمع إليه باهتمام وهو يرويها، وكنت فى الوقت ذاته أستمتع. مثلما سمعت واستمتعت بكل ما سجلته من حكايات عبر الحوارات التى ضمها هذا الكتاب.

وعندما نظرت من بعيد لحالتى وأنا مستغرقة فى تأمل تلك الحكايات إذا بى ألاحظ أن كل شىء فى هذه الدنيا ما هو إلا حكاية. يختلف الأبطال فيحمل بعضهم صفة الشخصيات المهمة أو حتى صفة الرؤساء، لكن ما يجرى فى حياة كل البشر هو حكاية، كتلك الحكايات التى كانت ترويها لى جدتى «نفيسة» والدة أمى «سناء عبدالعظيم نبراوى».

لقد كانت إحدى أجمل الأوقات فى طفولتى هى تلك التى أقضيها إلى جوار جدتى «نفيسة» فى شرفة منزلها المطلة على محطة للقطار فى «مصر العتيقة». حيث كانت جدتى تروى وأنا أسمع، وكان نسيم ليالى الصيف الخالية من الرطوبة فى ذلك الزمان كأنه يعزف لحنا ناعما مصاحبا للحكايات التى ترويها جدتى، مع ذلك فقد كان الاسترسال فى الحكايات، عادة ما يقطعه صوت مرور القطار بدبدبته الرتيبة عند قدومه من بعيد، والتى تتحول بسرعة إلى دوى مجلجل وما أن يتوقف الدوى حتى تعود الدبدبة بطيئة ثم تصبح أسرع مع تحرك القطار من جديد إلى حيث لا نعد نرى ذلك القطار ولا نسمع له صوتا.

ويظل المشهد يتكرر، تروى جدتى وأذنى معها، بينما عيناى على رصيف المحطة حيث يأتى قطار فينزل منه ناس ويصعد إلى داخله آخرون، ثم يليه قطار، ويتكرر مجىء القادمين ورحيل المغادرين. كدنيا زمانها لا يتوقف والوجوه التى فيها لابد أن تتغير. ضجيج عند الوصول، وصمت يعقب الرحيل.

انتظار ومجىء وفراق

اقتراب وابتعاد. وتراب

**سهام ذهنى**

**القاهرة ١١ - ١١ - ٢٠٠٢**



# كيف مات جمال عبدالناصر

**د.الصاوى حبيب الطبيب الخاص للرئيس الراحل والشاهد الوحيد على لحظة الوفاة يروى:**

- **جمال عبدالناصر توفى بالصدمة القلبية**
- **قال لى صباح يوم وفاته: فى نهاية هذا النهار سأكون «فاضى» وآخر ما قاله: الآن أنا استرحت**
- **عبدالناصر ظل محتفظا بكل طاقته العقلية حتى لحظة الوفاة**
- **عندما علمت قرينته بوفاته أصيبت بنوبة قلبية**
- **لو كانت هناك عناية مركزة وقت وفاة عبدالناصر لما تغيرت النتيجة**
- **عندما كان هيكل يسألنى عن صحة عبدالناصر كنت أجيبه بإجابة تحتمل عدة معان**
- **أول جلطة أصابت الرئيس عبدالناصر كانت عقب إنزال لقوات إسرائيلية على شاطئ البحر الأحمر فى حرب الاستنزاف**

■ مارس ١٩٩٩

أخيرا استطعت إقناع الشاهد الوحيد على وفاة الرئيس جمال عبدالناصر بالخروج عن صمته.

إنه د. الصاوى حبيب الطبيب الخاص للرئيس عبدالناصر الذى كان ثالث ثلاثة داخل غرفة نوم الرئيس عبدالناصر وقت الوفاة هو والدكتور منصور فايز والدكتور زكى الرملى اللذان انتقلا إلى رحمة الله، فأصبح د. الصاوى حبيب هو الشاهد الوحيد.

مع ذلك مازال د. الصاوى حبيب مبتعدا عن الضجيج وملتزما الصمت كعادته، فى حين تحدث الكثيرون عبر صفحات الجرائد على مدى الثلاثين عاما الماضية عن الوفاة دون أن يكونوا قد حضروها.

ثم عادت مؤخرا حكاية وفاة الرئيس عبدالناصر من جديد تتصدر بعض الصحف والمجلات.

وبعد صبر طويل منى، وصمت طويل منه تكلم، فروى الحقيقة بالتفصيل كما رآها بعينيه من داخل غرفة نوم الرئيس جمال عبدالناصر فى يوم الوفاة منذ حوالى الثلاثين عاما وبالطبع وجدت لديه الكثير.

## من غرفة نوم الرئيس عبدالناصر

عندما بدأت الذكريات تنساب على لسان الدكتور الصاوى حبيب شعرت فى صوته برنين يوحى بأن السنين لم تمر، وبأن الأنين يملك أن

يرقد فى الأعماق أبعد بكثير من كل ما يسر، وأن للحنين سطوة مهما مضى من عمر.

كانت تلك مشاعرى وهو يتحدث، أما كلماته فكانت كما يلى:

فى صباح يوم وفاة الرئيس عبدالناصر كنت قد ذهبت للكشف عليه كما هو المعتاد يوميا. وكان هو قد عاد للإقامة فى منزله بمنشية البكرى بعد أن كان مقيما فى فندق النيل هيلتون مع وفود مؤتمر القمة العربية الذى بذل خلاله مجهودا جبارا كما هو معروف عقب الأحداث المؤسفة ضد الفلسطينيين فى الأردن.

دخلت عليه فى الساعة الحادية عشرة والثلث فى الصباح حيث كان يستعد للذهاب إلى المطار من أجل توديع ضيوف مؤتمر القمة، وكان من المقرر أن يستريح بعد ذلك خلال أجازة يحصل عليها فى مكان لم يكن قد تم تحديده بعد.

وبالكشف عليه فى ذلك الصباح وجدت ضربة عشوائية أو ضربتين فى رسم القلب. وهذا قد يؤخذ على أنه تعب أو إرهاق.

وأتذكر أن مثل تلك الضربات كانت تظهر فى رسم القلب له عندما يكون مرهقا. لذلك فقد قلت له بعد الانتهاء من الكشف أن الأجازة أمر ضرورى جدا له من الناحية الصحية.

وأتذكر أنه قد قال لى بالنص أنه فى نهاية هذا النهار سيصبح «فاضى» على حد تعبير الرئيس عبدالناصر.

ولقد كان نظامنا المعتاد هو أن أذهب إليه كل صباح. أما فى المساء فلا أذهب إلا إذا تم استدعائى. ولقد تم استدعائى إلى منزل الرئيس عبدالناصر بالفعل بعد ظهر ذلك اليوم.

وبمجرد وصولى بادرتنى السيدة قرينته ولم تكن معتادة على حضور الكشف عليه لكنها فى ذلك اليوم بادرتنى بقولها أنه قد شعر بتعب فى المطار بعد توديع الضيوف. كما ذكرت أنها قد قدمت له كوبا من عصير البرتقال.

ويواصل د. الصاوى حبيب: بعد كلمات السيدة قرينته دخلت إليه فى غرفة نومه، وجدته مستلقيا على فراشه كالعادة، لكنى لاحظت بسرعة وجود عرق بارد على جبهته، كما أن أطرافه كانت باردة، وأيضا النبض

كان سريعا جدا ومحسوسا، وكان الضغط منخفضا.
كان من الواضح أن الموضوع خطير.

## صدمة قلبية

فى الحال قمت بعمل رسم قلب، فوجدت العلامات التى تشير إلى وجود سرعة شديدة فى ضربات القلب مع بداية جلطة فى الشريان التاجى، وكانت هذه هى المرة الثانية خلال عام التى يصاب فيها بجلطة فى الشريان التاجى. فى الحال استدعيت الدكتور منصور فايز كما اتصلت بعد قليل بالدكتور زكى الرملى.

وقد حضر د. منصور فايز ومن بعده حضر د. زكى الرملى، وكان من الواضح أن الموضوع يتعلق بالصدمة القلبية، وقد مات جمال عبدالناصر من الصدمة القلبية التى تحدث عندما يؤثر الانسداد فى الشريان التاجى على أكثر من ربع أو ثلث عضلة القلب، وفى هذه الحالة لا يجدى أى شىء.

وعلامات الصدمة القلبية هى انخفاض الضغط، وسرعة ضربات القلب، ووجود العرق، ووجود برودة فى الأطراف، وبعض أنواع الصدمة القلبية تقلل من الدم فى المخ أو فى الكلى، لكن لم تكن تلك العلامة موجودة عنده، وظل متنبها تماما لما حوله، مع ذلك فقد كان واضحا أن الموضوع فى غاية الخطورة.

بالطبع أخذ الأوكسجين، كما أخذ الأدوية المتعارف عليها فى هذه الأحوال، لكن كان قد حل الميعاد، ولا راد لقضاء الله، ولقد توفى إلى رحمة الله فى وجودنا نحن الأطباء الثلاثة فقط.

■ ألم يكن فى الغرفة أى شخص آخر؟

- لم يكن فى غرفة نومه عند الوفاة إلا نحن الثلاثة، فى البداية كنت أنا وحدى بناء على استدعائه لى، ثم وصل الدكتور منصور فايز بعد حوالى ثلث ساعة، ثم وصل الدكتور زكى الرملى بعد حوالى نصف ساعة، وكانت المدة ما بين وصولى أنا إليه وما بين لحظة الوفاة هى حوالى الساعتين.

■ ذكرت لى أن حالة الرئيس عبدالناصر فى صباح يوم الوفاة كانت

عادية، وفى اليوم نفسه توفى فى المساء، فهل من المعتاد أن تحدث الصدمة القلبية فجأة؟

- هى لا تحدث إلا فجأة.

■ وما هى قصة السيارة التى قيل أنها كانت مجهزة لإسعاف الرئيس، والتى كانت تقف باستمرار أمام منزله، بينما لم يحاول أحد استخدامها يوم الوفاة؟

- كان يرافق الرئيس عبدالناصر فى تحركاته عربة إسعاف يتناوب عليها طبيبان من أطباء رئاسة الجمهورية، وهذه السيارة مجهزة لنقله عند حدوث طارئ بالإضافة إلى مرافقة ركبه خارج البيت.

■ وما الهدف من مرافقة سيارة للركب، هل لمواجهة أن يتعرض الرئيس للتعب أم لماذا؟

- أكثر شىء كانت السيارة مطلوبة من أجله هو فى حالة وقوع اعتداء على الرئيس، فيكون هناك إسعاف سريع.

■ هل كان من المفروض فى يوم الوفاة الاستعانة بمعدات من تلك السيارة المتواجدة أمام منزل الرئيس؟

- أدوات الإسعاف سواء كانت حقنا أو أوكسجين وأدوات أخرى عديدة موجودة باستمرار فى الغرفة بمنزله. وكلها كانت موجودة بالمنزل يوم الوفاة وتمت الاستعانة بها من داخل المنزل.

■ هل كان من المفروض نقل الرئيس بتلك السيارة إلى مستشفى؟

- وحدات العناية المركزة لم تكن موجودة فى ذلك الوقت بالقاهرة، وتلك الوحدات مهمة لمقاومة مضاعفات انسداد الشريان التاجى. أما فى حالة الصدمة القلبية التى مات بها الرئيس عبدالناصر فمن الصعب جدا، بل وفيما أعرف لم يحدث أن نجا أحد منها، لأن فى هذه الحالة لايعمل ربع أو ثلث عضلة القلب، فلا يوجد حل. فحتى لو كانت هناك عناية مركزة وقتها فإنها لاتسعف حالته. لذلك لم يكن الانتقال للمستشفى سيؤدى إلى نتيجة مختلفة. وإلى حين وفاة الرئيس عبد الناصر كانت فى مصر عناية مركزة وحيدة فى الإسكندرية. وكان جمال عبدالناصر قد تبرع للدكتور محمود صلاح الدين بمبلغ من المال لإتمامها. وأكرر حتى لو كانت هناك عناية مركزة فى القاهرة لتوفى

أيضا جمال عبدالناصر نتيجة الصدمة القلبية التى لايجدى معها شيء إلا المعجزة الإلهية.

■ هل تتذكر آخر ماقاله الرئيس عبدالناصر قبل أن يخرج السر الإلهي؟

- قبل وفاته بدقائق معدودة لاحظت أنه يتحرك ثم يعتدل فى فراشه، فقلت له: سيادتك لابد أن تستريح ،لكننى وجدته يريد الاستماع إلى نشرة الأخبار . لماذا؟ لا أحد يعرف، فهو لم يفصح عما كان يقلقه ويريد أن يستمع إليه فى نشرة الأخبار.

وبعد انتهائه من سماع النشرة، قلت له: لقد انتهت النشرة وسيادتك يجب أن تستريح . وإذا به يقول لى: أنا الآن استرحت، وتوفى فى الحال.

■ وهل أراد الاستماع إلى نشرة الأخبار فى الوقت الذى كانت حالته حرجة جدا؟

- نعم.

■ وهل مسموح له أن يستمع إلى نشرة الأخبار بالرغم من حالته الحرجة؟

- المذياع إلى جوار فراشه مباشرة.

■ هل هو الذى فتح المذياع بنفسه؟

- نعم

■ معنى هذا أنه كان يتحرك إلى ماقبل الوفاة بدقائق.

- نعم، وكان محتفظا بطاقته العقلية كاملة حتى لحظة وفاته.

ولقد ذكرت عقب الوفاة تفاصيل ماجرى فى تلك الساعات الحرجة للأستاذ محمد حسنين هيكل الذى كتبها بدقة شديدة فى مقاله بالأهرام عقب الوفاة، فكنت مصدرا للمعلومات نقلت إليه كل ماحدث.

## قلب قرينة الرئيس

■ من هو أول شخص تم إبلاغه بالوفاة؟

- على ماأذكر أن السيدة حرمه كانت موجودة خارج الغرفة. وعندما علمت بالخبر حدث لها هى نفسها اضطراب فى ضربات القلب يتسم بالسرعة الشديدة. وكانت هذه النوبات تعاودها بين حين وآخر. ولقد قضيت معها عقب الوفاة فترة لا تقل عن ساعتين أو ثلاث لمتابعة

حالتها.

■ وهل كانت هي أيضا مريضة بالقلب؟

- لا. فما حدث لها وقتها لايعتبر مرضا. فنوبات سرعة ضربات القلب من الوارد أن تصيب الإنسان أحيانا بصرف النظر عن سببها، وهل هو وراثي أم غير وراثي نتيجة للتوتر مثلا، ولقد كان انفعالها الشديد أمام خبر وفاة الرئيس عبدالناصر سببا لتلك النوبة وقتها.

■ قيل إن هناك أطباء آخرين قد جاءوا عقب وفاة الرئيس عبدالناصر فهل هذا صحيح؟

- الأمر الذى أنا متأكد منه تماما هو أن أحدا لم يحضر لحظة الوفاة إلا د. منصور فايز ود. زكى الرملى رحمهما الله وأنا. أما بعد الوفاة مباشرة فلقد كنت أتابع حالة السيدة الفاضلة قرينة الرئيس لمدة ساعتين أو ثلاث، لذلك لم أشعر بمن جاءوا عقب إعلان الوفاة.

■ قيل إن هيبة الرئيس عبدالناصر قد جعلت الأطباء يضطربون فيخطئون فى تقديم العلاج له. فما تعليقك؟

- الأطباء الثلاثة الذين حضروا الوفاة اعتاد واحد منهم وهو أنا على رؤية الرئيس عبدالناصر يوميا وأحيانا أكثر من مرة فى اليوم كما اعتاد د. منصور فايز ود. زكى الرملى على رؤيته أسبوعيا مرتين أو ثلاثا فمن البديهى أن يكونوا قد اعتادوا على الرئيس عبدالناصر، وليس مثل طبيب غريب يراه لأول مرة.

■ هل د. الصاوى حبيب كان يتعامل مع جمال عبد الناصر باعتباره مريضا أم باعتباره رئيسا للجمهورية؟

- أنا أمام مريض رئيس جمهورية وهو بالرغم من شخصيته الجادة إلا أن الاقتراب منه كان أمرا جميلا جدا. فالمقابلة معه تتم بدون أى تكلف، ولم أسمعه أبدا يقول كلمة غير طيبة لأى موظف يعمل معه ولا حتى لأى ساع.

## الاقتراب من عبدالناصر

ثم يحكى د. الصاوى عن ملامح من شخصية الرئيس عبدالناصر كما لمسها من خلال التعامل معه ويبدؤها بأنه كان منظما إلى أقصى درجة

فيروى قائلا:

كان جمال عبدالناصر عندما يستيقظ من النوم يدق جرسا، فلا يدخل الساعي ليسأله عما يريد، وإنما يدخل وهو يحمل الشاي وملعقة عسل. بعد أن ينتهي من شرب الشاي يدق جرسا ثانيا، أيضا لا يدخل الساعي ليسأله، وإنما يدخل إليه ثم يقف فقط فيطلب منه جمال عبدالناصر أن يدخل الدكتور.

ويضيف د. الصاوي: بعد أن أدخل وأؤدي عملي يدق الجرس الثالث بمجرد خروجي من الغرفة. وهذا الجرس معناه مفهوم وهو أنه سيترك الغرفة، وبالتالي يدخل اثنان لتنظيم الغرفة، بعد ثلث ساعة بالضبط يكونان قد انتهيا من عملهما مع وضع الملابس المطلوبة على الفراش، فيغير ملابسه ويستلقي.

الجرس الرابع يدخل إليه طعام الإفطار، وهو في الغالب لايتجاوز الجبنة البيضاء مع خبز وأحيانا قليلا من الفول.

هذه عملية أتوماتيكية لا تتغير أبدا.

وإذا كان هو منظما إلى أقصى درجة، فإن الأمر عندي مختلف إلى درجة أنني كنت عادة ما أنسى نظارتي الطبية في غرفة نومه، فأصبح من المعتاد قبل خروجي من الغرفة أن يناديني الرئيس عبدالناصر ويشير لي في الاتجاه الذي تركت فيه النظارة قائلا لي: النظارة هناك ياصاوي.

وفي مرة قال لي: لماذا لاتضع النظارة في مكان لا يتغير كي لاتنساها. ثم بادرني بسؤال هو: هل تعرف ما فائدة وضع النظارة في مكان معين؟ فكان ردي هو أن أكون منظما. فعلق على إجابتي قائلا: ليس النظام هو المهم، وإنما الفائدة التي تترتب على النظام، وهي ألا يرهق الإنسان ذهنه في الأشياء البسيطة، وإنما يجدها بصورة أوتوماتيكية دون تفكير من أجل توفير التفكير للأشياء المهمة.

## ذاكرة فوتوغرافية

بعد هذه الحكاية الجميلة التي تشير إلى بساطة عبدالناصر وفي الوقت نفسه تشير إلى تأمله الفلسفي في أبسط الأمور الحياتية، يتناول د. الصاوي حبيب ملامح أخرى من شخصية الرئيس عبدالناصر كما لمسها

من اقترابه منه. فيذكر أنه كان يتمتع بذاكرة حديدية ويروى د. الصاوى الحكاية التى لاحظ هذا من خلالها قائلا:

هناك نوع من الذاكرة يفرض على صاحبه أن يقرأ ورقة بالكلمة وهناك من يقرأها بالسطر، وهناك من يلقى نظرة على الصفحة فتطبع فى ذهنه.

ويضيف: لماذا أقول هذا الكلام؟ أقوله لأننى كنت قد أعطيته تقريرا عن حالته الصحية بعد أن عملت معه لمدة ستة أشهر، وعندما قدمت إليه التقرير تصفحه بسرعة إلى درجة أننى اعتقدت أنه لم يقرأه، فالوقت فى نظرى لم يكن كافيا للقراءة.

لكن بعد حوالى ثلاثة شهور فوجئت به يخبر طبيب السكر الدانماركى د. بولسون ببعض محتويات التقرير حيث كان الدكتور بولسون يتحدث معه عن مضار التدخين بالنسبة له. فرد عليه أن الدكتور الصاوى قد كتب هذا الكلام فى تقرير له عن حالتى منذ فترة.

فأدركت لحظتها أن التصفح الذى رأيته يتصفحه للتقرير كان كافيا بالنسبة له لقراءة التقرير بالكامل.

## بلا راحة

إذا كان ما رويته يوضح ملامح من شخصية عبدالناصر كإنسان فما هى ملامح شخصيته كمريض كما لمستها من تعاملك معه كطبيب؟

- كان مريضا مطيعا جدا فى الطعام وفى الدواء. إنما فى الراحة لم يكن مطيعا فبالنسبة للطعام كان إنسانا غير نهم، وبالتالى لم تكن عنده مشكلة من هذه الناحية، فقد كان طعامه بسيطا جدا. إنما فى الراحة لم يكن مطيعا فلقد كان يعمل لمدة ١٨ ساعة يوميا تقريبا.

وأتذكر أنه كان فى كثير من الأيام يسألنى عن حالته بعد الكشف عليه فأجيبه بأن الوضع كما هو عليه، فيذكر لى أنه قد ظل ساهرا حتى الساعة الثانية صباحا مثلا.

## أول جلطة

■ لاتنس أنك قد عملت طبيبا خاصا له منذ يوليو ١٩٦٧ أى فى الفترة الحرجة جدا فى حياته.

- لقد كانت بالفعل فترة حرجة ، ولقد كان يبذل مجهودا غير عادى، فيجلس للعمل طويلا على الرغم من أن الجلوس يتعبه ويقف طويلا على الرغم من أن الوقوف يتعبه وكان أيضا ينفعل بشدة بالأحداث.

فأول جلطة فى الشريان التاجى كانت قد أصابته قبل وفاته بعام كامل وبالتحديد يوم ١١ سبتمبر ١٩٦٩. قبل هذه الجلطة بيومين فقط كانت إسرائيل قد أنزلت قوات لها على شاطىء البحر الأحمر ضمن معارك حرب الاستنزاف حيث أخذوا رادارا من على شاطىء البحر الأحمر. وكان الرئيس شديد التوتر والقلق لدرجة أننى قد لاحظت عليه ذلك فى اليوم التالى أى فى يوم ١٠ سبتمبر ، فسألته: ما الذى يثير قلقك؟

فقال لى بدهشة: وهل القلق واضحا علىّ؟ أجبت: نعم ، فقال لى أنه قد قال لهم فى القيادة أنه نتيجة لعملية فدائية ناجحة قمنا بها ضد إسرائيل، فإن اليهود لا طريق أمامهم للرد علينا إلا فى البحر الأحمر. لكنهم هنا لم يحتاطوا كما ينبغى.

ويضيف د. الصاوى حبيب : فى اليوم التالى - أى فى ١١ سبتمبر - اكتشفت أول جلطة يصاب بها فى الشريان التاجى، فعندما دخلت عليه غرفته فى الصباح كالمعتاد ذكر لى أنه يشعر ببعض الضيق فى التنفس. وعند الكشف عليه وجدت أن عنده ضربة ثالثة، ثم قمت بعمل رسم قلب له فاكتشفت إصابته بجلطة حديثة فى الشريان التاجى ومشكلة مثل هذه الجلطة هى أنها تحدث بدون ألم عند مريض السكر. لكن تم اكتشافها والحمد لله. وللاطمئنان على التشخيص تم عمل التحاليل المطلوبة فى مثل تلك الحالة. وكان المسئول فى ذلك الوقت هو أنا تحت إشراف د. منصور فايز . وطلبنا استدعاء د. محمود صلاح الدين من الإسكندرية، وكان التشخيص مؤكدا، وبعدها تم عمل مصعد داخل منزله، دون أن تعرف السيدة قرينته السبب وراء إقامة هذا المصعد.

## الرد على محمد حسنين هيكل

ويستطرد د. الصاوى : لقد كنت حريصا باستمرار على عدم إفشاء أى سر من قريب أو من بعيد عن حالته الصحية؛ لكن كان الأستاذ محمد حسنين هيكل عادة ما يكون موجودا ويسألنى عن حالة الرئيس الصحية

فكنت أجيبه بإجابة تحتمل عدة معان.

ثم سألت الرئيس عبدالناصر عمن يجب أن يعرف حقيقة مرضه؟ فذكر لى خمسة أسماء وهم على وجه التحديد الأستاذ محمد حسنين هيكل، السيد أنور السادات، السيد محمد أحمد والسيد سامى شرف. وللأمانة لا أتذكر حاليا الاسم الخامس. فالتزمت بما يريد، وبعدها عندما سألنى الأستاذ هيكل أجبته عما سأل بدون مواربة.

## قلب جمال عبدالناصر

أقول للدكتور الصاوى حبيب: إذا كانت هذه الصورة التى رويتها توضح من ناحية علاقة هموم الوطن بقلب جمال عبد الناصر إلا أنها من ناحية أخرى توضح شكل علاقتك كطبيب بالرئيس عبدالناصر، وما رويته يسقط الفكرة التى ترددت مؤخرا من أن رهبة الأطباء أمام هيبة الرئيس الراحل جعلتهم يضطربون فى يوم الوفاة فيخطئون العلاج.

ـ يكرر الدكتور الصاوى: لقد كان الاقتراب من الرئيس عبدالناصر شيئا جميلا، وكان لطيبة قلبه المختفية وراء جديته دور كبير فى الوصول إلى صورة راقية لعلاقته بمن يقترب منه. وأعترف أننى عندما دخلت للكشف على الرئيس عبدالناصر لأول مرة فى حياتى كنت فى البداية أشعر بالفعل بهيبته. وقد كان من المفروض فى ذلك اليوم أن أعطيه حقنة أنسولين فإذا به هو ـ حرصا منه على إبعاد أى توتر عنى ـ يدير وجهه إلى الناحية الأخرى، فهو الذى كان يحرص على كسر مثل هذا الحاجز، إلى أن أصبحت هناك ثقة وأصبح هناك ارتياح فكان يضحك معى ويقول لى أنه لم يعد يعرف شيئا عن حقيبة الدواء الخاصة به منذ عملت معه، حيث كان يضع أدويته فى حقيبة.

ويضيف د. الصاوى: ليس هذا فقط، بل هناك أمر لم أكن أريد أن أقوله كى لايسىء البعض تفسير كلامى عنه، لكننى أذكره هنا كى أوضح إلى أى مدى استطاع الرئيس عبدالناصر أن يزيل أية شبهة فى هذا المجال، فصحيح أنه كان يتميز بالجدية الشديدة، إلا أن هذا لم يمنع فى الوقت ذاته من أن يكون شديد المودة معى. ولن أتردد فى أن أفصح أنه كان يطلق علىّ اسما للدلع ينادينى به أحيانا وهو «صاوصاو». فأين هو

المجال للاضطراب، وأين هو الجو الذى يبعث على الخطأ فى العلاج؟

## حكمت المحكمة

■ أقول للدكتور الصاوى حبيب إذا كان الاتهام الذى وجهه البعض مؤخرا بأن الأطباء قد اضطربوا أمام هيبة الرئيس الراحل هو اتهام غير مقبول أمام كل ما ذكرته، لكن ماذا عن الاتهامات التى وجهها «صلاح الشاهد» منذ سنوات. والتى تتجاوز فكرة الاضطراب إلى ما هو أكثر من ذلك؟

- يرد د. الصاوى حبيب: الكلام الذى ذكره السيد صلاح الشاهد فى هذا المجال أقمت بسببه دعوى قضائية ضده.

ومن ضمن ما قاله أننى طبيب أطفال، وهذا بالطبع غير صحيح. كما ذكر أسماء عدد من الذين حضروا وقت الوفاة بينما الواقع أن أحدا منهم لم يحضر. أيضا لا صحة إطلاقا لادعائه أن الرئيس عبدالناصر قد فاجأته غيبوبة وهو فى المطار أو أنه قد عاد إلى منزله فاقدا للوعى. فتفاصيل الوفاة محددة وثابتة، وقد عرض د. منصور فايز التقرير الطبى لوفاة الرئيس عبدالناصر فى الجلسة المشتركة بين اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء التى عقدت عقب وفاة الرئيس، وسلم التقرير وشهادة الوفاة إلى المسئولين. فى حين أن من بين ما ذكره السيد صلاح الشاهد أنه فى يوم الوفاة قد تم إعطاء الرئيس عبدالناصر حقنة أنتستين بريفين وهذا الاسم لايوجد منه حقن، فهو نقاط للأنف ولم يكن عبدالناصر يستعمله أصلا.

ويضيف د. الصاوى حبيب: الخطورة فيما ذكره صلاح الشاهد عن الوفاة ترجع إلى سهولة تصديق ما قاله بحكم منصبه، خاصة أن كلامه عن الوفاة بعد أن تم نشره فى حوار صحفى إذا بأحد كتاب الأعمدة اليومية فى صحيفة قومية كبرى يعيد نشره فى عموده، وكأن هذا الكلام قد صار تاريخا يتناقله الناس.

لذلك فإحقاقا للحق وللتاريخ أقمت دعوى كان المحامى عنى فيها هو المستشار مصطفى ياسين الشعراوى، واستمرت القضية فى المحكمة حوالى ١٤ عاما إلى أن أنصفنى القضاء مؤخرا والحمد لله، وإن كنت لم

أحصل بعد على التعويض الذى حكمت لى المحكمة به وهو ٥٠ ألف جنيه نظرا لرحيل الشاهد وصعوبة تنفيذ الحكم فى الورثة حتى الآن. أما من الناحية الأدبية فقد صحح الحكم حقائق، مع ذلك فقد فوجئت بأن حكاية وفاة جمال عبدالناصر قد عادت لتصبح مرة أخرى موضوعا يتحدث عنه آخرون أيضا ممن لم يحضروا لحظة الوفاة، ولا أدرى إلى متى سيظل يظهر من يشهدون على ما لم يشهدوا.

▪ أقول للدكتور الصاوى: ولماذا فى رأيك يظهر من حين إلى آخر من يعيدون إثارة حكاية وفاة الرئيس عبد الناصر على الرغم من مرور كل تلك السنوات؟

ـ يرد بإيجاز بليغ: لأنه جمال عبدالناصر.

▪ أقول: ولماذا تلتزم أنت الصمت؟

يرد الرد نفسه ولكن بلهجة مختلفة قائلا:لأنه جمال عبدالناصر.

وبتكراره للاسم بكل ما يعنيه فى تلك الإجابة من معان وجدته قد سرح ببصره بعيدا فالتف سكون على حوارنا، وسرى فى السكون شجن جعلنى أتبين أننى طوال الحديث مع د. الصاوى حبيب لم أكن مستغرقة فقط فى الحصول على تفاصيل الوقائع، وإنما كنت أيضا مستمتعة بالوصول إلى أن الدنيا مازال بها مشاعر مخلصة، واكتشفت سر صمت د. الصاوى حبيب الطويل، فهو ذلك الصمت البليغ لأنه صادر من حبيب، فقد تعامل طوال فترة عمله مع الرئيس الراحل بروح من يحب وليس بمجرد روح من يريد الاتقان فى العمل.

هو لم يقل لى هذا، لكننى سمعته من عينيه طوال الحوار، كما سمعته من ذلك الشجن الذى أحاط بجلستنا عند السكوت. ثم من تلك الحقيبة العتيقة التى تردد عشرات المرات قبل أن يسمح لى بالاطلاع على بعض ما تحويه، ثم تركنى متوجها بالمفتاح إلى حيث لا أدرى، ثم عاد لى بعد أن فتح ما فتح وجاء وفى يده حقيبة تعلوها الأتربة قائلا وهو ينظف ما عليها من تراب أنه لا يسمح لأحد بفتح الدولاب الذى يحوى هذه الحقيبة القديمة لحرصه على مافيها.

▪ ماذا فيها يادكتور حبيب؟

ـ قال: أوراق عزيزة جدا على نفسى، إن ما تضمه لم يطلبه أحد منى،

ففيها بعض ما كنت أنجزه من أجل صحة جمال عبدالناصر. وأبتكر فيه لكى تكون متابعة حالته دقيقة إلى أقصى درجة ممكنة.
ويخرج لى جداول صفراء قائلا: هذا جدول التغذية للرئيس الراحل الذى قمت بإعداده عن طريق الاستفادة بخبرة د. إسماعيل عبده مدير معهد التغذية فى ذلك الوقت.
أتصفح الجداول فأجدها تتضمن جداول لأطعمة والسعرات الحرارية لها وللوحدات الغذائية مكتوبة بالكربون على الآلة الكاتبة.
وتتصدر الصفحة الأولى منها أرقام مكتوبة بقلم أخضر، وعمليات ضرب وقسمة، ومن ضمن الأرقام أجد رقم «٩٠» وإلى جواره كلمة الوزن. أستنتج أنه وزن الرئيس عبدالناصر فى ذلك الوقت، وأسأل د. الصاوى فيؤكد استنتاجى ثم أسأله عن رقم آخر مكتوب باللون الأخضر هو ٢٣٦٠ فيقول لى هذا هو عدد السعرات الحرارية المطلوبة، وعلى أساسها يتم تحديد الطعام للرئيس عبدالناصر، كى يحصل على الغذاء الصحى مع مراعاة الوزن والسكر والقلب وكل ما أعلمه عن حالته.
يعيد د. الصاوى الجداول الصفراء إلى الحقيبة فأطلب منه أن أستعيرها منه كى أقوم بتصويرها، فيرد بملامح من يخاف على ما بقى له من رائحة الحبيب قائلا: الاستعارة لا يمكن، فأنا أعتبر مجرد فتح الحقيبة وإطلاعك على مافيها تعبيرا عن ثقة شديدة فيك.
أقترح عليه أن أنزل إلى أقرب محل به ماكينة تصوير كى أنقل صورة من هذه الأوراق وأعيدها فى الحال.
وأقول وأنا أضحك: ومن الممكن أن أترك جهاز الكاسيت وبداخله الشريط المسجل عليه حديثنا رهنا إلى أن أعود.
يشاركنى الضحك ثم بجدية يعود إلى الرفض مفسرا هذا تفسيرا لا يخطر على بالى، وهو أن مثل تلك المحال عندما لا تظهر صورة بعض الأوراق واضحة من ماكينة التصوير، فإن من يقوم بالتصوير عادة ما يضع ذلك الورق غير الواضح جانبا، ويقوم بإعادة التصوير.
ويضيف باستنكار: فكيف أترك صفحات من هذه الأوراق المهمة على حافة منضدة فى محل.
شعرت أن من الصعب إقناعه بأخذ أية ورقة من تلك الأوراق العزيزة

عليه خارج بيته، واعتبرت أن رؤيتى لبقية ما تحويه الحقيبة هو الأهم حاليا.

أخرج د. حبيب جدولا ملونا من الحقيبة، وقال: سأطلعك على هذا كنموذج أخير لما أحتفظ به هنا، تصفحت الجدول من خلال تقليبه هو لصفحاته وهو يشرح لى أنه قد أعد هذا الجدول ليسجل عليه نسبة السكر مع كل قياس للتوصيل بعد ذلك بين الأرقام لتكون حالة الصعود أو الهبوط فى السكر مسجلة فى رسم بيانى واضح.

ثم أغلق د. الصاوى الحقيبة وقام واقفا كى يعيدها إلى مكانها، كحبيب لا يفرط فى كل ما هو من رائحة الأحباب.

## د. هدى عبدالناصر

وقبل أن أطلب منه الانتظار قليلا كى أرى المزيد، وجدته يروى بأسى قائلا: هل تعلمين أن صور رسم القلب وتطوره يوم وفاة الرئيس عبدالناصر كانت معى؟

بلهفة أقول: أريد أن أراها.

- يرد بتأثر: الذى حدث أننى أطلعت عليها د. هدى عبدالناصر، فإذا بها تأخذها.

تأكدت عند هذه الكلمة أن مجرد رؤيتى لما أطلعنى عليه من محتويات تلك الحقيبة العتيقة هو إنجاز كبير. مادام قد حزن على أنه أطلع د. هدى عبدالناصر على رسم قلب الرئيس الراحل قبل أن يتوقف القلب الكبير، على الرغم من أن الرسم قد استقر عند د. هدى عبدالناصر، وهى ليست فقط الابنة الكبرى للرئيس الراحل وإنما من المعروف عنها أيضا حرصها الشديد على تسجيل كل ما هو متعلق بالثورة وبالرئيس عبدالناصر.

تحرك د. الصاوى حبيب بالحقيبة الغالية، لتستقر مرة أخرى حيث يحفظها منذ ثلاثة عقود.

ثم بدا د. الصاوى حبيب فى خطواته وهو عائد من حجرة الحقيبة عبر الممر الطويل وكأنه يجر جسمه وليس جسمه هو الذى يحمله، فقد كان يسير بخطوات العائد لتوه من تشييع حبيب.

ثم لم يجلس، وإنما ألقى بجسده على المقعد المجاور لى وبدت على وجهه ملامح الإرهاق المعجون بالتأثر، وكأنه قد انتهى لتوه من إسدال جفنى الرئيس عبدالناصر.

وهو ما قام به الدكتور الصاوى بالفعل فى يوم الوفاة، مودعا بذلك عينين طالما ألهب بريقهما المشاعر الوطنية عند الملايين. فنزل الجفنان، ولكن لم ينزل الستار.

## كيف عاش جمال عبدالناصر بعد هزيمة يونيو

د. الصاوى حبيب يروى:

- بعد حرب ١٩٦٧ أصبح من الصعب السيطرة على مرض السكر عند عبدالناصر بسبب الانفعالات.
- تصلب الشرايين جعل بعض الشرايين الطرفية عنده غير محسوسة.
- كان مدخنا شرها وكان مصابا بدوالى فى الرئة.
- لم يكن يمارس الرياضة إلا قليلا
- ونادرا ما كان يستخدم المنوم.
- قبل وفاته بشهر أجمع الأطباء على ضرورة أن يستريح فكان رده هو أن السبيل الوحيد لذلك هو أن يغير مهنته.

كيف عاش الرئيس جمال عبدالناصر بعد صدمة الهزيمة في يونيو ١٩٦٧.

هذا هو السؤال الذي تتضمن الإجابة عليه الوصول إلي معلومات جديدة بدلا من السؤال عن كيف مات عبدالناصر الذى يتكرر مع كل ذكرى لوفاته على مدى حوالى الثلاثين عاما.

واحد فقط يملك الآن التفاصيل الكاملة عن حالة جمال عبدالناصر الصحية خلال تلك السنوات الصعبة هو د. الصاوى حبيب طبيب الرئيس عبدالناصر الخاص منذ يوليو ١٩٦٧ وحتى وفاة الرئيس في سبتمبر ١٩٧٠ والذي يذكر هنا تفاصيل مهمة تروى لأول مرة:

فى البداية يقرر الدكتور الصاوى حبيب حقيقة طبية لا جدال فيها وهى أن الهموم الثقيلة تؤثر على الصحة، ولقد كان الهم العام وطبيعة عبدالناصر في الإصرار على بذل الجهد الشديد في العمل إلى حد الإرهاق أثره السيئ على صحته، فكان السكر، وتصلب الشرايين، والقلب وكلها مظاهر لتحميل ماكينة الجسد أكثر مما تحتمل.

وأسأله عن أول تاريخ لاكتشاف السكر وتصلب الشرايين عند الرئيس عبدالناصر، وهل ارتبط هذا بهزيمة ١٩٦٧؟

فيقول: انفجرت الصورة بعد ١٩٦٧ لكنه كان مصابا بالسكر وتصلب الشرايين قبل الحرب وما حدث بعد الحرب هو أن السيطرة على السكر

عند الرئيس عبدالناصر أصبحت أمرا شديد الصعوبة، فقد ترتب على ارتفاع السكر مرحلة أخرى هى آثار مرض السكر أو مضاعفاته، حيث بدأ يشعر بآلام شديدة فى العضلات، وتلك الآلام كانت قد نشأت من مرض السكر، كما حدث ضمور في بعض العضلات. وهى أيضا من مضاعفات السكر، بالإضافة إلى أنه كان مدخنا شرها، وكان يعانى من دوالي الرئتين، فكانت الشعب الهوائية في قاعدة الرئة متسعة، وكان يعانى تصلبا في الشرايين غير مضاعفات مرض السكر، فكانت بعض الشرايين الطرفية عنده غير محسوسة، وإذا كان من المعروف فى مرض السكر أن هناك تأثيرات للعامل الوراثى فإن العامل البيئى شديد الأهمية، سواء من ناحية الطعام أو من ناحية الانفعالات.

والرئيس عبدالناصر كان شديد الانضباط بطبيعته فيما يتعلق بالطعام حيث كان يستجيب لضبط الطعام طبيا لأنه لم يكن نهما في الأكل، أما من ناحية الانفعالات فلم يكن من الممكن السيطرة عليها، ومادام هناك انفعال فلابد أن يكون السكر مرتفعا والانفعال مع السكر يؤدى إلى مضاعفات سواء بتأثيره على الجهاز العصبى والأطراف أو تأثيره على الجهاز الدورى والقلب، كل هذا مع العمل المكثف وعدم الراحة كان يلقي علي الجسم بأكثر مما يتحمله.

■ ألم يكن عبدالناصر يراعى في العمل أى شىء له صلة بصحته؟

- شىء واحد كان يراعيه هو أن يعقد جلسات مجلس الوزراء مساء وليس فى الصباح، لأنه يكون في تمام اللياقة العقلية والانتباه بعد الظهر.

وبالفعل هناك نوع من الناس يكون متيقظا جدا في الصباح، هذا النوع من الناس هم الذين ينامون مبكرا ويستيقظون مبكرا، وهناك نوع آخر من الناس يكون متيقظا أكثر بعد الظهر، وكان عبدالناصر من الفئة الثانية، ولقد سئل مرة عن سبب عقد جلسات مجلس الوزراء بعد الظهر فكان رده أنه علي حد تعبيره يكون منتبها أكثر بعد الظهر، ربما لأنه خلال فترة التحضير للثورة كان كل نشاطه بعد الظهر باعتبار أنه ينتظم في عمله خلال الصباح، أما بعد الظهر فيوفره للنشاطات الأخرى، وهذا لابد أن يكون موافقا لطبيعته.

ومن طبيعته أيضا أنه كان يملك ذاكرة قوية جدا، وأذكر أنني قلت له بعد مضي سنة علي عملي معه كطبيب خاص أنه قد مر عام على أول كشف لي عليه فإذا به يقول لي: لا لم تمر سنة فقط على أول كشف لك عليّ. فلقد قمت بالكشف عليّ منذ سنوات في الطريق الصحراوي عند زيارة خروشوف لمصر، فاندهشت لأنه يذكر ذلك، وكنت بالفعل قد كشفت عليه باعتباري طبيبا في رئاسة الجمهورية، حيث كنت مرافقا لركب الرئيس في الطريق من برج العرب لافتتاح أحد المشروعات وقد توقف الركب لإصابة الرئيس بآلام شديدة في المعدة وقمت بالكشف عليه وعاد نتيجة للتعب إلي برج العرب دون مواصلة الجولة، ولم أكن أعمل وقتها طبيبا خاصا له، ومع ذلك فهو لم ينس ذلك اللقاء.

لقد كان عبدالناصر يراعي وضع الناس في المكان الصحيح، فعلى الرغم من كل مسئولياته إلا أنني حضرت مرة وهو يكلم أمين رئاسة الجمهورية بغضب لأن الملك حسين كان سيقضي في الإسكندرية يوما، فأخذ أمين رئاسة الجمهورية كابينة الملك السنوسي منه في ذلك اليوم ليستخدمها الملك حسين ويجلس فيها على البحر، وعندما قال أمين رئاسة الجمهورية للرئيس عبدالناصر أن هذا الأمر قد تم بموافقة الملك السنوسي، ظهر الغضب على الرئيس عبدالناصر وهو يرد قائلا: أن الملك السنوسي لاجئ مقيم عندنا، فهل سيقول «لا» عندما تطلب منه الكابينة؟ كيف تفعلون هذا؟

## دواء منوم

ويضيف د. الصاوي حبيب أن عبدالناصر الذي يغضب بهذا الشكل كان شديد التسامح على الجانب الآخر، ومثال لذلك أننا في إحدى المرات كنا في الإسكندرية وكان قد أخذ دواء منوما. ودخلت عليه في الصباح فقلت له كلمة عابرة وهي: أتمنى أن تكون قد نمت جيدا، فرد بأنه لم ينم جيدا، وأنه قد استيقظ في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، فقلت له بقلق: هل هناك ما حدث؟ قال: التليفون رن فأيقظني. سألته بقلق: خيرا ماذا جرى؟ رد: رن التليفون عندي على سبيل الخطأ.

عندما تركته قلت للسيد محمد أحمد: هل نعطي الرئيس منوما لكي

يوقظه التليفون على سبيل الخطأ؟ فحقق محمد أحمد في الموضوع، ومع ذلك استمر المسئول عن هذا الخطأ فى عمله ولم يطلب عبدالناصر اتخاذ أي إجراء ضده بل ربما إنه لولا المحادثة التى دارت بينى وبينه ما عرفنا شيئا عن ذلك.

■ هل عبدالناصر كان معتادا علي استخدام المنوم؟

- كان من حين لآخر عندما لا يكون مرتبطا فى اليوم التالى بأمر مهم يطلب أن يحصل على ما يساعده على النوم لكى يستريح وكان هذا يحدث نادرا.

■ وهل كان يتناول أي نوع من المهدئات؟

- لا. فقط منوم مهدئ عندما يكون مقبلا علي إجازة ويريد أن ينام جيدا. لم يكن عبدالناصر يعانى قلة النوم أو يشكو من الأرق.

## لا يشعر بالألم

ويستطرد الدكتور الصاوى حبيب قائلا: إن المشكلة للرئيس عبدالناصر هى عدم شعوره بالألم نتيجة لمرض السكر، فنسبة كبيرة من مرضى السكر لا يشعرون بالألم وهذه النسبة تصل إلى ربع حالات مرضى السكر.

■ ما المقصود بعدم الشعور بالألم؟

- معناه ألا يشعر بالوجع الذى هو الإنذار الطبيعى للإنسان كى يلجأ للعلاج.

■ هل معنى هذا أنه إذا تعرض لمشكلة صحية لا يشكو منها فلا يتم اكتشافها إلا بالكشف عليه؟

- نعم. لذلك فإن جلطة الشريان التاجى الأولي عندما حدثت له تم اكتشافها عن طريق كشفى عليه، وكان قد أصيب بها بدون ألم. وإنما هو قال لى أنه كان ينهج عندما استيقظ فقمت بالكشف عليه، فوجدت اختلافا فى دقة القلب واستنتجت أنها جلطة في الشريان التاجى، ثم أكد رسم القلب صحة التشخيص وكذلك التحاليل.

فتشخيص الجلطة فى الشريان التاجى يتم بناء على ثلاثة أمور يكفى اثنان منها للتشخيص، هذه الأمور الثلاثة هى ألم فى الصدر. رسم

القلب، التحاليل التى توضح زيادة فى الأنزيمات التى تنشأ عن عضلات القلب حيث أن الخلايا نفسها المصابة بنقص الدورة الدموية تخرج إنزيمات فتظهر عالية فى التحاليل.

هذه الأمور الثلاثة هى علامات الجلطة، ووجود اثنين منها يكفى لاعتبارها جلطة والمشكلة تحدث عند عدم اكتشافها مبكرا فى مرضى السكر الذين يصابون بالجلطة الصامتة والذبحة الصامتة نتيجة عدم شعورهم بالألم. لقد صممت على ألا أترك الرئيس قبل أن أقوم بعمل رسم قلب له ولأن ما رأيته وقتها كان مؤشرات لجلطة لكنها صامتة، لذلك حرصت على ألا أتسبب له فى أى قلق وقلت له أننى أريد أن أعمل له رسم قلب لأننا من الأفضل عندما نسافر إلى موسكو بعد خمسة أيام أن تكون كل أوراقنا جاهزة، كما طلبت منه بعض التحاليل على أساس الحجة نفسها. وإذا برسم القلب ثم التحاليل تؤكد ما توقعته.

## العلاج السوفيتى

■ تحججت للرئيس عبدالناصر بأن رسم القلب والتحاليل إجراءات من أجل تجهيز الأوراق مع السفر إلى موسكو فهل كان السفر وقتها للعمل أم للعلاج؟

- كان السفر للعمل. وكان الأطباء هناك سيقومون بإجراء بعض الفحوص له.

■ فى مرات أخرى كان السفر إلى الاتحاد السوفيتى بهدف العلاج كما حدث عند السفر إلى «تسخالطوبو» فما هى ذكرياتك عن تلك الرحلة؟

- كنا قد سافرنا إلى روسيا ونصحه الأطباء هناك بأهمية أن يستفيد من العلاج الطبيعى فى «تسخالطوبو» وهى مكان استشفائى خارج موسكو عبارة عن حمامات تشبه حمامات حلوان الكبريتية وكان المكان مجهزا بكل وسائل العلاج الحديثة.

عقدنا مؤتمرا طبيا حضره حوالى ١٦ طبيبا مصريا من مختلف التخصصات وأجمعوا على أهمية أن يتم علاج الرئيس فى «تسخالطوبو» وتمت الموافقة على السفر.

سافرت معه بالطبع إلى «تسخالطوبو» وهناك كان جزء من العلاج هو

أن يجلس في حمامات مياه طبيعية بالإضافة للمشي وبالإضافة للجلوس في مكان به ما يمكن أن نقول عنه أكسجين مضغوط، بحيث يتم استنشاق الأكسجين تحت ضغط معين باعتبار أن هذه الطريقة تجعل الأكسجين يصل إلى جميع مناطق الجسم.

ولقد كان هدف الأطباء السوفييت من العلاج الطبيعي مواجهة مضاعفات السكر على العضلات والجهاز العصبي في الطرفين السفليين وبالفعل اختفى الضمور الذي كان بالطرفين السفليين.

■ كم كانت مدة العلاج هناك؟

- على ما أذكر ٢٦ يوما.

■ ألم يعترض الرئيس عبدالناصر على أن يبقى هناك كل هذه المدة الطويلة؟

- هو كان يستفيد من الوقت في إنجاز بعض الأمور خلال فترة العلاج فالتقى على سبيل المثال بوزير الدفاع الروسي، كما قابل مصمم طائرات الميج، وفي ذلك الوقت كانت آلامه شديدة جدا في الأطراف السفلية لدرجة أنني دخلت عليه مرة في الصباح فوجدته مستلقيا فوق الفراش على وجهه وقال لي أنه كان يشعر بالتعب طوال الليل. فقلت له: ولماذا لم توقظني، وأنا أقيم إلى جوارك، قال: «أنا لكي أوقظك سأضطر أن أوقظ محمد أحمد، وفي النهاية ستأتي لتعطيني حقنة مسكنة» فهو لا يريد أن يتسبب في أن يوقظ أحدا أو أن يتعب الآخرين معه.

■ هل كنت تسافر مع عبدالناصر في كل رحلاته؟

- رافقته بعد ١٩٦٧ في كل مكان ذهب إليه، فلم يحدث أن نام هو في مدينة وأنا في مدينة أخرى طوال الفترة التي أعقبت ١٩٦٧، لدرجة أنه عندما كان يسافر إلى الإسكندرية، وأريد أنا أن أتوقف خلال الطريق في مدينة طنطا باعتبارها مسقط رأسي كنت أستأذنه ألا أستقل القطار وأن أسافر بالسيارة لكي أمر على طنطا ثم ألحق به في الإسكندرية.

## الرحلة السرية

رافقته في كل رحلاته الخارجية. حتى في رحلته السرية إلى موسكو كنت معه.

وأذكر عن تلك الرحلة أن السفر كان مفاجئا جدا وأن عدد الموجودين على الطائرة كان لا يتعدى ٢٩ شخصا ومن الأسماء التى أذكرها ممن كانوا على الطائرة الأستاذ محمد حسنين هيكل والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وقد كنت أراه وقتها لأول مرة وكان اسمه على الطائرة الأستاذ إبراهيم عبدالمجيد . كانت مدة الرحلة حوالى ثلاثة أيام أو أربعة وكنا فى شهر فبراير لأن الجو كان شديد البرودة.

## رحلة ليبيا

■ هل لديك ذكريات أخرى عن رحلات مع الرئيس عبدالناصر؟

- أذكر أننا كنا فى رحلة بالطائرة من طرابلس إلى بنى غازى وكان على متن الطائرة الرئيس عبدالناصر، والرئيس الليبى معمر القذافى، والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، وعلى ما أذكر الرئيس السودانى جعفر نميرى.

واقتربنا من بنى غازى وإذا بالطائرة لا تهبط وإنما ظلت تدور فى الجو وسرت همهمة فى الطائرة وعرفنا أن «عجل» الطائرة لا ينزل، طبعا كانت مسألة مقلقة، والطائرة عليها هذه الكوكبة من رؤساء الدول، نظرت إلى المطار فلاحظت سيارات مطافئ وقد يكون من الطبيعى أن توجد سيارات مطافئ فى المطار، إنما هذا أصابنى بالخوف وظلت الطائرة تدور لمدة حوالى الساعة إلى أن تم النجاح فى إنزال «العجل» وهبطت الطائرة بسلام فى المطار لكننى فوجئت بأن الاتصال بينى وبين جمال عبدالناصر قد انقطع وكان الدكتور منصور فايز موجودا فى تلك الرحلة وإذا باتصالى به أيضا ينقطع، كل هذا من شدة الزحام فى المطار، وصار مستحيلا أن أصل إلى الرئيس جمال عبدالناصر، فقد كان الزحام رهيبا، إلى درجة أننا قد انتقلنا من المطار إلى الاستراحة فى حوالى ثلاث ساعات بسبب ضخامة الاستقبال الشعبى.

كان كل همى هو ما الذى يمكن أن يفعله جمال عبدالناصر وقد تناول أنسولين فى الصباح، وحل موعد الطعام وهو فى الشارع طوال تلك المدة فتعطل الطائرة أدى إلى ضياع بعض الوقت والجماهير أضافت وقتا آخر مع الفصل الشديد بين السيارات بعضها والبعض.

صحيح أن فى جيبه عادة علبة صغيرة بها أقراص جلوكوز كورامين لكى يتناول قرصا بمجرد شعوره بأى نقص فى السكر، وفى جيبه أيضا دواء يستخدمه مرضى القلب عند الشعور بأى أزمة حيث يوضع تحت اللسان فعلاجه اليومى دائما فى علبة صغيرة داخل جيبه وليست مع أى من المرافقين، ومع ذلك كنت شديد القلق عليه.

## الفرح بالجماهير

وصلنا إلى الاستراحة ودخلت إليه فى غرفة النوم. دهشت فقد وجدته فى حالة جيدة ومعنوياته مرتفعة كعادته عندما يفرح بالجماهير وبالاستقبال الشعبى فيتحمل أى شىء بما فى ذلك الوقوف طويلا بالرغم من تصلب الشرايين، وبالرغم من كل متاعبه الصحية، وعندما رآنى لم يتحدث معى عن أى تعب أو إرهاق، وإنما وجدته يضحك وهو يقول لى: انظر إلى هذا الفراش الذى من المفروض أن أنام عليه. وجدت فراشا فخما لم أر مثله من قبل، فهو فراش فى منتصف الحجرة ويتم الصعود إليه بدرجات ومن حوله إطار مميز ويبدو أن هذه الحجرة كانت لولى العهد الليبى السابق، فقد كانت على درجة عالية جدا من الفخامة فكان عبدالناصر يتحدث وكأنه يسخر من كل هذه الفخامة التى لم يكن يحرص عليها إطلاقا فقد كان يلبس كما نلبس ويأكل أقل مما نأكل.

## العلاج بالمشى

■ للرياضة الخفيفة دور هام فى مواجهة نوعية الأمراض التى تعرض لها الرئيس عبدالناصر، فهل كان يحرص على مزاولة رياضة معينة؟

■ كانت اللذة الشخصية عند الرئيس جمال عبدالناصر هى العمل، فكان يعمل كثيرا ويسهر كثيرا، ولا يمارس الرياضة إلا قليلا، ولقد كانت قلة ممارسة الرياضة مضرة له صحيا.

لكن لأن المشى هام جدا فى علاجه، لذلك فقد تم شراء ساعة خاصة له، وهى ساعة تقوم بتسجيل المسافات عندما يتحرك من يرتديها، ومما تسجله يمكن معرفة المسافة التى تحركها سواء داخل البيت أو

خارجه، فكانت ميزة تلك الساعة هى أن نعرف بواسطتها المسافة التى سارها الرئيس خلال الحركة اليومية العادية حتى داخل البيت.

■ وهل المشى داخل المنزل يحسب ضمن المسافة المطلوب للمريض أن يسيرها؟

- نعم.

■ إذن فقد كان الرئيس عبدالناصر يحسب ما يمشيه داخل المنزل مثل الروائى العالمى نجيب محفوظ الذى يمارس رياضة المشى داخل المنزل بعد أن توقف عن ممارستها فى الهواء الطلق عقب الاعتداء عليه، ومثل الموسيقار محمد عبدالوهاب الذى كان يمشى داخل منزله ويحسب المسافة عن طريق ممر طويل داخل البيت يقطعه عدة مرات يوميا، لأنه لا يفضل التمشية خارج المنزل.

- إذا كان المشى داخل المنزل يمكن حسابه ضمن المسافة المطلوب من المريض أن يسيرها فهذا باعتبار أن المشى داخل البيت أفضل من عدم المشى إطلاقا.

لكن يظل المشى فى الهواء الطلق هو الأفضل بدون شك، فأهمية الحركة ليست ميكانيكية فقط، وإنما الهواء خارج البيت أنقى، والمشاهد التى يراها الإنسان مختلفة لذلك فقد كان الرئيس عبدالناصر يخرج أيضا لممارسة رياضة المشى فى حديقة المنزل، وهو أيضا مرتديا الساعة التى تحسب المسافة.

■ وهل كان المشى فى الحديقة محددا بساعة معينة من اليوم؟

- كان يختار الأوقات التى يستطيع أن يمشى فيها وكان ملتزما بتنفيذ التمشية إلى حد كبير كلما أمكن.

■ هل كان جمال عبدالناصر يستثمر المشى بصورة مزدوجة بأن يتحدث خلال التمشية مع أحد المقربين مثل الأستاذ محمد حسنين هيكل مثلا؟

- للأمانة لم يحدث أن رأيت الأستاذ هيكل يتمشى معه. إنما كثيرا ما كنت أراه يتحدث معه تليفونيا، بالذات قبل أى خطاب أو بعده. وكان على اتصال يومى به. ومن ملاحظاتى أن هيكل هو الوحيد الذى كان يجلس مع جمال عبدالناصر على راحته واضعا ساقا فوق ساق والسيجار فى يده، فهو الوحيد الذى رأيته يجلس معه على هذه الصورة.

■ ألم تر أحدا يرافقه خلال التمشية فى الحديقة أبدا؟

ـ الحقيقة أنا لا أتذكر جيدا، إنما أذكر أننى كنت أراه فى الحديقة ومعه السيد حسين الشافعى يتمشى أحيانا وأحيانا أخرى كان يلعب معه التنس.

■ هل كان عبدالناصر يلعب التنس بانتظام؟

ـ كان يلعبه قليلا وذلك قبل إصابته بالجلطة، فالذى كان مطلوبا منه طبيا للعلاج هو التمشية باعتبارها الوسيلة الناجحة للتغلب على تصلب الشرايين والاحتفاظ بمرونتها وبأن تظل مفتوحة، والتمشية بشكل عام مفيدة لكل متاعبه الصحية الأخرى، خاصة أن هناك قاعدة تقول أن العمل العقلى كلما ازداد فلابد أن يصاحبه عمل عضلى، فكلما فكر الإنسان وازداد انشغاله الذهنى ففى المقابل لابد أن يمشى.

وإذا كنا قد استطعنا إقناع عبدالناصر بالتمشية فإن الذى لم نستطع أن نقنعه به هو ضبط انفعالاته وتقليل الجهد الذى يبذله، ومع الانفعالات والجهد الذى يفوق الطاقة كانت النهاية السريعة لحياته الحافلة بالأحداث والتغيرات والهزائم والانتصارات، هذه الوفاة التى سبقها بشهر واحد مؤتمر طبى مصغر من الأطباء المسئولين عن علاجه، وكان سبب هذا المؤتمر هو أنه قد بدأ يظهر ورم فى قدميه، فقلنا أن هذا مؤشر على بداية هبوط فى القلب، فكان لابد من مواجهة الموقف حيث لم يحدث تقدم فى صحته بعد الجلطة الأولى كما يجب. ولا سبيل سوى أن يعيد النظر فى أسلوب العمل.

هذا المؤتمر ضم الدكاترة منصور فايز، وزكى الرملى، وعلى البدرى، وناصح أمين، ومحمود صلاح الدين الذى قال للرئيس أن حالته الصحية لا تتقدم ولا سبيل لتحسن صحته ألا بأن يرتاح ويقلل من الجهد الذى يبذله فلا يرهق نفسه فى العمل.

فكان رد جمال عبدالناصر: «إذن لابد أن أغير مهنتى» وأمام رده هذا لم تعد هناك فرصة لأى كلام آخر.



# أيام من داخل السجن
# قبل اغتيال السادات

د. ميلاد حنا يروى ذكرياته عن «النورد» و«الباشا» ورجل الدين

- ألف جنيه دفعها محمد حسنين هيكل لتهريب مذياع
- فؤاد سراج الدين داخل السجن كان أقوى من هيكل وفتحى رضوان
- فى أحاديث المساء عبر الزنازين هيكل يسأل عن بدلة مبارك، ثم يؤكد: سنخرج من السجن
- نقلونى من سجن «المرج» خوفا من اختطافى
- واغتيال السادات أنقذنا من الدفن فى الرمال.
- محمد عبدالقدوس، وحمدين صباحى، وكمال أبوعيطة كونوا لجنة للطعام داخل السجن

- يوليو ١٩٩٩

في أوائل سبتمبر العام ١٩٨١ كانت صفوة عقول مصر وراء القضبان عقب قرارات الاعتقال الشهيرة التي سبقت اغتيال الرئيس السادات. فلأول مرة ضمت السجون تحت سقف واحد كلا من فؤاد سراج الدين، ومحمد حسنين هيكل، وحلمي مراد وفتحي رضوان، ومحمود القاضي، وعبدالعظيم أبوالعطا، وعصمت سيف الدولة، وإسماعيل صبري عبدالله، وفؤاد مرسي، وغيرهم من النخبة، ومن رجال الدين، كثيرون منهم رحلوا عن دنيانا، وقليلون مازالوا يعملون ويكتبون ويفكرون.

ومن بين هؤلاء الدكتور ميلاد حنا «القطب اليساري الشهير» الذي تنفرد تجربته من بين هؤلاء بأنه تنقل خلال شهور الاعتقال الثلاثة بين ثلاثة سجون، حيث قضى جزءا من فترة الاعتقال في السجن الذي كان مخصصا لرجال الدين المسيحي، وأخرى في سجن وادي النطرون وبقية الفترة قضاها في سجن «طرة» مع السياسيين بعد أن أضرب عن الطعام معلنا أنه يرفض هذا التصنيف.

تنقله عبر السجون أثرى تجربته، وأضاف إليها تنوعا وخصوبة، وخاصة أن للدكتور ميلاد حنا عينا تجيد الالتقاط، وتضع الصور في بناء هندسي متناسق، وإن كان البناء الذي يفرض نفسه علينا هنا هو ليس البناء التقليدي حسب ترتيب الأحداث كما رواها وإنما بنقل الذكريات عبر الشخصيات التي تعامل معها وراء القضبان في بناء جديد

لصور نرى أبعادها بوضوح وشمول ونحن ننظر إليها من بعيد بعد ٢١ عاما، حيث ذابت أشياء مع مرور الوقت، وترسبت فى الوجدان أشياء هى العميقة والجديرة بالتسجيل، فنسجل للتاريخ بعض المواقف، ونأخذ العبرة من مواقف أخرى، ولاننسى أن نضحك فكثير مما كان قاسيا فى وقته، صار اليوم مادة للتسلية وأيضا للضحك الذى يمنحه الله لنا فيساعدنا على أن نتجاوز المرارة.

## هيكل والجلابية

أضحكنى د. ميلاد حنا بشدة وهو يروى كيف كان الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل يتشاجر معه، لأن د. ميلاد كان يخرج من الزنزانة للتمشية بالجلابية.

■ أسأله: وما هو إذن الزى الذى كنت ترى به «هيكل فى السجن»؟

ـ يضحك ويقول: بالزى الكامل، بنطلون وقميص وبلوفر وأيضا كوفية يقوم بربطها على هيئة «كرافات»، ليس هذا فقط، بل كان يحلق ذقنه يوميا، ويلومنى لأننى لا أحلق ذقنى يوميا مثله، بل ويهددنى قائلا أنه سيشكونى لزوجتى «إيفيلين رياض» الكاتبة الصحفية بمجلة «آخر ساعة».

■ هل معنى هذا أن هيكل ظل محافظا على أسلوبه الأنيق داخل السجن؟

ـ يرد الدكتور ميلاد حنا: بعد اغتيال السادات تغيرت المعاملة، وأصبح من الممكن إدخال أشياء عديدة للسجن لم يكن مسموحا بها من قبل. وكان لهيكل النصيب الأكبر فى هذا المجال. فقد أدخلت له زوجته السيدة «هدايت تيمور» ملاءات سرير ومخدات وأغطية فاخرة، واستخدم هيكل البطاطين التى كانت موجودة أصلا على سرير السجن استخداما آخر حيث فرشها على بلاط الزنزانة، لتحل بطانية السجن محل السجادة. وكانت زوجته ترسل له مع الطعام زجاجات المياه المعدنية. ووردا من عزبته فى «برقاش»، فكان يضع الورد داخل زجاجة المياه المعدنية التى تحولت إلى «فازة».

وبعد اغتيال السادات تم السماح لنا بدخول الصحف والمجلات التى كنا نلتهمها ونقرأ كل كلمة فيها. لكن لم يكن مسموحا لنا بالمذياع،

واستطاع هيكل أن يحصل على «مذياع» تكلف وصوله اليه - على ما أذكر - ألف جنيه، حتى يمكن تهريبه إلى داخل السجن باعتباره من الممنوعات.

■ معنى هذا أن هيكل قد ظل «اللورد» داخل السجن؟

- هيكل طوال عمره موزون، لكننى أرى أن المعتقل قد غيره. فمحمد حسنين هيكل أرستقراطى، و«لورد» لكنه دخل السياسة من قمة السلطة «بالبراشوت»، وليس عن طريق النضال. ولم يكن يخطر على باله إطلاقا أن يتعرض للاعتقال، وهذا الاعتقال أعطاه روحا جديدة، هى أنه ناضل، ودفع الثمن، وأن مواقفه السياسية حتى ولو كانت فى قمة السلطة فمن الممكن أن تقود إلى السجن، لكن ترتب على هذا فى الوقت ذاته أن تكونت فى حلق هيكل مرارة شديدة تجاه السادات، فجاء كتابه «خريف الغضب» عقب خروجه من السجن، وهو الكتاب الذى أسميته أنا «الاغتيال الثانى للسادات»، لأننى عندما قرأت الكتاب شعرت أن هيكل قد أخرج السادات من قبره وقام بإطلاق الرصاص عليه مرة أخرى كنوع من الانتقام.

ويضيف د.ميلاد حنا أن ما تمتع به هيكل داخل السجن بعد اغتيال السادات لم يكن من الممكن أن يحصل عليه عندما كان السادات مازال حيا، بالرغم من تعاطف السجانين معه، ومن المعروف أن السادات كان يضع عيونه داخل السجن للتجسس على المسئولين ومدى التزامهم بالتعليمات، خاصة فيما يتعلق بعدد من الأسماء، من أبرزها هيكل، أما السبب وراء حرص السادات على معرفة ما يفعله هيكل فى السجن، فهو أن هيكل كان يتعالى على السادات باعتباره هو الذى جاء به رئيسا للجمهورية، ففى المفاوضات الأولى عقب وفاة عبدالناصر كان هو الذى قال أن السادات يصلح لمنصب رئيس الجمهورية وأن على صبرى لايصلح والمدهش - ومازال الكلام للدكتور ميلاد حنا - أننى سألت هيكل بعد مدة طويلة قائلا له: لقد جرى ما جرى. لكن ألم تندم أنك رشحت السادات لرئاسة مصر عقب رحيل عبدالناصر فكانت النتيجة أنه قد حبس كل زملائه، وعندما اتخذ قرار العبور لم يأخذ برأيك، كما تفاوض مع كيسنجر باعتبار أن تدخل أنت الجراج ولا تصبح مستشارا له وعمل كامب ديفيد، وفى النهاية أدخلك أنت أيضا السجن. فكان رد هيكل: لو أعاد

التاريخ نفسه مرة أخرى لنصحت بأن يتولى السادات رئاسة مصر ولايأتى على صبرى.

سألته: لماذا؟

قال: لأنكم لاتعرفون هؤلاء الناس وأنا أعرفهم جيدا، على صبرى لو جاء لقام بإذلالنا جميعا. فاندهشت من هذا الكلام، لكننى اكتشفت أن الأمور فى الحياة السياسية ليست مجرد يسار ويمين، وإنما هناك تركيبة إنسانية.. فمن الجائز جدا أن يكون هناك شخص يسارى، وبالرغم من أننى يسارى إلا أننى أكرهه، وشخص آخر يمينى، لكننى أستلطفه وأفضل الإقامة معه هو بالذات فى الزنزانة لأن طبعه طيب ومتفاهم.

## فؤاد سراج الدين

وانتقل د. ميلاد حنا من الحديث عن «اللورد» إلى الحديث عن «الباشا» فيؤكد أن فؤاد سراج الدين كان رقم واحد فى السجن، وأنه كان الأقوى من هيكل وفتحى رضوان.

■ أسأل د. ميلاد حنا عن السبب؟

فيرد بتلقائية: هذا بحكم أنه كان وزير داخلية سابقا، وأن هذا السجون فى يوم من الأيام كانت تتبع له فكانت معاملته داخل السجن متميزة منذ البداية، حتى فى وقت وجود السادات، وإن كان هذا يتم بحذر، خوفا من أن يصل شىء حول تلك المعاملة المتميزة إلى السادات. والمدهش أن فؤاد سراج الدين - الباشا المرفه - كان شديد الصلابة فى السجن، وهو أمر لم أكن أتصوره، فقد كنت أتصور سلوكه على أنه باشا ابن باشا، عاش فى القصور، واعتاد على وجود الخدم والحشم الذين ينفذون أوامره. لكننى فوجئت به جدع وقوى.

وأجمل منظر رأيته داخل السجن، كان للباشا فؤاد سراج الدين مع العامل «البروليتارى» أبوالعز الحريرى.

فالصورة التى رأيتها كانت لفؤاد سراج الدين نائما على سرير السجن، غير قادر على القيام ويطلب من أبوالعز الحريرى أن يأخذ بيده.

فرأيت أبو العز «اليسارى» يأخذ بيد الباشا اليمينى لكى يقف، فى لقطة إنسانية تعكس قيام شاب بمساعدة الرجل الكبير، لكن مع الخلفية الطبقية لكل منهما التى تعطى للصورة أبعادا أكبر، كإشارة لاختفاء الكثير من الخلافات داخل السجن، فلم يعد الوفدى وفديا، ولا اليسارى يساريا، وإنما أصبحنا بشرا.

وكانت الحياة الجماعية جميلة جدا داخل السجن، فبعد رحيل السادات والسماح بدخول الطعام من أسر المسجونين تحول الطعام فى السجن إلى مستوى الخمس نجوم نتيجة لما كان يأتينا من خارج السجن، فقام الشباب على ما أذكر حمدين صباحى، وكمال أبوعيطة، ومحمد عبدالقدوس، وربما حسين عبدالرازق بتكوين لجنة تقوم بجمع الطعام الذى يتم إرساله من كل البيوت ثم إعادة توزيعه على الجميع.

## حديث المساء

أحد الملامح الجميلة فى السجن أيضا بعد اغتيال السادات هو «حديث المساء» الذى كان يدور عبر الزنازين والذى تحول إلى مسرح سياسى لم أر له مثيلا، كنا نوصل من خلاله ما نريد توصيله للقيادة. فمن المعروف أن هناك أجهزة تسجيل داخل السجون لتسجيل ما نقول ورفعه للقيادة.

وبذكاء شديد طرح هيكل سؤالا فى أحد أحاديث المساء، وهو: هل يرتدى حسنى مبارك بدلة مدنية أم عسكرية؟ فكان هذا أذكى سؤال. وكان الرد: أنه يرتدى بدلة مدنية. فقال هيكل: إذن سوف نخرج من السجن.

و«أحاديث المساء» هذه تضمنت أيضا ديالوج التحقيقات، فكان كل واحد منا يخرج لمقابلة المدعى الاشتراكى الذى يحقق معه، يصبح واجبا عليه عندما يعود أن يعطينا تقريرا فى المساء حول من هو مساعد المدعى الاشتراكى الذى قام بالتحقيق معه، نظرا لوجود حوالى سبعة أو ثمانية مساعدين للمدعى الاشتراكى. كما يذكر الأسئلة التى تم توجيهها إليه، وبالطبع الإجابات، ثم نصائحه لمن يخرج بعد ذلك فى التحقيقات القادمة.

ويضيف د. ميلاد حنا: أذكر أننى كنت أقيم فى زنزانة واحدة مع المرحوم فتحى رضوان الذى روى عند عودته من مكتب المدعى الاشتراكى

أنه حرص على أن يقدم دفاعا سياسيا. وعندما سألته عما يقصده رد: أنا بدأت منذ سنة ١٩٣٠، فقلت له: يا فتحى بك نحن نريد أن نخرج من السجن. فصمم قائلا: «لا . لابد من أن أسجل للتاريخ» وبالفعل أخذ فتحى رضوان الأمر بحماس شديد وأخذ يسجل رؤيته فى الأحداث السياسية، وما هو الخطأ فى مصر، وعبدالناصر، وكيف أصبح وزيرا للإرشاد. وكل يوم يأخذونه إلى مكتب المدعى العام الاشتراكى، ثم يعود، وأجد نفسى غارقا فى الضحك وأنا أسأله السؤال المتكرر: إلى أى عام وصلت مع المدعى الاشتراكى؟

وأرجوه: يا فتحى بك نريد أن نخرج، امنحنا فرصة أن يمر الدور على الباقين حتى تنتهى التحقيقات ونخرج، وتحول سؤال «إلى أى عام وصلت؟» إلى ماركة مسجلة للضحك. وأصبح فتحى رضوان صاحب أكبر عدد من الجلسات مع المدعى الاشتراكى، وتحول التحقيق معه إلى مرافعة طويلة اعتبرها هو شهادة للتاريخ.

■ هل شعرت بالاستفادة من تلك الأيام التى قضيتها وراء القضبان؟

- بعد مساحة من الصمت يعلق الدكتور ميلاد حنا قائلاً: فى لحظة الاعتقال تكون الحياة مظلمة، لكن مع مضى الأيام تتغير الأحداث وتتبدل المشاعر. والاعتقال حالة من الرعب المخيفة جدا. لكن عندما يمر الإنسان بالتجربة ذاتها ويعيشها، يجد أنه من الممكن أن يتحملها وتمر، ومن ثم فلا داعى للخوف والانفعال الشديد.

الأمر الثانى أننى لم أكن أتصور أن تتوالى الأحداث بهذه الكيفية، فلقد تم اعتقالى يوم ٣ سبتمبر ١٩٨١، ثم خرجت من المعتقل لكى أقابل رئيس الجمهورية الرئيس حسنى مبارك فى ٢٤ نوفمبر ١٩٨١، أى بعد أقل من ثلاثة أشهر، ولم أكن متصورا ولا فى الخيال أن السادات سوف يرحل فى هذه الظروف العجيبة. كان السجن تجربة فريدة من نوعها غيرت مسار حياتى، ولو لم أكن قد اعتقلت لفاتتنى فرصة يندر أن تتكرر، وتجربة الاعتقال ثم الإفراج لهما أهميتهما فى العالم الثالث لعدة أسباب: منها أنهما تأكيد على النضال. فبعد مضى ١٨ سنة من السجن حصلت على جائزة «سيمون بوليفار» الدولية من اليونسكو. وأزعم أن هذه الجائزة لا تعطى إلا للمناضلين. فقد حصل عليها «نيريرى» و«نيلسون مانديلا»

ورئيس تشيكوسلوفاكيا، وحصل عليها معى مناصفة رئيس البرتغال، وكلهم مناضلون دخلوا السجن بطريقة أو بأخرى. لذلك أعتقد أننى لو لم أكن قد اعتقلت فى سبتمبر ١٩٨١ ما كنت قد حصلت على جائزة «سيمون بوليفار». ولكن من منا يقرأ الغيب فأحد أسرار الكون أن الله يحجب عن الإنسان مستقبله.

بالإضافة لذلك كان المعتقل فترة ثرية للتأمل لأن مجريات الحياة فى العمل اليومى، الكتابة، مقابلة الناس، الجامعة، المحاضرات، العمل فى المكتب الهندسى، وغير ذلك من الأمور لا تعطى للإنسان فرصة لكى يتأمل ويعرف قصة الحياة، والهدف من المعيشة، والطموحات. فالسجن أو المعتقل خلوة مع النفس، وعودة إلى الداخل. وعلى سبيل المثال لقد أدركت فى المعتقل أنه فى إطار الظروف الحالية فى مصر، وفى إطار لا يوجد فيه تداول سلطة، ومن ثم لا معنى للعمل السياسى. لأن العمل السياسى يعنى أحزابا. والأحزاب تعنى مباراة ومسابقة لكى يحصل الحزب على أصوات فى البرلمان تؤهله لتأليف وزارة، وحيث أن هذه المعطيات غير متاحة عمليا، إذن العمل السياسى عبارة عن بيع للوهم. ولهذا السبب أعتقد أننا فى العمل السياسى نلعب لعبة التنس أو كرة الطاولة «البنج بونج»، لكن بدون كرة. فالمشاهد يرى لاعبين يتحركان فى الملعب ويقفزان ومضارب وجمهورا لكن لا توجد كرة.

وهذا أمر قد حدثت لى تجاهه استنارة خلال فترة المعتقل، فقررت وكان قرارا كبيرا، أننى ميلاد حنا المناضل الجرئ القوى تجاه قضايا الإسكان، والوحدة الوطنية والانحياز إلى الفقراء، بدأت أدرك أن طريق السياسة، طريق مسدود فانتقلت منه إلى الثقافة، وبالفعل أصبحت عضوا بالمجلس الأعلى للثقافة

## كوبنهاجن

■ فيما يتعلق بالسياسة كان السبب وراء سجنك هو معارضتك لاتفاقيات السلام مع إسرائيل. فهل هناك علاقة بين تجربة السجن وبين ما قيل مؤخرا حول أنك قد أصبحت من جماعة كوبنهاجن؟

ـ عندما دخلت السجن عام ١٩٨١ كنت شديد العداء للسادات، وكنت

شديد العداء لكامب ديفيد. والآن أنا لست من جماعة «كوبنهاجن»، وغير متفق مع هذا التوجه على الإطلاق لكن هناك علاقات إنسانية، وعندما اتصل بى صلاح بسيونى لأحضر مؤتمرهم الأخير فى فندق «ماريوت» استجبت وذهبت وقلت كلمة مدتها خمس دقائق تحدثت خلالها عن إسرائيل ومصر وإمكانية الوفاق فى المستقبل من منطلق أن توجهى السياسى الآن هو قبول الآخر. وفى هذا الإطار دعوت رئيس وزراء السودان السابق وزعيم حزب الأمة الصادق المهدى إلى بيتى، وأحاول القيام بدور للمساهمة فى المصالحة الوطنية بالسودان.

■ إذا كنت تسعى لمنع الفتنة الوطنية فى السودان، فإن المعروف أيضا أن الفتنة الطائفية لم تكن هى السبب وراء سجنك عام ١٩٨١. بل كانت معارضتك للاتفاقيات مع إسرائيل هى السبب. ومع ذلك فقد تم تصنيفك فى بداية فترة الاعتقال مع رجال الدين المسيحى فكيف حدث هذا. وما الذى تتذكره عن تلك الفترة؟

- يسترجع د. ميلاد حنا ذكرياته بوصوله إلى سجن طرة برفقة القوة التى قامت بالقبض عليه من منزله قائلا: كان هناك زحام شديد ولمحت د. حلمى مراد يرحمه الله وقلت له: أريد أن نكون معا فى الزنزانة. فرد مأمور السجن: هذا غير ممكن فالدكتور ميلاد سيتم نقله إلى سجن المرج. وسألته: لماذا؟ قال: لأن المرج به المساجين الأقباط. فشعرت أن قلبى قد تم شقه، وقلت هل من المعقول أن تشق مصر؟

وانتقلنا من «طرة» إلى «المرج» - حوالى ٤٠ كيلو مترا شمال القاهرة وصلنا هناك ودخلت حجرة مأمور السجن، فوجدت ضابطا من أمن الدولة يرتدى الملابس المدنية يفتش قسيسا بطريقة غير لائقة فانزعجت، وقلت له: يا حضرة الضابط لو سمحت تعامل الناس بطريقة أفضل. وبمجرد أن قلت له ذلك رفع يده بتعظيم سلام لى، وكنت أرتدى قميصا وبنطلونا، ومن خلفى يقف مأمور قسم الدقى بالزى الرسمى، وخلفه عسكرى يحمل حقيبتى. ويبدو أن ضابط أمن الدولة اعتقد أننى لواء فى أمن الدولة فرفع يده بتعظيم سلام لى.

وبعد قليل الضابط نفسه قال: هل باقى أحد فى الإيراد - الإيراد هو السجناء الذين تم القبض عليهم - قلت له: «أنا» قال لى: «مين يا أفندم»

قلت له: «أنا الدكتور ميلاد حنا» فابتسم ابتسامة من يريد أن يقول: «أنت قد ضحكت على» قلت له: من حقنا ونحن فى قمة التراجيديا بلغة شكسبير أن تكون هناك لحظة كوميدية، وقفت وأخرجت كل ما فى جيبى وتم عمل محضر، ثم أخذنى اثنان من السجانين الأشداء ومشيت بخطوة سريعة معهما رغما عنى، بينما أنا أشعر بالارهاق الشديد.

ووصلت الزنزانة فى الفجر، فأدخلونى ونمت فى الحال نوما عميقا كما لم يحدث لى من قبل. ولم أشعر أثناء النوم أين أنا، حتى أصبحت الساعة حوالى العاشرة ووجدت باب الزنزانة يفتح ويدخل قسيس قال لى: أنا القمص تادروس، وتعرفت به وقال لى: يبدو أن هذا السجن مخصص للأقباط. وكان السجن يأتيه وارد كل يوم، وكنت من أوائل الذين تم اعتقالهم، وجاء قساوسة وأساقفة إلى أن كان يوم ١٠ سبتمبر عندما استقرت الحالة وكانت هذه الفترة خصبة جدا فى سجن التجربة الموجود داخل سجن مزرعة المرج، لكنها فى الوقت ذاته كانت فترة كئيبة، كان الطعام فظيعا لدرجة أن وزنى نقص ٧ كيلو جرامات خلال ذلك الشهر، وأصبحت ملابسى «مهرولة» والزنزانة مساحتها ٢ متر مربع والباب حديد أصم، فيما عدا شباك مساحته ١٠سم مربع، فكأننا كنا نتنفس من تحت الباب، فأنام على حرف «البرش» وأقترب بأنفى من الباب حتى أتنفس والمعروف أن «البرش» زمان كان يصنع من مجدول النخيل لكنه حاليا عبارة عن مرتبة اسفنج ارتفاعها ٢سم وشديدة القذارة وعلى الأرض مباشرة دون سرير، فكان النوم بالنسبة لى عذابا، والموسيقى عبارة عن أصوات البعوض المتوحش.

كان السجن مرحلتين: مرحلة قبل رحيل السادات، ومرحلة ما بعد السادات. فى المرحلة الأولى التى قضيتها فى سجن المرج، كان عدد الزنازين ٢٨ زنزانة، فى كل زنزانة اثنان، فكنا ٥٦ سجينا، ٢٤ قسيسا كاهنا، وثمانية أساقفة، و٢٤ أفنديا. فى البداية لم نكن نعرف بعضنا البعض، حتى دعا سمير تادروس الصحفى اليسارى كلا منا أن يقرأ رقم الزنزانة التى أمامه، ويقول الرقم للمقيم فى تلك الزنزانة كى يعرف كل منا رقم الزنزانة التى يقيم فيها فعرفنا أرقام الزنازين بهذه الطريقة، وبدأ ينادى بالترتيب زنزانة واحد فيرد عليه المقيمان فى هذا الرقم

باسميهما، وهكذا تم التعارف من وراء الأبواب وبدأنا من خلف الصاج المغلق وعبر طاقة صغيرة نتحدث ونصيح ونتبادل الرأى والسجان يصيح اسكت ياأفندى لكن أى أفندى.

## معركة الديمقراطية مع المطران

■ أسأل الدكتور ميلاد حنا وما هى الشخصيات المهمة التى ظهرت أمامك من خلال تلك الحوارات؟

- يقول: فى هذا الإطار توجد شخصية مهمة جدا هو الأنبا بيشوى مطران دمياط ودير القديسة دميانة ببلقاس وسكرتير المجمع المقدس هذا الرجل هو المساعد الرئيسى للبابا شنودة وخرج من الدير إلى المعتقل ووضعوه فى الزنزانة رقم ١ لأهميته وفى أحد الأيام حدث احتكاك بينى وبينه فقد كنا لا نملك أوراقا ولا أقلاما ولا يوجد معنا سوى الكتاب المقدس فاقترحت المجموعة باعتبارها تضم رجال دين أن نتحدث ونناقش تفسير بعض الصفحات من الكتاب المقدس.

وكان يوجد أسقف آخر هو الأنبا بيمن، ومعنى اسمه بالقبطية هو الراعى. هذا الرجل كان صديقى منذ سنوات طويلة، وهو الذى بدأ فى تفسير آيات من الكتاب المقدس ثم بدأ يقترح المناقشة وأن يدلى كل منا بدلوه فأخذ كل واحد من المجموعة يتحدث، ولاحظت وجود تركيز من الجميع على معرفة رأى ميلاد حنا - أنا - فأدركت أن هذا الرجل المشهور والذى له سمعة أنه كان ابن الكنيسة فى شبابه وكان زميلا للأنبا شنودة فى سن ١٦، ١٨ سنة ومعروف فى دوائر مدارس الأحد ثم ذهب إلى إنجلترا ودرس الماركسية ونقل إلى الحزب الاشتراكى الديمقراطى وبدأوا يوجهون أسئلتهم لى ليعرفوا توجهى الدينى.

وتكلمت كلاما اجتماعيا أكثر منه دينيا فوجدت أن كلامى هذا يلقى منهم إعجابا وفى أحد الأيام قالوا نريد أن نسمع رأى الدكتور ميلاد حنا فإذا بالأنبا «بيشوى» مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس يقول باعتبارى أقدم الأساقفة أمنع د. ميلاد حنا من الكلام.

وعندما سمعت هذا لم أرد إنما رد أحد الكهنة واسمه إبراهيم عبده كاهن كنيسة «الأنبا أنطونيوس» فى شبرا قائلا يا سيدنا نحن نريد أن نستمع

إلى وجهة نظر الدكتور ميلاد حنا - والمطران يقولون له سيدنا - رد الأنبا بيشوى أنت قسيس وهذا ليس الأسلوب الذى تتحدث به مع مطران، وباعتبارى أقدم واحد هنا أقول لكم أن الدكتور ميلاد حنا لا يتكلم وإذا تكلم فإن السجن هنا فيه أجهزة تصنت وكل تعليقاته خاصة بالمجتمع ويجرجركم نحو السياسة، وبالتالى ستظلون فى السجن ولا تخرجوا.
فرد عليه القسيس إبراهيم عبده قائلا: ياسيدنا نحن ناس عندنا إيمان عميق وقوى هل تخاف علينا من أن يخرجنا واحد مثل الدكتور ميلاد بمنطقه عن الإيمان. فرد الأنبا بيشوى بكلام لم أقبله فاضطررت لأن أتدخل فوقفت على بطانية لكى يكون صوتى مسموعا وتكلمت من «الطاقة» التى فى الباب، وقلت له أيها المطران الموجود فى الزنزانة رقم ١ أعلن أن الكلام الذى جاء على لسانك هو كلام غير ديمقراطى، وغير جيد، ولا يليق برجل دين ينبغى أن يتسم بالسماحة والحب والمودة، وإذا كنت تقول أننى أجرجركم إلى السياسة فأنا مسئول عما أقول وأنتم مسئولون عما تقولون. وإذا كنت تعتبر أننى سأتسبب فى استمراركم فى السجن لأننى أدخلكم في مسائل سياسية فأحب أقول لك أننى سأخرج قبلك وسوف أزورك وأنت فى المعتقل كما أعلن أنك قبل أن تصبح مطرانا كنت معيدا فى كلية الهندسة وأنا كنت أستاذا وأنا أكبر منك سنا وأقدمية، وأنت لم تكن تتجاسر أن تأتى لمقابلتى لكنى خلعت رداء الأستاذية داخل السجن وأنت خلعت رداء الأسقفية، وبناء عليه فكلانا هنا مواطن وإنسان وإذا كانت هذه الروح منك ستستمر بهذا الشكل، فأنا أنادى بعزلك من أنك أسقف وأقدم مطران وأطالب الإخوان أن يختاروا هنا من يأتى باختيارنا نحن ليصبح رئيسا لهذا المعسكر. ووافق المجموع واعتبرت أن تلك المناقشة كانت من أجل الديمقراطية وحق الحوار، وبعد كلامى لم يتكلم وتم اختيار الأنبا بيمن الذى أذاع سرا، وقال الدكتور ميلاد حنا كان أستاذى فى مدارس الأحد وهو الذى أدخلنى فى الخدمة الكنسية.

■ وهل انتهت علاقتك مع الأنبا «بيشوى» عند حدود مناقشة المساء العاصفة؟

- لا. لقد حرصت على ألا تستمر القطيعة، لكن انتظرت الوقت المناسب ففى تلك الفترة كنا نخرج للتمشية فى الشمس لمدة نصف ساعة يوميا

بالدور لكى لا يرى المساجين بعضهم البعض، وقال لى أحد الأساقفة أثناء الخروج للشمس في أحد الأيام يا دكتور ميلاد لابد أن تحن على الأسقف لأنك أثرت فى نفسيته وعليك أن تصالحه لأن اليوم هو عيد جلوسه كمطران، وكان لى دلال على مأمور السجن الذى اعتاد أثناء مروره أن يفتح زنزانتى ويسأل: هل لكم طلبات؟ فى ذلك اليوم مر مأمور السجن وفتح الزنزانة فقلت له أن المطارنة الثمانية الذين هنا منهم المطران الذى فى الزنزانة رقم ١ هو أهم مطران، واليوم هو عيد تجليسه وشرحت له معنى ذلك وطلبت من المأمور أن يعطينا نصف ساعة فسحة للخروج فى الشمس والهواء ويعطى المطران ساعة كاملة فوافق وذهب إليه وأخبره، وبدأت أسارير الرجل تنفرج. وفى المساء وقت درس الكتاب المقدس والتفسير طلبت الكلمة من الأنبا بيمن، وقلت: لقد علمت أن اليوم هو عيد تجليس الأنبا بيشوى ونحن نتمنى له كل خير وكل توفيق وإذا كنت قد أخطأت فى حقه فإننى أعتذر له وتصافينا.

## نفق مظلم

■ هل حدثت هذه المصالحة قبل رحيل السادات أم بعد رحيله؟

ـ كان السادات مازال حيا وكنا نشعر أننا نتجه إلي نفق مظلم وأسوأ ما فى السجن هو انتظار المجهول، فالمجرم داخل السجن يسعده صدور حكم ضده لأنه يعرف أن هناك مدة لها بداية ونهاية لكننا أخذونا من بيوتنا، ولا نعرف تهمتنا، ولا متى ستتم محاكمتنا، ولا الحكم الذى سيصدر ضدنا، فكانت حالتنا النفسية سيئة جدا لدرجة أننا اعتقدنا أننا سنظل داخل المعتقل حتى نموت، ولم يكن أمامنا بديل وقيل لنا أن السادات يجهز لاحتفال عظيم فى ٢٥ أبريل عام ١٩٨٢ مع استكمال تحرير سيناء وأنه قرر أن نحضر نحن المعتقلين هذا الاحتفال، وأن الذى سيبايعه منا فى ذلك الاحتفال ويعترف بخطئه السابق سيتم الإفراج عنه فورا، وينضم إلي المحتفلين بهذا العيد القومى الكبير. أما الآخرون فكان مقررا إرسالهم إلي السجن بمدينة الطور إلى أن يدفنوا هناك فى الرمال، لكن تم اغتيال السادات وبرحيله أدركنا أن القصة انتهت وعندما طلبوا منا فى سجن المرج الذهاب لتسلم أماناتنا تصورنا أنه سيتم الإفراج عنا

لكن اتضح لنا أن أجهزة أمن الدولة تخشى علينا لأن سجن المرج قريب من منطقة عين شمس بالقاهرة التى كانت تضم أعدادا كبيرة من المتطرفين علموا بوجود ٥٦ من قيادات الأقباط فى مصر بداخل السجن فوضعوا خطة ليحاصروا السجن ونكون نحن رهينة يساومون الدولة عليها للإفراج عن أعضاء الجماعات الإسلامية الذين تم القبض عليهم. لذلك تقرر نقلنا من المرج، وكان نقلنا من المرج يشكل لدي أجهزة الأمن خوفا مزدوجا. أولا من أن نهرب والثانى من أن يختطفنا المتطرفون. لذلك فبعد تجهيز متعلقاتنا للرحيل تركونا ساعات واكتشفنا أن سبب هذا الانتظار الطويل كان تجهيز الموكب الذى سنسير فيه تحت حماية الأمن المركزى، فقد قاموا بشحننا داخل حافلات السجن التقليدية المغلقة تماما إلا من نافذتين صغيرتين نرى منهما الدنيا عبر حديد وسلك وكان يسير أمام السيارات وخلفها أمن ومدافع وموتوسيكلات ونحن داخل الحافلة، كلنا وقوف، وكنت أقف جوار النافذة، وأقدم وصفا تفصيليا حول المكان الذى وصلت إليه السيارة وحركة الحياة فى الشوارع والناس الذين يلعبون الطاولة على المقاهى ولا أحد يدرى بأحد والحياة تسير كما هى، ونحن لا ندرى إلى أين يتم نقلنا ولاحظت بعد فترة من الطريق أن الواقف إلى جوارى هو الأنبا بيشوى، وكانت تلك هى أول مرة أراه ويرانى منذ تم اعتقالنا. فكل ما كان بيننا عبر الزنازين من قبل كان كلاما بالصوت فقط من وراء الأبواب وبدون صورة فكررت له الاعتذار وقلت له أنت أخطأت وأنا أخطأت.

## معتقل وادى النطرون

■ وإلى أين وصلت بكم الرحلة؟

- إلى سجن وادى النطرون على طريق القاهرة الإسكندرية، وهناك أقمنا كلنا لأول مرة معا فى عنبر واحد فرأينا بعضنا البعض وكانت الأسرة ثلاثة أدوار، وكنت فى الدور الثالث وكانت التهوية فيه أفضل، صحيح كنت عرضة للناموس إنما الحياة الصحراوية فى وادى النطرون كانت صحية أكثر من مزرعة طرة، وقد وجدت خلافات فظيعة بين المطارنة الثمانية، كان من بينهم الأنبا «أمونيوس» أسقف الأقصر الذى قال لهم

أنا لا دخل لى بحياتكم الجماعية وسوف أغلق ستارة حول سريرى ولا أتحدث أو تتحدثون معى ووجدت خلافا بينه وبين أسقف آخر. فكانت تجربة سيئة جدا بالنسبة لى أن أرى هذا بين أساقفة من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مثال التسامح الدينى والمحبة فكيف تكون بينهم وبين بعضهم البعض خلافات.

ويواصل د. ميلاد حنا عرض شريط الذكريات قائلا فى سجن وادى النطرون كنا: نخرج جميعا ونجلس فى الشمس والهواء خارج العنبر وكان بقية مساجين الليمان على مرمى البصر. وفى يوم رأيت مأمور السجن يصفع أحد المساجين على وجهه عدة صفعات، وكان السجين يقع مع كل صفعة. فقلت للمأمور لماذا تعاملت مع ذلك السجين بتلك الطريقة، وليكن مجرما أو أخطأ لكن لم يكن هناك داع لصفعه أمام رجال الدين فهم ناس متحفظ عليهم ومعنى تصرفك هذا أنك ترسل لهم رسالة بأن من يحاول الخروج على النظام سيكون هذا مصيره، وإذا بكلامى هذا يجعل الرجل يشعر بالذنب، ويحاول أن يسترضينا فى الطعام والمعاملة والوقت الذى نقضيه فى الشمس.

## امرأة فى السجن

ومن المواقف الأخرى التى يرويها د. ميلاد حنا عن فترة معتقل وادى النطرون يقول: منذ اعتقالنا فى أول سبتمبر إلى وفاة السادات ثم انتقالنا إلى وادى النطرون فى ١٠ أكتوبر ١٩٨١ لم نلحظ أننا لم نر امرأة طوال تلك الفترة إلى أن رأينا فى أحد الأيام سيدة شياكة تدخل الليمان، حتى الأساقفة والرهبان أخذوا يقولون انظر. انظر امرأة انظر لحقيبتها انظر لحذائها وسألت أحد السجانين عن المرأة فقال: إنها طبيبة الأسنان تأتى مرة كل أسبوع وتذكرنا فجأة أننا لم نر امرأة طوال تلك الفترة دون أن نشعر أننا مفتقدون لشىء لكن بدأنا نشعر جميعا أننا كرجال يسعدنا أن نرى امرأة.

## إضراب عن الطعام

■ كيف تم نقلك بعد كل ذلك من سجن وادى النطرون إلى سجن طرة

القريب من القاهرة مع السياسيين؟

- كنت قد قررت الإضراب عن الطعام إلى أن يتم السماح لي بالانتقال إلى سجن طرة مع السياسيين ولا أظل مع الأقباط ليس لأنني متبرئ من ديني الذي أعتز به، لكنني كنت معترضا على هذا التقسيم إلى أن تمت الاستجابة، وكان الوسطاء في هذا الأمر للذكرى والتاريخ نادية العسقلاني محررة الشئون القضائية بأخبار اليوم وصديقة زوجتي إيفلين رياض وصديقتي وصديقة العائلة الدكتورة ليلي تكلا وزوجها الدكتور عبد الكريم درويش الذين توسطوا وقتها لوزارة الداخلية، وكان يوم نقلي من السجن مع الأقباط في وادي النطرون إلى ملحق سجن مزرعة طرة حيث كان السياسيون، يوم عيد لي لا تقل فرحتي فيه عن يوم الإفراج عني، ولقد أقام لي إخواني في طرة احتفالا مهولا، وقال لي المرحوم عصمت سيف الدولة أنه قد قدم طلبا للسادات بأن يتم اعتقاله هو مع الأقباط وأن يأتي ميلاد حنا ليعتقل مع السياسيين حتى يتم كسر تلك التفرقة، وكان هذا موقفا تاريخيا لعصمت سيف الدولة، وكان احتفال السياسيين بي يحمل نوعا من أنواع تأكيد الوحدة الوطنية.

■ بعد إقامتك مع السياسيين ما هو في رأيك الفرق بين وجودك مع رجال الدين المسيحي وبين وجودك بين السياسيين؟

- أستطيع أن أقول إن عشرة السياسيين أحسن من عشرة رجال الدين .

# قمة السلطة فى مصر
# عقب اغتيال السادات

## د. صوفى أبوطالب: كنت رئيسا لمدة ثمانية أيام

- فى اليوم الثامن تسطحت ببدلتى فوق «قش الأرز»
- «مبارك» قال لى: أنت رئيس الجمهورية
- رئاستى المؤقتة لمصر كانت عبئا ابتلانى الله به ولم أدخل مقر الرئاسة.
- سلمت الرئيس مبارك «قنبلة»
- فى البداية تصورت ما يجرى على المنصة جزءا من العرض العسكرى
- جذبنى د. عبدالقادر حاتم فانبطحت أرضا
- ووجدت كل الذين كانوا إلى جوارى منبطحين على الأرض
- رأيت النبوى إسماعيل يحتمى بعمود
- وشاهدت شخصا يطلق النار فى اتجاه النبوى
- الرئيس السادات شخصيا كان هو المقصود لأنهم لو أرادوا الاعتداء على كل الجالسين فى المنصة لفعلوا

---

- أكتوبر ١٩٩٩

- ثمانية أيام قضاها د. صوفى أبوطالب رئيسا مؤقتا لمصر. هى الأيام التى تفصل بين حكم الرئيس السادات، وبين حكم الرئيس حسنى مبارك. تلك الأيام الثمانية كانت أياما فاصلة فى تاريخ مصر، وكانت أياما عصيبة فى حياة د. صوفى أبوطالب الذى انتقلت من خلاله السلطة دستوريا بسلاسة شهد بها الجميع. مع ذلك فإن د. صوفى أبوطالب لم يسبق له الاعتراف بالتفاصيل الكاملة لتلك الأيام الثمانية العصيبة فى تاريخ مصر كما عاشها منذ رؤيته للرئيس السادات غارقا فى دمائه بمنصة العرض العسكرى وبين قواته المسلحة فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ إلى حين ما سماه هو بتسليم القنبلة للرئيس مبارك.

فى ذلك الوقت من عام ١٩٨١ كان الدكتور صوفى أبوطالب يشغل منصب رئيس «البرلمان»، ولهذا السبب أصبح مع اغتيال السادات رئيسا مؤقتا لمصر طبقا لما ينص عليه الدستور، والمدة المؤقتة التى كان له أن يقضيها رئيسا لمصر حسب نص الدستور هى شهران، لكنه اكتفى منها بأسبوع ويوم واحد فقط.

■ لماذا هذا الاكتفاء يا دكتور صوفى. ألم يجذبك كرسى الرئاسة؟ سؤال وجهته إليه فى مكتبه بكلية الحقوق التى عاد إليها ليمارس عمله أستاذا متفرغا بجامعة القاهرة التى شغل فى وقت من الأوقات منصب رئيسها.

- يرد الدكتور صوفى أبوطالب قائلا: ليس لى طموح شخصى لأن أصبح

رئيسا للجمهورية بل لقد كنت أشعر خلال الثمانية أيام التى قضيتها رئيسا مؤقتا لمصر بوجود قنبلة موقوتة أحتفظ بها فى بيتى إلى أن يأخذها صاحبها.

■ وهل اعتبرت أنك قد سلمت الرئيس مبارك قنبلة؟

- نعم وهل كان أحد يعرف أبعاد ما حدث فى ذلك الوقت.

■ لكن ألم تكن لديك مشاعر شخصية تجاه كونك قد أصبحت فى يوم وليلة رئيسا لمصر؟

- كل مشاعرى تركزت فى شىء واحد هو أن تتجنب مصر وقوع حرب أهلية، وأن تسير الأمور سيرها الطبيعى فى استمرارية الاستقرار بالرغم من فداحة الحدث.

■ أنا لا أقصد مشاعر الخوف على البلد. إنما سؤالى حول ما الذى كان يشكله ذلك لديك بشكل شخصى؟

- لم يكن يشكل شيئا إلا أنه عبء ابتلانى الله به.

## المنصة

■ إذن نعود إلى بداية الابتلاء ونستعيد معا ذكريات أحداث يوم اغتيال السادات. ماذا رأيت فى المنصة بالتفصيل؟

- أثناء وجودنا فى منصة العرض العسكرى الكبير بمدينة نصر، كنت جالسا إلى يمين السادات، وكان يفصل بينى وبينه ثلاثة أشخاص هم: النائب وقتها حسنى مبارك وممثل سلطان عمان، ثم على ما أذكر الدكتور محمد عبدالقادر حاتم، وأنا رجل مدنى، وأستخدم النظارة الطبية، ومشهد العرض العسكرى بالنسبة لى هو أن هناك من يهبطون ببراشوت أمامنا، وفى السماء طائرات تمر محدثة دخانا أحمر وأصفر وأزرق، ثم فى نهاية طابور عرض المركبات المدرعة اتجهت سيارة ناحية المنصة، فجأة نهض الرئيس السادات واقفا وقال «مش معقول.. مش معقول» وأعقبها مباشرة صوت «بوم»، أنا تصورت أن هذا جزء من العرض العسكرى، وإذا بالدكتور عبدالقادر حاتم يجذبنى بقوة فانبطحت أرضا. ونظرت حولى على الأرض فوجدت كل الذين كانوا إلى جوارى منبطحين على الأرض أيضا.

عند ذلك بدأت أدرك أن هناك أمرا غير عادى. فات ما يقرب من الدقيقة أو الدقيقتين سكوتا. وأثناء وجودى منبطحا على الأرض رأيت شخصا صعد من السلم القريب منا. وكان النبوى إسماعيل وزير الداخلية وقتها جالسا على أحد مقاعد الصف نفسه الذى كنت أجلس فيه، ورأيته ينتقل من مكان لآخر ويحتمى بعمود. وكان هناك إطلاق نار من الشخص الذى يصعد على السلم وهذا كل ما رأيته.

■ هل هذا الشخص كان يطلق النار فى اتجاه السادات أم فى اتجاه النبوى إسماعيل؟

- كان يطلق النار فى اتجاه النبوى إسماعيل.

■ وكيف كان حال الرئيس السادات؟

- بعد دقيقة أو دقيقتين اتجهت بنظرى ناحية الرئيس السادات فوجدته غارقا فى الدماء، ثم حملوه إلى مستشفى المعادى، وجاءنى الضابط المرافق لى واحتضننى من الخلف وهو يقول لى «حمدالله على السلامة».
سألته: ما الذى جرى؟

قال: لقد تم إلقاء قنبلتين على المنصة انفجرت واحدة والثانية لم تنفجر بعد. وطلب منى أن أغادر المنصة قائلا لى أنه سيوضح لى الأمور فى الخارج.

خرجنا من المنصة، ما الذى جرى؟ كرروا ما قاله الضابط: لقد تم إلقاء قنبلتين إحداهما لم تنفجر بعد، وكانت الإضافة هى أن ذكروا أسماء الذين قتلوا والذين أصيبوا. نظرت ورأيت الحالات المصابة قبل أن يتم نقلها.

وتوجهت إلى بيتى، حيث كان هناك موعد لدواء معين لابد أن أتناوله ورفض الضابط المرافق لى العودة من الطريق نفسه الذى جئنا منه، فسارت بنا السيارة من طريق آخر.

■ هل تغيير المسار سببه توقع وجود كمائن مثلا فى الطريق المعتاد؟

- عندما سألت الضابط عن السبب وراء تغيير اتجاه عودتنا إلى المنزل كان رده: «وهل أحد يعرف أبعاد ما يجرى». ليس هذا فقط، بل لقد كان معترضا فى البداية على عودتى أصلا إلى المنزل.

وعندما ذكرت له موضوع الدواء رد بأنه يستطيع أن يحضر لى الدواء

من أية صيدلية، لكننى فضلت العودة إلى منزلى. وعلى مضض من الحارس عدت إلى بيتى، وتناولت الدواء، وبعد قليل جاءنى تليفون كى أذهب إلى مقر مجلس الوزراء؟

يفكر د. صوفى أبوطالب متذكرا، ثم يرد: لو حسبنا مسافة الطريق من المنصة بمدينة نصر إلى بيتى فى حى «جاردن سيتى» نجد أن الاتصال قد جاء بعد حوالى ساعة من اغتيال السادات.

فالحادث وقع فى الساعة الواحدة ظهرا، والاتصال من مجلس الوزراء جاءنى حوالى الساعة الثانية أو الثانية والربع.

وعندما وصلت إلى مقر مجلس الوزراء وجدت نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت حسنى مبارك موجودا. وكان موجودا أيضا د. فؤاد محيى الدين نائب رئيس الوزراء والنبوى إسماعيل وزير الداخلية، ووزير الدفاع وقتها المشير أبوغزالة، وفكرى مكرم عبيد أمين عام الحزب الوطنى، ومجموعة من القيادات توالى وصولهم.

## مات الرئيس ويحيا الوطن

وأول ما قاله لى حسنى مبارك نائب الرئيس وقتها هو: «الرئيس السادات - يارب تعيش - قد توفى وأنت بحكم الدستور رئيس الجمهورية المؤقت، وأنت رجل قانون وافعل ما يمليه عليك ضميرك».

أنا حقيقة بالرغم من تقديرى الكبير والعلاقة الكبيرة التى كانت بينى وبين الرئيس السادات إلا أن الله قد أنزل على سكينة غير عادية إلى درجة أننى لم أذرف دمعة واحدة، لمدة ثلاثة أيام متتالية، وكان كل اهتمامى منصبا على إنقاذ البلد، لذلك أخذنا نتشاور ونتحدث حول مجموعة من القرارات التى لابد أن يتم اتخاذها سريعا، وقلت لإخواننا ونحن مجتمعون: علينا أن نتوخى أمرين، الأول الحيلولة دون حرب أهلية فى البلد وخاصة أننا لا نعلم أبعاد المخطط، وإن كان الانطباع الأول عندى هو أن الرئيس السادات شخصيا كان هو المقصود لأنهم لو أرادوا الاعتداء على كل الجالسين فى المنصة لفعلوا. والأمر الثانى هو أنه لابد أن يعلم الجميع سواء فى داخل أو خارج مصر أنه بالرغم من فداحة الحدث، إلا أن مصر دولة متحضرة تنتقل فيها السلطة بهدوء مثل أى بلد ديمقراطى.

ومنذ اللحظة الأولى ترسخ فى ذهنى هذان الاعتباران. إذن لابد أن يكون تصرفى فى ضوئهما، وقابلتنا مجموعة من المشاكل، أولا عدم إعلان نبأ وفاة السادات للشعب المصرى إلا بعد أن نكون قد رتبنا البيت من الداخل مخافة من أنه إذا تم إعلان الوفاة فمن الوارد أن يخرج شخص مغامر بدبابتين إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون ويعلن «بيان رقم واحد». وبذلك يكون قد قام بانقلاب. وبالتالى قررنا تأجيل إذاعة النبأ إلى أن نرتب بيتنا من الداخل وكيف نرتبه من الداخل؟

يحدث ترشيح لرئيس الجمهورية الذى يحل محل السادات، وبالصدفة مجلس الشعب وفقا للنظام المصرى له وكيلان هما محمد عبدالحميد رضوان ومحمد رشوان، وكلاهما كان قد اختير قبل حادث الاغتيال بشهر عضوا فى الوزارة رضوان وزيرا للثقافة، ورشوان وزيرا لشئون مجلس الشعب وبذلك كان منصبا وكيلى المجلس شاغرين.

ثم من يدعو مجلس الشعب للانعقاد؟ يدعوه رئيس الجمهورية، فقمت بتوجيه الدعوة. ومن يرأس مجلس الشعب أثناء انعقاده، دستوريا يتولى رئيس مجلس الشعب رئاسة الجمهورية بقوة القانون ومن حق رئيس الجمهورية طبقا للدستور المصرى أن يرأس مجلس الوزراء، أما السلطة التشريعية متمثلة فى مجلس الشعب فصحيح أنه دستوريا من الممكن أن يجمع بين رئاسة مجلس الشعب ورئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة باعتبار أن هذا بحكم الوظيفة، إنما قد يثور كلام بعدم جواز أن يكون رئيس الجمهورية رئيسا لمجلس الشعب فى الوقت نفسه، ولايجوز العكس، إذن ابتعادا عن شبهة عدم الدستورية وحتى يكون تصرفنا سليما مائة بالمائة من الناحية الدستورية كان لابد أن يرشح الحزب الوطنى الحاكم وصاحب الأغلبية وكيلين لمجلس الشعب وعرض الترشيح على المجلس عند انعقاده لإقراره.

وتداولنا نحن الموجودين فى الأمر، ووقع الاختيار على المرحوم سيد زكى ومختار هانى وكيلين للمجلس. والمشكلة الثانية التى واجهتنا، هى أنه لابد من إعلان حالة الطوارئ فورا. وقمت بإعلان حالة الطوارئ بصفتى رئيسا للجمهورية طبقا للدستور وعرض ذلك على مجلس الشعب فى أول انعقاد له ليقر تصرف رئيس الجمهورية بإعلان حالة الطوارئ

أو لا يقره.

والمشكلة الثالثة هى أن الوزارة بحكم الدستور تسقط بمجرد وفاة رئيس الجمهورية. إذن لابد من تشكيل وزارة جديدة تقوم بالعمل التنفيذى إلى أن يأتى رئيس جديد للجمهورية. وانتهينا بالتشاور إلى أن تبقى الوزارة كما هى إعمالا للقاعدة التى التزمنا بها وهى أن هناك استقرارا بالرغم من فداحة الحدث. ثم كان لابد من استصدار قرارات جمهورية بكل هذا، فقمت بإصدار القرارات بصفتى رئيسا مؤقتا للجمهورية.

ثم جئنا للنقطة الأهم للاستقرار وهى ترشيح رئيس الجمهورية فاجتمعنا كمكتب سياسى للحزب الوطنى وطرحنا موضوع من الذى يتم ترشيحه رئيسا للجمهورية من جانب الحزب تمهيدا لعرضه على مجلس الشعب. ناقشنا هذه الأمور وانتهينا بالإجماع إلى ترشيح النائب حسنى مبارك لتولى رئاسة الجمهورية لسببين: الأول أن السادات رحمه الله كان يتحدث مع القيادات فيقوم بعمل مقارنة بين النظام السياسى الأمريكى والنظام الروسى باعتبار أن النظام الروسى يقوم على التصفية الجسدية، وهذا يظهر عند انتقال السلطة، أما فى النظام الأمريكى فيتم انتقال السلطة بهدوء وسلاسة كما حدث عقب اغتيال الرئيس كينيدى، كما كان السادات يقول لنا دائما عندكم من بعدى «حسنى»، لذلك قلنا فى وثيقة الترشيح أنه بناء على توصية الرئيس السادات فإننا نرشح نائب الرئيس حسنى مبارك لرئاسة الجمهورية. والسبب الثانى أننا قد خبرناه كنائب لرئيس الجمهورية منذ عام ١٩٧٥ لمدة ست سنوات وبالتجربة وجدناه قد أثبت قدرة على إمكانية قيامه بهذا العمل الضخم. إذن الوصية من ناحية، والتجربة الشخصية كنائب للرئيس من ناحية ثانية. ومن هنا تم ترشيح مبارك بالإجماع كى يصبح رئيسا للجمهورية.

■ يعتقد البعض أن هناك نصا قانونيا يقضى بأن يتم ترشيح نائب الرئيس رئيسا فى حالة رحيل الرئيس فهل هذا صحيح؟

- لايوجد نص على هذا فمن الممكن ترشيح أى شخص.

■ من هو أول من رشح مبارك فى ذلك الوقت ليصبح رئيسا للجمهورية؟

- أنا الذى رشحته، حيث من اللياقة بصفتى رئيسا مؤقتا للجمهورية أن

يتركوا لى الاقتراح وقد وافقوا على هذا الترشيح بالإجماع، وهذا مجرد ترشيح من جانبنا. وبعدها لابد من عرض الأمر على مجلس الشعب صاحب الاختصاص الدستورى فى الترشيح، فنحن قمنا بالترشيح باعتبارنا الحزب صاحب الأغلبية.

## أطول ساعتين ونصف

■ هل حدث كل ذلك فى الساعتين ونصف الساعة التى سبقت الإعلان رسميا عن نبأ اغتيال السادات؟

- نعم كل هذا حدث ما بين الساعة الثانية والنصف ظهرا وحتى الخامسة من مساء يوم ٦أكتوبر ١٩٨١ فهى أطول ساعتين ونصف فى التاريخ بالنسبة لى ولكل الموجودين.

■ وكيف كان حال القيادات المجتمعة خلال تلك المناقشات؟

- كانت هذه المناقشات تدور بينما هناك من يبكى، وهناك من يترحم على السادات، وهناك المضطرب، وهناك المنفعل، فنحن بشر.

■ ومن الذى كان يبكى ومن الذى كان متماسكا مثلك؟

- هذا يختلف من شخص لآخر لكننى أفضل عدم ذكر الأسماء، أما عن نفسى فقد قلت أن الله قد أنزل علىّ سكينة فلم أفقد صوابى ولم أذرف دمعة واحدة لمدة ثلاثة أيام؟

■ هل هناك ترتيبات أخرى جرت خلال الساعتين والنصف الساعة التى سبقت إعلان نبأ الوفاة؟

- نعم. الإعداد للجنازة وقد كانت المشكلة بالنسبة للجنازة هى عدم معرفتنا لأبعاد الحدث، وهل هو مؤامرة لقلب نظام الحكم. أم حالة فردية. لذلك قررنا أن تكون الجنازة رسمية وتقتصر على الرسميين فقط حتى يكون تأمين الجنازة ممكنا.

وقلنا لامانع من اشتراك بعض الشعبيين كرمز، وذلك بحضور عدد يمثل هيئات شعبية.

## جنازة السادات وجنازة عبدالناصر

ويضيف د. صوفى أبوطالب. لذلك فإن المقارنة التى يقوم بها البعض

بين جنازة عبدالناصر وجنازة السادات مقارنة غير دقيقة. فلابد أن يوضع فى الاعتبار أن ظروف جنازة السادات تختلف عن ظروف جنازة عبدالناصر، فجمال عبدالناصر كانت وفاته طبيعية فخرج الشعب كله وراءه. أما ظروف جنازة السادات والوفاة بهذه الصورة والاغتيال وكل إنسان خائف على نفسه وخائف على الضيوف.

■ لكن لايجب أن نغفل أيضا أن جنازة عبدالناصر قد خرجت بكل هذه الصورة الشعبية الضخمة بالرغم من أننا كنا فى حالة حرب مع إسرائيل مما يستدعى أيضا نوعا من التوتر الأمنى؟

ـ هناك فرق بين حالة حرب مع إسرائيل وعدوان من الوارد أن يأتى من الخارج، وفرق بين اغتيال من الداخل مع عدم استبعاد وجود محاولة انقلاب، وبناء على هذا كان القرار أن تكون جنازة السادات رسمية. كل ذلك ومازالت هناك مسائل قمنا بمناقشتها فى الساعتين والنصف ساعة وجاء الدور لنجيب عن السؤال: أين يتم دفن السادات؟

ـ اتفقنا بعد مناقشات طويلة أن يتم بناء مسجد يليق به، لكن إلى أن يتم ذلك قررنا أن يتم دفنه فى مكان الحادث بجوار النصب التذكارى للجندى المجهول. وانتهينا من كل هذه الترتيبات وبقيت دعوة مجلس الشعب للانعقاد فى اليوم التالى. وقمت بدعوة مجلس الشعب للانعقاد فى اليوم التالى الذى تصادف أنه كان يوم وقفة عيد الأضحى المبارك.

نسيت أن أقول أن من بين الأمور التى طلبتها أيضا قبل عمل أى شىء هو أن يجتمع مجلس الوزراء ويخطرنى رسميا كرئيس مؤقت للجمهورية بأن الرئيس السادات قد توفى وتقرير الطبيب الشرعى حول سبب الوفاة وساعتها.

## من يلقى بيان الوفاة

وبعد أن تمت كل هذه الإجراءات الخاصة بترتيب البيت من الداخل أعددنا بيان الوفاة الذى يجب أن يلقيه رئيس الجمهورية المؤقت لإخطار الشعب المصرى بما حدث. وطبقا للدستور فمن المفروض أن يلقى هذا البيان رئيس الجمهورية المؤقت، لكن انطلاقا من مبدأ تحقيق الاستقرار وانتقال السلطة بسلاسة وتجنب حرب أهلية فضلت أن يقوم من رشحه

الحزب الوطنى لرئاسة الجمهورية وهو نائب الرئيس حسنى مبارك بإلقاء البيان.

■ معنى ذلك أن قيام نائب الرئيس فى ذلك الوقت بإلقاء بيان وفاة السادات كان بناء على اقتراح منك؟

ـ نعم. كى أؤكد أن هناك استمرارية.

■ أعتقد أيضا أن من تراه العين فى مثل هذه الظروف يثبت فى الذهن أنه هو الرئيس مثلما جرى مع السادات عقب وفاة عبدالناصر عندما قام هو بإلقاء بيان الوفاة؟

ـ بالإضافة لإلقاء بيان الوفاة فقد فوضت كل سلطات رئيس الجمهورية بقرارات منى لحسنى مبارك كنائب لرئيس الجمهورية، فأنا رجل أعمل بصفة مؤقتة كى تسير الأمور فقط إلى أن يتم انتخاب رئيس جديد للجمهورية.

■ بعد الانتهاء من المطلوب إنجازه فى أطول ساعتين ونصف الساعة ماذا فعلت عند الساعة الخامسة؟

ـ فى الخامسة مساء استمرت إدارتى للأمور لكن من بيتى، ولم أذهب إلى مقر رئاسة الجمهورية ولا غيرها، وظل هناك تليفون مفتوح بينى وبين الرئيس مبارك.

■ ومن الذى يقيم معك فى البيت؟

ـ يوم حادث اغتيال السادات كانت زوجتى وابنتاى فى السعودية لأداء فريضة الحج.

وعند عودتى إلى البيت ظهرا عقب حادث الاغتيال كى أتناول الدواء وجدت بالصدفة زوجتى تتصل بى تليفونيا وتقول لى نحن الآن ذاهبتان إلى «منى» فلم أخبرها بما جرى وكل ما قلته لها هو أن شيئا خطيرا قد حدث وأنها سوف تعرف ما جرى من الإذاعة والتليفزيون، سألتنى وما هو هذا الشىء الخطير؟ قلت لها لن أخبرك الآن بما جرى وأريدُ أن تعرفى عند سماعك بما جرى أننى لم أصب بأى سوء.

■ وهل طلبت منها أن تدعو لكم؟

ـ طبعا طلبت منها أن تدعو لنا.

■ ومن الذى كان موجودا وقتها فى البيت؟

ـ كان والدى «الله يرحمه» وكان مريضا تحت العلاج، ولقد وجدت أيضا فى البيت عند عودتى ظهرا زوج ابنتى المستشار محمد موسى نائب رئيس مجلس الدولة حاليا، وقد كان أصلا ضابط شرطة، وروى لى أنه بمجرد انقطاع الإرسال التليفزيونى توقع أن شيئا خطيرا قد حدث فجاء إلى بيتى، ووجد رجال الحراسة المعتادة الموجودين فى مدخل البيت، قال لهم أن شيئا مهما قد حدث اليوم، ومن الضرورى أن يمتد للدكتور صوفى، وأضاف قائلا لهم لو حاول أحد أن يخطو كى يصل إلى الدكتور صوفى فى الطابق الثانى فلابد أن يمر على جثثكم، وطلب من كل منهم أن يطمئنه على المدفع الرشاش الذى يحمله وهل هو جاهز أم غير جاهز.

وقال لهم أيضا أنه سوف يتابع معهم ما يجرى. كان هذا يوم اغتيال السادات، وفى اليوم التالى ومع العثور على قوائم الشخصيات التى يريد المتطرفون الاعتداء عليها كنت من بين هذه الشخصيات، وإذا بنا نفاجأ بأنبوبة بوتاجاز قد تم إرسالها إلينا فى البيت دون أن نكون قد طلبنا أنبوبة، وعندما فتحت الشغالة للعامل الذى يحمل الأنبوبة قالت له: نحن لم نطلب أنبوبة فرد العامل لكن عندنا تبليغ بذلك فى مركز أنابيب البوتاجاز. وعندما عرف محمد موسى زوج ابنتى اتصل فورا بمركز بيع أنابيب البوتاجاز.

■ وكيف عرف بحكاية الأنبوبة؟

ـ اتصلت به الشغالة فقد قام بالتنبيه على كل من فى البيت بعدم فتح الباب لأى أحد، وبعدم دخول أى غريب، لكن الحراسة الموجودة تحت البيت كانوا قد تركوا عامل البوتاجاز يصعد باعتبار أننا قد طلبنا أنبوبة، المهم أن مركز توزيع البوتاجاز قال لمحمد موسى أن هناك بالفعل تبليغا بطلب إرسال أنبوبة إلى بيت الدكتور صوفى أبوطالب فأمرهم باسترداد الأنبوبة فورا والكشف عليها ويعلم الله ما الذى كان فى هذه الأنبوبة.

■ وماذا وجدوا عند الكشف عليها؟

ـ فى ذلك الوقت لم يكن لدينا الوقت لمتابعة مثل هذه الأشياء لكن الحذر واجب بالرغم من وجود عربة مصفحة على مدخل البيت.

■ من أى مكان كنت تمارس عملك خلال الثمانية أيام التى قضيتها

رئيسا مؤقتا لمصر؟

- كنت أذهب إلى مكتبى فى مجلس الشعب أو عند أحد الوكيلين لكننى لم أدخل القصر الجمهورى كرئيس مؤقت للجمهورية لأنها عملية مؤقتة ولا داعى لذلك، وكان العمل لا ينقطع بعودتى إلى المنزل لأن الخط الساخن كان مفتوحا باستمرار بينى وبين الرئيس مبارك فى الأمور التى تقتضى التفاهم وما أكثرها.

■ هل يمكن أن تذكر لنا أمثلة من هذه الأمور؟

- مثل الجماعة الذين تم القبض عليهم وقت حادث الاغتيال وتحويلهم للمحاكمة، ومثل الإهمال فى الجيش، حيث وقع الاغتيال أثناء العرض العسكرى، كل هذه الأمور كانت تحتاج لقرارات يتم تنفيذها. وكان موقفى طوال هذا الوقت هو الاهتمام بالقرارات اليومية، أما القرارات التى تمس السياسة العامة للدولة فقد حرصت على أن أتجنبها ولا أقوم بالتوقيع عليها وأن أتركها لرئيس الجمهورية المنتخب.

■ ما هى أمثلة القرارات التى كانت مطروحة ورأيت أنه من الصواب ألا تتخذ بنفسك قرارا فيها؟

- مثال ذلك إحالة مجموعة من رجال الجيش للتقاعد بسبب الإهمال، فهذا قرار من الأفضل ألا يكون لى كرئيس جمهورية مؤقت، ولأننى كنت قد فوضت النائب خلال فترة رئاستى المؤقتة فى اختصاصات رئيس الجمهورية فكان من الأفضل ترك القرار له وهو أكثر منى معرفة بالجيش، كذلك عندما كنا نتحدث عن التشكيل الوزارى الذى سيتم بعد الاستفتاء حرصت على أن أتجنب مثل هذه الأمور لأنهم سيعملون معه هو وليس معى وهذا أمر طبيعى فلا يجب أن أضع عقبات فى طريق من سيأتى.

■ كيف علمتم بأحداث أسيوط التى تمكن فيها أعضاء الجماعات المتطرفة من احتلال قسم الشرطة؟

- أخطرنا بها النبوى إسماعيل وزير الداخلية فى ذلك الوقت، وكان سؤاله هو ماذا نفعل؟ وبالتشاور مع مبارك ومع وزير الداخلية تم الاتفاق على الإجراءات التى لابد من اتخاذها معهم.

■ ماذا كان رأى النبوى إسماعيل وقتها عن الحالة الأمنية؟

ـ البعض فى مجلس الشعب وجهوا له ما يشبه الاتهام بالإهمال الذى أدى إلى مقتل السادات وسط أبنائه فى الجيش. وكان كلام النبوى وهو مثبت فى مضبطة مجلس الشعب أنه فى مثل هذه الأحوال ينتهى دور وزارة الداخلية عند مكان معين، بعد ذلك يتولى الجيش دوره، ثم بعد ذلك قوات الحرس الجمهورى فى المنصة، وعلى غير العادة فى هذه المرة لم يوجد حرس جمهورى فى المنصة.

■ ما تعليل هذا الأمر؟

ـ قيل أن السادات رفض أن تكون له حراسة وسط أبنائه فى القوات المسلحة.

■ لماذا؟

ـ هذا قدر.

■ ألم يتم توجيه السؤال للنبوى إسماعيل حول أنه حتى إذا كانت واقعة الاغتيال لم تقع فى مكان تحت مسئوليته المباشرة إلا أن هناك مسئولية أخرى غير مباشرة تقع عليه وهى اعتقالات سبتمبر الشهيرة التى أوحى إلى السادات أن يأخذ قرارا بها؟

ـ هذه قضية ثانية.

■ كيف تكون قضية ثانية وهل اغتيال السادات يعود فقط إلى تقصير الأمن المحيط به فى المنصة، أليست هذه الاعتقالات هى أحد أسباب من تحركوا لاغتياله؟

ـ هناك من يربطون بين اعتقالات سبتمبر واغتيال السادات وهناك من لا يربطون بين الاعتقال والاغتيال بل يعتبرون أن اعتقالات سبتمبر كانت مجرد قشة قصمت ظهر البعير وأن الأصل فى الموضوع أن الكثيرين من أبناء الشعب المصرى لا يريدون السلام مع إسرائيل ويرفضون كامب ديفيد لأن نتائج كامب ديفيد لم تكن قد اكتملت بعد حيث اكتمل الانسحاب فى أبريل ١٩٨٢ وهذا الفريق ليس أغلبية لكن كان له رأى ضد الصلح أو السلام مع إسرائيل وقد يكون هذا هو البداية.

## من القاتل

ويضيف د. صوفى أبوطالب: أما أنا فأرجح أن الاغتيال عملية وراءها

جهة أجنبية، لكن لا يوجد عندى دليل إنما مجرد إحساس داخلى.

■ من أى شيء ينبع هذا الإحساس؟

- ينبع من الآتى: أن الرئيس السادات عندما وقع اتفاقية كامب ديفيد كان فى ذهن إسرائيل عمل صلح منفرد مع مصر، وأن تنفض مصر يدها من القضية، لكن خطابه عن السلام فى الكنيست وسلوكه معهم فى المفاوضات كان وحدة لا تتجزأ. نعمل إطار سلام، ننفذه فى مصر ونوصى بتنفيذه فى فلسطين وفى الدول المجاورة التى تم احتلال أراضيها مثل سورية والأردن لأن حل قضايا جزئية لمصر وحدها، والأردن وحدها وسورية وحدها ولبنان وحدها دون حل القضية الفلسطينية لن يحل المشكلة وسيظل السلام هشا. هذه كانت وجهة نظر السادات، وكانت وجهة نظر الإسرائيليين هى أنه لو جنبنا مصر وأعدنا إليها أرضها إذن فستنفض مصر يدها من القضية الفلسطينية ويتصرف اليهود كما يريدون مع العرب. إذن هما خطان متناقضان لكن استمر السادات بعد أن حصل لمصر على السلام فى المطالبة بحقوق الفلسطينيين، واليهود استمروا فى المماطلة، إذن أصبح السادات يمثل لإسرائيل والأمريكان وغيرهم عبئا فقد انتهى من التفاوض حول أرضه ثم هو يطالب بها للفلسطينيين إذن يتخلصوا منه هذا هو إحساسى حول اغتيال السادات.

■ متى جاءك هذا الإحساس؟

- بعد حادث اغتيال السادات مباشرة.

■ وماذا عن الجنازة؟

- عن أية ناحية فى الجنازة تسألين؟!

■ أنا لا أسأل عن وقائع الجنازة لكننى أسألك عن خواطرك أثناء الجنازة بعد أن راودك هذا الإحساس؟

- هل تعرفين المثل المصرى الذى يقول «يقتل القتيل ويمشى فى جنازته» هذا هو ما دار فى ذهنى وأنا أسير فى الجنازة.

■ هل تتصور أن الجماعات المتطرفة مخترقة من المخابرات الأمريكية أو من الموساد؟

- يقينا.

■ يقينا؟
- نعم يقينا.
■ لماذا؟
- لا توجد جماعة فى الدنيا تقوم بالتهديد بالقتل أو بالتهديد بالإرهاب إلا وهى مخترقة جاسوسيا من الجهات الأخرى، فكل دولة لها جواسيس فى أماكن مختلفة وتقوم بالاختراق والبراعة فى أن تترك الشخص الذى يقوم بالعملية يقوم بها دون أن يشعر أنه مدفوع إليها. فيجهزون له المسرح كى يقوم بالعملية ويتوهم أنها من أفكاره وهذا ما حدث.
■ قلت أنك لم تذرف الدمع على السادات إلا بعد ثلاثة أيام، فما الذى فجر الدمع بعد ذلك؟
- سبب تفجر الدمع هو أننى قد أصبحت أكثر استرخاء لأن عبئا كبيرا على قد تم التخلص منه، حيث انتهينا من تجهيز أشياء عديدة وأقسمت الوزارة اليمين الدستورية وبدأنا نضع أنفسنا على الطريق الطبيعى الجديد.
■ بماذا تفسر السلاسة التى تم بها انتقال السلطة فى مصر عقب اغتيال السادات؟
- أثناء الجنازة وبعدها سألنى أكثر من شخص هذا السؤال سواء من رؤساء أمريكا الذين جاءوا للمشاركة فى الجنازة أو من فرنسا، حيث سألنى رئيس مجلس الشيوخ الفرنسى كيف استطعت أن تنقل السلطة بهذا الهدوء وهذه السلاسة فى بلد من بلدان العالم الثالث المشهور بالتصفيات الجسدية والانقلابات العسكرية؟ وروى أنه فى فرنسا بقى مدة الستين يوما المقررة فى الدستور كى يصل إلى اتفاق على الشخص الذى يخلف الرئيس ديجول بعد اعتزاله، والرئيس بومبيدو بعد وفاته. باعتبار أن رئيس مجلس الشيوخ فى فرنسا هو الذى يحل محل رئيس الجمهورية فى حالة خلو المنصب. وقلت له المسألة عندنا أبسط من عندكم لأن بلادكم فيها أحزاب قوية تقوم بتشكيل حكومة ظل بداية من رئيس الجمهورية وحتى المحافظ، وجاهزة، وتستطيع فورا فى اليوم التالى أن تقوم بالتشكيل لكن الأحزاب عندنا مازالت جديدة وتكونت عام

١٩٧٧، والأحزاب عندنا ضعيفة ولا يوجد من بينها حزب قوى سوى الحزب الوطنى، ثانيا إن الشعب المصرى يتميز بأنه فى الشدائد يصبح رجلا واحدا، ثالثا أن الشعب المصرى وقياداته قد جربوا الرئيس مبارك فاستطعنا بسهولة جميعا سواء من المعارضة أو الأغلبية أن نتفق على الرئيس مبارك، إذن لا داعى لأن يستمر رئيس الجمهورية المؤقت لمدة ستين يوما. فالدستور ينص على أن الانتقال يتم خلال ٦٠ يوما. إذن فيما لا يزيد على ستين يوما وما لا يقل عن ثمانية أيام، لكن مادام لا يوجد اختلاف إذن الأفضل الاكتفاء بأقل مدة مقررة فى القانون وهى ثمانية أيام.

■ عند عودتك إلى المنزل فى اليوم الثامن، وقد انتهت فترة رئاستك المؤقتة لمصر ماذا فعلت؟

- فى اليوم الثامن وحسب ما قاله لى الناس وأقاربى وحسب ما رأيت نفسى فى المرآة فقد تقدمت بى السن عشرين عاما، لذلك سألنى أبنائى أين تريد أن تذهب للاستجمام، أحدهم قال بورسعيد، والآخر اقترح بيتنا فى الإسكندرية، أما أنا فقلت لهم أن هناك قاعدة أصلية أعرفها وأنا رجل فلاح، وهى أن المكان الذى ولد فيه الإنسان عندما يتعرض لمرض نفسى أو عضوى لو عاد للإقامة فى ذلك المكان لبعض الوقت سيبرأ من هذا المرض، لذلك قلت لهم أريد الذهاب إلى الفيوم مسقط رأسى. وذهبت إلى بيتنا هناك وكنا وقتها فى شهر أكتوبر وكان الفلاحون فى ذلك الوقت يدرسون الأرز ويتطاير قش الأرز وهم ينشدون الأغانى الجميلة، فأول ما فعلته حتى قبل أن أدخل بيتنا فى الفيوم هو أن تسطحت ببدلتى الكاملة فوق قش الأرز، ولأن مهمة الضابط المرافق هى تأمينى فقد قال لى: هل هذا معقول؟ قلت له: نعم، ولماذا غير معقول أنا سأستريح هكذا. رد كيف نقوم بالحراسة؟ قلت له: وهل ستحرسوننى فى بيتى، لقد كان الرئيس السادات محروسا فى بيته والحارس هو الله وأنا مؤمن بأن «احفظ الله يحفظك» وأنا أحفظ الله فى تصرفاتى ولا أحد يستطيع أن يفعل شيئا عندما يأتى الأجل، فعندما يأتى الأجل لا يمكن لمليون حراسة أن تفعل شيئا. وأضفت قائلا للضابط: القوة التى جئت بها كى تحرسنى وتحمينى خذها وارحل. فقال لى: لا أستطيع أن أتركك

فالتعليمات عندى هى مرافقتك، قلت له: لا أريد أن أسمع هذا الرد مرة أخرى ولقد كان ذكيا فما فعله هو أن نفذ كلامى ونفذ التعليمات فى الوقت ذاته حيث أخذ الحراسة التى جاء بها ووقف على مسافة كيلومتر من البيت.

■ وأين كان قش الأرز؟

- فى الجرن. أمام البيت مباشرة.

■ أضحك وأقول: وهل شعرت بالاسترخاء الحقيقى فى حضن الضوء الطبيعى والسماء؟

- يضحك الدكتور صوفى أبوطالب ويكرر: طبعا فقد قمت بتسليم القنبلة لصاحبها وهو حر يفجرها، يتركها هو حر فيها، وأنا استرحت ويكفينى أن الله قد جنب مصر حربا أهلية.



# ذكريات من سجن النساء
# والخروج بعد اغتيال السادات

■ صافيناز كاظم: طلبت من الرئيس مبارك عدم اعتقال حامل أو مرضع.

■ د. عواطف عبدالرحمن:

قال لى الضابط وهو يعتقلنى: كلنا إخوة، لكننا ننفذ الأوامر.

■ د. لطيفة الزيات:

أخبار المساندة العربية لنا جعلتنا نجتاز المحنة بقوة.

■ د. أمينة رشيد:

أخبرنى الضابط وهو يعتقلنى أنهم سيأخذوننى عدة ساعات فقط

قال لى ابنى البالغ من العمر عشر سنوات: ربما كانوا كاذبين

■ فريدة النقاش:

تم اعتقالى أنا وزوجى وظل أطفالنا وحدهم، وهذا شىء مؤلم جداً.

■ فبراير ١٩٨٢

إذا كان د. ميلاد حنا قد روى تجربته ومشاهداته داخل السجن كأحد المعتقلين ضمن اعتقالات سبتمبر الشهيرة التى سبقت اغتيال الرئيس السادات مباشرة، إلا أن السيدات اللاتى تم اعتقالهن ضمن تلك الاعتقالات تظل لذكرياتهن ملامح لها طعم خاص، تتصدر تلك الذكريات لافتة عنوانها: الأبناء.

د. عواطف عبدالرحمن الأستاذة بكلية الإعلام، عرفت أنها مطلوب القبض عليها بينما هى فى مؤتمر علمى ببرلين ومعها ابنها الوحيد هشام، وما كان أسهل على غيرها البقاء فى الخارج وأن تجد عملا تعيش منه، ومعها ابنها يخفف عنها فراق الوطن، وما أكثر الهروب وتبرير المواقف، لكن د. عواطف عبدالرحمن لم تقبل البقاء خارج مصر وفضلت المواجهة بشجاعة، كمن يفتح صدره للموت مؤمنا بما يحمل من رسالة.

وإذا كان الأهل هم الذين يستقبلون عادة القادمين من السفر إلا أن د. عواطف كان فى استقبالها بالمطار مسئولون رسميون هم ممثلون لوزارة الداخلية لاصطحابها من المطار إلى الزنزانة.

تقول د. عواطف: «بعد أن ركبت الطائرة أنا وابنى أفهمته أن احتمال اعتقالى هو احتمال كبير جدا، فإذا به يشجعنى بكلماته، مما أعطانى اطمئنانا كبيرا، حيث لم أكن أريد أن يشعر هشام ابنى بأنه يدفع ثمن اختياراتى السياسية، فهو قد دفع من قبل ثمن اختياراتى الزوجية التى

لم توفق، وعدم التوفيق لم يكن نتيجة للظروف ولكن نتيجة لإصراري أنا. فكل واحد مسئول عن اختياراته، لكن ابنى قال لى أنه بالعكس يحترمنى جدا ويحترم أننى أتصرف دائما بما أقتنع به.

فى المطار فوجئت بوجود والده، صافحته.

قال لى أن اسمى بين المطلوب اعتقالهم. قلت له أن هذا ما توقعناه، نظر لابننا فوجده يقول له:

«ماما أفهمتنى كل شيء» وأخذ ابنى يقبلنى.

فقال والده: أنا كنت خائفا أن تنهارا لسماع الخبر لكن الواضح أنكما أقوى مما كنت أعتقد، وانتهينا من إجراءات المطار لابنى وقبلته ومضى مع والده، أخذ المسئولون فى المطار جواز سفرى، فقلت لهم: لا يوجد داع للتعطيل فأنا أعرف أننى مطلوبة، وأنا قادمة كى أسلم نفسى، اندهشوا. دخلت مع الضابط إلى حجرة فيها بعض القادمين إلى مصر بدون تأشيرة، وكان من بينهم شاب فلسطينى، وجدته ينادينى باسمى ثم يتقدم نحوى ويصافحنى ويشكرنى على كتاباتى حول قضية فلسطين، وحينما عرف أننى بين المتحفظ عليهم واسانى وقال لى: «إن الشعب الفلسطينى يكن لك الإعزاز والتقدير».

قبل الخروج فتشونى، سألونى عن حقيبة السفر، قلت: إن ابنى أخذها. قال الضابط: كيف وإذا به يفتش حقيبة يدى وهى حقيبة كبيرة إلى حد ما، أخرج كل الأوراق الخاصة بى بشكل شعرت معه بأننى أمام مسألة محرجة جدا، فأنا معتادة منذ كنت صغيرة على احترام خصوصية الآخرين، فكان أمرا فظيعا أن أشعر بانتهاك خصوصياتى بهذا الشكل.

ما الذى تغير؟!

كان المطار دائما هو أول ما كنت أراه عند العودة إلى مصر، وكنت أشعر بسعادة غامرة فيه كالعودة لرحم الأم، أشعر أن المطار يغلق على كصدفة البحر حين تفتح ثم تغلق مرة أخرى فأشعر بدفء خاص، وأننى أتنفس هواء فيه رائحة الربيع مهما كنا فى عز الشتاء أو فى الخريف، بينما فى هذه المرة شعرت بالذعر فى العيون والدهشة، وبأن الوجوه فيها مزيج من الأحاسيس، منزوع منها الأمان الذى كنت أشعر به دائما عند عودتى من رحلاتى الماضية.

وهذا ما جعلنى أشعر كأن الأرض التى أقف فوقها قد تم انتزاعها من تحتى وصرت كريشة منزوعة، والعسكر من حولى يرفعون الحراب والناس فى المطار يحيطون بنا كالأفلام التى كنا نراها عن الحرب العالمية الثانية حين كان النازيون يقبضون على أفراد المقاومة، وكان الإحساس ينتقل إلينا فى السينما فنحبس أنفاسنا، فما بالك أن يكون الإنسان هو بنفسه داخل هذا المشهد، أما خارج المطار فقد كانت هناك سيارة كبيرة فى انتظارنا، قال لى الضابط: هل أنت متعبة؟ قلت: أبدا، أنا لم أنم منذ يومين، قال لى: نحن ننفذ الأوامر وأنت إنسانة قوية ونحن نقدرك وأنت أستاذة فى الجامعة تربى أجيالا وأن كلنا إخوة، بدأت أبتلع دموعى وكأن روحى يتم سحبها، وكأن نوعا من التقوقع يحدث لى كأنه بداية عجز، قلت لهم: أنتم لا تتصورون ماذا كانت تعنى لى هذه الشوارع، لم أكمل كلامى والتزمت الصمت، حدث لى تداع داخلى، بدأت أربط حالتى السابقة بالشوارع والناس فشعرت بخريف الجو بالمعنى النفسى: اصفرار ورق الشجر، وفقدان لون الحياة، شعرت أن المواصلات تقفز فوق أجساد الناس وليسوا هم الذين يقفزون إلى داخلها، وأخذت أتساءل: هل إحساسى فيه شىء من المبالغة؟ أم أن البلد مقبلة بالفعل على حالة خريف؟!

## «ربنا كبير»

جاء ضابط واثنان من العساكر ومخبران لنقلى فى سيارة الشرطة إلى سجن القناطر، ورفضت أن أجلس فى الخلف، قال لى: ممنوع ركوب السيدات فى المقدمة، قلت له: إذن لا تعتقلوا سيدات.

قال السائق العجوز: «ربنا كبير»، وأخذ يتحدث معى حديثا مليئا بالإنسانية والوعى. وشعرت أن كل هؤلاء الضباط والعساكر مقهورون مثلى، لكنهم مضطرون لتنفيذ الأوامر، أخذت أنظر للضباط والعساكر وأرى فيهم وجه مصر البائس نتيجة ظروف عملهم، فوجوههم تعكس عبثية ما يجرى، وأن كل هذه الغمة مسألة طارئة وأصالة مصر هى التى ستبقى، وشعرت أننى لست ذاهبة إلى السجن، وأن القيدين يتحولان إلى شىء يضمنى ويحتضننى.

حين وصلت إلى القناطر نظرت للنيل، تذكرت كل ما كتبناه ضد نقل مياه النيل إلى إسرائيل وقلت لنفسي: وهل يمكن لهذا النيل الذى ترتبط به حياتنا أن يتم نقله؟ والنيل فى هذه المنطقة له جمال خاص وذكرياته مرتبطة بطفولتنا وبالرحلات وبالأوقات الجميلة، هذا أعادنى لذكريات الطفولة ونسيت أننى ذاهبة إلى السجن، بعد أن تجاوزنا منطقة الحدائق ودخلنا المنطقة المحيطة بالسجن شعرت أننى ذاهبة إلى بيت، فقد كنت منذ شهر واحد قد قمت بزيارة شاهندة مقلد، فكأننى ذاهبة لبيتها، مشاعرى تجاه الضابط والعساكر خففت من وطأة كل شىء، سقطت من أمام عينى بوابة السجن الضخمة، فتشونى، أدخلونى من حوش صغير، إلى باب كبير بداخله زنزانة. قابلتنى الدكتورة لطيفة الزيات بالدموع وهى تتساءل عما جعلنى أعود من السفر لألقى هذا المصير.

## ٥ محجبات و٥ سياسيات

تحكى الدكتورة لطيفة الزيات: كنا نقيم فى عنبر كبير يطل على حوش صغير له باب آخر وقضبان، وكان عالمنا ينتهى عند القضبان الثانية لأننا كنا معزولات عن بقية السجن، كان عددنا فى العنبر عشر سيدات، خمس سيدات محجبات صغيرات السن لا تزيد كبراهن على ٢٢ سنة، وخمس سيدات سياسيات أنا ود. عواطف عبدالرحمن ود. أمينة رشيد ود. نوال السعداوى وصافيناز كاظم قبل نقلها.

فى البداية، بسبب سوء المعيشة والقاذورات والحشرات والأمراض، أصيبت سيدتان منا بمرض الجرب لأننا وضعنا فى عنبر كان يقيم فيه أصلا المتسولون، فقمنا بمعركة كبيرة جدا لتحسين الأحوال المعيشية، ومثل هذه المعارك مهمة جدا فى السجن لأنها تحقق هدفا كبيرا، وقد استطعنا تحقيق كثير من المكاسب فى هذا الاتجاه وخاصة بعد إصابة زميلتين بمرض الجرب لأننا هددنا بإبلاغ هذا للعالم الخارجى والتشهير بالأوضاع.

إلى جانب سوء الأحوال المعيشية كان كل شىء ممنوعا، فلم تكن نتمتع بحقوق المعتقلات ولا بحقوق المسجونات العاديات ولا بأية حقوق أخرى، كنا ممنوعات من القراءة ومن الكتابة ومن الاستماع للراديو ومن قراءة

الصحف ومن تبادل الرسائل مع الأهل، ومن زيارة الأهل، ومن تناول طعام من خارج السجن، لم يكن مسموحا لنا بالاتصال بالعالم الخارجي، لم تكن عملية سجن بالمعنى المفهوم، ولكنها كانت عملية تأديب، ومحاولة قتل الجوهر الإنساني وإخضاع الإنسان وإركاعه على قدميه معتذرا ونادما وباكيا، وهي محاولة لم تنجح على الإطلاق، وكان وجود مسجونات سياسيات في السجن قبل وصولنا - مثل فريدة النقاش وشاهندة مقلد - قد سهل علينا كثيرا من الأمور فقد استطعن أن يوصلن لنا أطعمة وأن يصلن بيننا وبين العالم الخارجي عن طريق الخطابات.

كان يشغل بالنا في البداية: كيف نعيش عشر نساء معا تحت سقف واحد لمدة أربع وعشرين ساعة، بينما لكل واحدة مزاجها الخاص وتكوينها الخاص. اتضح أن هذا وهم وأن اللغة الإنسانية هي أهم لغة مشتركة، ولم تلبث أن نمت بيننا علاقات مودة وحب قوية جدا، ولم نلبث أن لعبنا دور الأمهات بسهولة، ولعبت الفتيات المحجبات صغيرات السن دور البنات.

## جو أسرى مريح

بالسلوك الجماعي وبالتنازل لصالح المجموعة زالت تحفظات من الجانبين وبدأت علاقات إنسانية جميلة، فتعلمن منا أشياء وتعلمنا منهن أشياء، وكنا نتصدى لإدارة السجن ونهدد ونرغب ونناقش، فدخلنا معارك مشتركة من أجل تحسين المعيشة، ومن أجل الدفاع عن صحتنا، ومن أجل رفع الظلم الذي وقع علينا، فمثلا حينما تعرضت الزميلة أمينة رشيد لتفتيش ذاتي، اعتبرنا ذلك مخلا بالتقاليد وبالعرف، لم نكن نحن فقط اللاتي أضربن، بل أضربت الفتيات المحجبات جنبا إلى جنب معنا احتجاجا على المعاملة الهمجية للدكتورة أمينة رشيد، فكتبنا عرائض احتجاج وطلبنا النائب العام وأخرجنا الأسرة خارج الزنزانة فاستجابوا في نفس اليوم.

كانت الزميلة أمل ابنة الشهيد عبدالفتاح إسماعيل حاملا وعمرها ١٨ سنة هي المسئولة عن طهو الطعام، وهي شخصية تدعو للإعجاب في سلوكياتها وفي إنسانيتها، وفتاة أخرى من المحجبات كانت مسئولة عن

توزيع الطعام، وهذا ما أوجد جوا أسريا جميلا، وعندما صار مسموحا بالورق والقلم كنا نقضى وقتا طويلا فى كتابة عرائض للمدعى الاشتراكى فى سبيل الإفراج عن مثل هذه الحالة للسجينة الحامل.

الشىء الجميل أيضا، كانت العلاقات التى نشأت بيننا نحن الأربع أنا ود. عواطف عبدالرحمن ود. نوال السعداوى ود. أمينة رشيد.

فنحن فى سن متقاربة رغم أننى أكبر منهن، كذلك ثقافتنا متقاربة وهذا هو الأهم، وثلاث منا عضوات فى لجنة الدفاع عن الثقافة القومية المضادة لإسرائيل، وتم القبض علينا لهذا السبب رغم أى ادعاء آخر، العلاقة التى نشأت بيننا كانت علاقة فريدة وأعتقد أن كل واحدة منا ستعتز بها إلى آخر العمر، وصل التواصل بيننا إلى حد أننا كنا نجر الأسرة فى الليالى المظلمة ونلصقها ببعضها البعض ونجلس نحن الأربع كأننا إنسان واحد، كل واحدة تتكلم وتتلقف الأخريات كلامها.

من الأسباب التى جعلتنا نجتاز المحنة بقوة ونخرج أقوى مما دخلنا المساندة العربية التى كانت تصل إلينا رغم كل شىء داخل السجن، كانت تصلنا أخبار احتجاجات الاتحادات العربية المهنية على سجننا، ووصلت إلينا أيضا احتجاجات الاتحادات النسائية العربية، وكانت تصلنا أخبار أن فتيات عربيات فى باريس وفى لندن كون لجانا للدفاع عن المسجونات السياسيات المصريات، وكل هذه الأنباء كانت ترفع من معنوياتنا إلى حد كبير جدا، وكانت تشعرنا بأننا لسنا وحدنا، وأن تمسكنا بقوميتنا وبالخط القومى العربى لم يذهب هباء وإنما له أصداء فى جميع أنحاء الوطن العربى، فكان هذا عنصرا أشعرنا بأننا لم نزرع فى صحراء.

## كاذبين يا ماما

تحكى د. أمينة رشيد أستاذة الأدب الفرنسى بجامعة القاهرة عن صدمة ابنها عند القبض عليها فتقول: كنت فى البيت أجهز بعض الصناديق لأنقل فيها كتبى كى أنتقل من بيتنا إلى شقة جديدة وكان ابنى يساعدنى «عمره عشر سنوات ويقيم فى فرنسا مع والده ويقضى الإجازات معى فقط» وجدت رجال الأمن قد جاءوا دون أن يكون معهم أمر من النيابة وطلبوا

منى أن أذهب معهم إلى وزارة الداخلية.

المفروض أن أقول لابنى متى سأعود، قالوا أنهم سيأخذوننى عدة ساعات ثم أعود فى اليوم التالى، فقلت هذا الكلام لابنى فقال لى: «ربما كانوا كاذبين». وفعلا بعد أن ذهبت معهم واستجوبونى فى الوزارة نقلونى إلى سجن القناطر.

وفى السجن تكلمت مع كثيرات من السجينات العاديات وعرفت تجاربهن وكتبت عنها فى مذكرات، لم أقم بعمل بحث بشكل منظم، لكننى اكتشفت أن الظروف نفسها الموجودة فى المجتمع موجودة أيضا فى السجن.

بعد الإفراج عنى كان ابنى قد سافر إلى فرنسا، فاتصلت به هاتفيا وكتبت له عدة رسائل.

وعرفت بعد عودته إلى فرنسا أن المدرسة قد طلبت منهم «موضوع إنشاء عن الحزن» فكتب موضوعا مؤثرا جدا، فاتصلت المدرسة بوالده، وقالت له أنه ربط الحزن فى الموضوع بالعجز وعدم الفهم، وهذا يعنى أنه - لأن عمره عشر سنوات - لم يستطع فهم ما حدث أمامه عند القبض علىَّ، وفى الوقت نفسه كان عاجزا عن فعل أى شىء لى.

## الأب والأم فى المعتقل

إذا كان القبض على الأم مسألة قاسية على الأبناء فإن القبض على الأم والأب معا هو الأشد قسوة.

الكاتبة الصحفية فريدة النقاش كانت محبوسة على ذمة التحقيق منذ شهر مارس، ثم ورد اسمها بين المتحفظ عليهم فى سبتمبر، وهى فى داخل السجن، وكما تقول: «عندما صدرت قوائم المتحفظ عليهم فى سبتمبر كنت موجودة فى السجن منذ ستة أشهر، ولم يكن هذا جديدا، لكن الذى أزعجنى بالفعل هو أنهم قبضوا أيضا على زوجى الكاتب الصحفى حسين عبدالرازق، وبالتالى تكرر ما حدث من قبل وظل أطفالنا وحدهم، كان هذا فى غاية القسوة على نفسى، فقد كان يطمئننى إلى حد ما أنه موجود مع الأولاد، فشعرت عند القبض عليه بعملية تدمير شديدة القسوة، فلم تكن هذه هى المرة الأولى التى يقبض فيها على كل منا ويظل

الأولاد وحدهم، فقد تم القبض على أنا وزوجي مرة سابقة في سنة ١٩٧٩ وكان ذلك قبل العيد بأيام، وقضى الأطفال العيد وحدهم، ومر علينا بعد ذلك ثلاثة أعياد ونحن في السجن، في تلك المرة كانت ابنتي رشا عمرها ١٤ سنة وابني جاسر عمره عشر سنوات وكان كل منهما مريضا ودرجة حرارته ٣٩ درجة.

من سنة ١٩٧٢ وحتى الآن تم تفتيش بيتنا ١١مرة، وهو تفتيش يتم بهجمة بوليسية شديدة في مشهد لا يمكن أن يعتاده الكبار، فما بالك بالأطفال فهم لا يمكن أن يتقبلوا هذا المشهد أو يتعاملوا معه باعتباره شيئا طبيعيا، فهو شيء مؤلم جدا ومزعج للنفس والضمير والوجدان.

## من السجن إلى قصر الرئاسة

كالمعتاد بعد الألم والقسوة والمعاناة وعندما تضيق الدنيا بشدة يأتي الفرج.

ولقد كانت الكاتبة الصحفية صافي ناز كاظم ضمن أول مجموعة تم الإفراج عنهم بعد اغتيال السادات، وهي المجموعة التي خرجت من السجن إلى قصر الرئاسة حيث استقبلهم الرئيس حسني مبارك. لم يعرف المفرج عنهم في ذلك اليوم أنهم منقولون للقاء الرئيس مبارك والحرية، حينما عرفت صافي ناز بالأمر بعد نقلها مع غيرها إلى قصر العروبة شعرت أنها «سندريلا» - على حد تعبيرها - سندريلا التي كانت جالسة، يدها على خدها في زنزانة انفرادية، يطلبون منها أن تمسح وتكنس وفجأة تأتي الساحرة الطيبة تأخذها إلى حفلة الأمير.

وفي هذه الحفلة أو الاجتماع رفعت صافي ناز يدها كي تتحدث ورفع آخرون أيديهم. فقال الرئيس مبارك: السيدات أولا، وكانت السيدة الأخرى في الاجتماع - وهي د. نوال السعداوي - قد تحدثت، ثم تحدثت صافي ناز فقالت: أنا سعيدة باللقاء، لكن لي مطلبا وهو أن يستتب في مصر عرف أو تقليد أو قانون يقضي بألا تمس حامل أو مرضع أو مسئولة عن أطفال قصر، إلا إذا ضبطت في حالات شديدة جدا.

هز الرئيس مبارك رأسه بأريحية وقال: هل هذا هو المكتوب في الورقة؟ وكانت صافي ناز قد أعطت الرئيس خطابا مكتوبا فقالت: «أنا كتبت عن

حالتين محددتين لكنى أطالب أن يكون هناك تقليد بهذا المعنى».

وإذا كانت السطور السابقة تتضمن ملامح مما جرى عند الخروج من السجن الى لقاء برئاسة الجمهورية فإن صافى ناز كاظم تؤكد أنها مقتنعة ككل مصرى بأن الظروف فى مصر مهما بلغت قسوتها تظل أفضل بكثير جدا من بلاد أخرى يذبح فيها الوطنيون، لكن هذه كانت المرة الثالثة التى يتم فيها اعتقال صافى ناز كاظم. المرة الأولى كانت فى يناير ١٩٧٣ خلال مظاهرات الجامعة قبل حرب أكتوبر، وكانت حاملا بابنتها نوارة، المرة الثانية فى يناير ١٩٧٥ فى عام المرأة العالمى وكانت ابنتها رضيعة.

تقول صافى ناز: «أحسست بجور وظلم لأننى فى المرة الأولى وقفت وقلت رأيى، وبناء على هذا الرأى - رغم أنه حقى الدستورى - دفعت الثمن.

فى المرة الثانية كنت أربى ابنتى الرضيعة وأحسست ببشاعة انتزاعى منها لأن حالة الفطام لابد أن تكون بالتدريج مع تعويض الطفل عن ذلك بالحنان، فانتزاع الأم من الطفل فجأة يؤدى إلى ترويع فى نفسية الطفل لا يمكن مداواته، لكنهم اعتقلونى وبدأت تهمة الحصار الآخر وهو اعتبارى شيوعية مع أنى لست شيوعية، أنا مسلمة وملتزمة بالحجاب منذ أديت فريضة الحج سنة ١٩٧٢. وبعد الإفراج عنى كان إحساسى هو أن آخذ ابنتى كالقطة فى فمى وأهرب إلى مكان أربيها فيه بعيدا عما يفعلون، وكنت قد انفصلت عن زوجى الشاعر أحمد فؤاد نجم وسافرت إلى العراق حيث قضيت خمس سنوات أعمل بالتدريس فى كلية الآداب إلى أن عدت فى يونيو «حزيران» ١٩٨٠.

فوجئت يوم ٢ سبتمبر الماضى بينما كنت أصلى صلاة قيام الليل وهى من النوافل المحببة جدا التى يتقرب الإنسان بها إلى الله فوجئت بقرع على الباب، كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، خرجت من الصلاة قبل إكمالها. قلت: مين. قال الطارق: مباحث أمن الدولة.

اندهشت بشدة فهو شىء لم أتوقعه على الإطلاق، فتحت الباب، وجدت عشرة رجال، حين دخلوا ملأوا البيت، فوجئت بهم جميعا مكسوفين ويحاولون أن يوفروا لى الحد الممكن من الرحمة ويعتذرون بأنه لولا

التعليمات ما جاءوا.

قلت لهم: «هتلر» كان يأمر بذبح الناس وبعد موته حوكم الضباط الذين كانوا ينفذون تعليماته، فكيف تنفذون تعليمات لا إنسانية ولا معقولة.

جهزت حقيبتي وما أحتاج إليه أو يحتاج إليه الآخرون في السجن، كانت ابنتي قد استيقظت بالطبع، أفهمتها الأمر، بدأت تبكي، قلت لها: المسلمون لا يبكون. ما أوجع قلبي أكثر هو مشهد ابنتي وهي تحاول أن تتجلد وتقول لي: «حاضر يا ماما لن أبكي»، تقول هذا والدموع تسيل من عينيها وهي طفلة عمرها سبع سنوات، قلت لابنتي: صلي وادعي لله، ووسط هذا وجدت نفسي أقول لهم: الدين يقول حرام أن أخرج مع رجال بدون «محرم» وأنتم عشرة رجال، أريد محرم. قالوا لي نحن شرطة.

وبمجرد أن بدأت السيارة تتحرك سمعت صرخات ابنتي، وسمعوها هم أيضا، واتضحت علامات التأثر على وجوههم أكثر مني.

في سجن القناطر كنا عشر سيدات في عنبر واحد، وكنت قد اعتدت على الحياة معهن، لكن في ٥ أكتوبر أخذوني للتحقيق، وإذا بي بعد العودة أجد أنني منقولة إلى زنزانة انفرادية كانت مخصصة في يوم من الأيام لجاسوسة إسرائيلية اسمها هبة سليم. هل هذا هومقامي. ألا يكفي سجني وإبعادي عن ابنتي. كنت قد طلبت من ابنتي أن تكتب شكوى للرئيس مبارك بظروفها الحقيقية بعد سجني وتشرح فيها كيف أنها مقيمة عند الجيران منذ ثلاثة أشهر وليس لها في الدنيا غيري، فكل إخوتي في الخارج وأمي متوفاة.

وبالفعل كنت مع الدفعة الأولى التي خرجت واستقبلها الرئيس، وكنا قد اعتدنا أن من يطلق سراحه ينقل مشاكل زملائه، وأنا بسرعة - حين علمت أننا سنقابل الرئيس مبارك - كتبت له ورقة ليعرف منها ما يحدث داخل السجن، وكانت هناك حالتان مؤثرتان جدا، أولا حالة أمل عبدالفتاح إسماعيل الحامل في الشهر الثامن، عمرها ١٨ سنة وهي محجبة وتهمتها أنها ابنة الشهيد عبدالفتاح إسماعيل الذي أعدم مع عدد من الإخوان المسلمين، وثانيا حالة سيدة محجبة اسمها عائشة عمرها ٢٠ سنة أخذوها من طفلتها الرضيعة التي لم تتجاوز سبعة أشهر من

العمر. وهذه السيدة أم صغيرة، كانت أحيانا تسير بيننا مذهولة وتقول: أنا ليست لى علاقة بشىء إلا الغسيل والرضاعة، لماذا أخذونى من ابنتى الرضيعة؟

لذلك وجدتها فرصة أن أعطى للرئيس رسالة عن هاتين الحالتين فكتبت: «لا أدرى لماذا نحن هنا ولا لأى سبب نجتمع، أرجو أن ألفت اهتمامك إلى هاتين الحالتين، واحد: حالة الحامل. اثنين: حالة المرضعة»، وكتبت ما جرى لهما، ثم ختمت بكلمات: «هل هذا يرضيك؟ مع دعائى».

## يوم اغتيال السادات
## كما ترويه السيدة جيهان

- في المستشفى قبل الإعلان رسميا عن الوفاة قلت: السادات «راح»
فصاح أنيس منصور: «لا تقولي هذا».
- الضابط الموجود خلفي على المنصة دفعني لأنبطح على الأرض
- عند إطلاق النار على المنصة صرخت بعض السيدات فقلت لإحداهن: لا تصرخي ما الذي ستفعله الصرخات.
- من المنصة ذهبت بسيارة إلى قصر القبة ومنه بطائرة إلى منزلنا بالجيزة
ومن المنزل بسيارة إلى مستشفى المعادي
- لا أعرف حتى اليوم كيف تحاملت على نفسي في ذلك اليوم.

▪ أكتوبر ١٩٨٨

كثيرون ذكروا تفاصيل يوم السادس من أكتوبر النصر والسادس من أكتوبر المنصة، ليس مجالنا المقارنة بين مختلف الروايات، لكننا هنا نسجل رواية مهمة من أكثر إنسانة كانت قريبة للرئيس الراحل أنور السادات وهى قرينته السيدة جيهان.

الجزء الأول من الرواية الخاص بحرب أكتوبر يتميز أنه ينقلنا إلى داخل بيت الرئيس السادات قبل حرب أكتوبر بيوم، حيث تروى السيدة جيهان السادات الوقائع كما يلى:

خرج السادات للتمشية كعادته فى حديقة المنزل، فالمشى لمدة ساعة يوميا هو إحدى عاداته التى كان يحرص على المواظبة عليها مهما كانت المشاغل لديه، بل كان يعتبر أن المشى يوميا هو أحد مشاغله، وكان يبرر ذلك بأن صحته طالما كانت جيدة إذن فتفكيره سليم.

وتتذكر أنه قبل خروجه للتمشيه فى ذلك اليوم كان قد طلب منها تجهيز حقيبة تكفيه محتوياتها لحوالى أسبوع، ثم أضاف ولو احتجت لأشياء أخرى فسأرسل فى طلب ما أريد.

ثم تؤكد السيدة جيهان السادات: لم يقل لى أكثر من هذا، وإن كنت قد توقعت أن ساعة الصفر قد اقتربت لأن الأيام التى سبقت ذلك اليوم كان يعقد خلالها العديد من الاجتماعات العسكرية وأشياء أخرى عديدة توحى بأننا سندخل الحرب، ودخول الحرب لم يكن سرا، وإن كان

التوقيت هو السر الكبير، فقد كان يكرر كثيرا فى خطبه أننا سنحارب، حتى إنه عندما تأخر فى إعلان الحرب خرجت النكات تسخر من عدم دخوله المعركة، وقالوا «سنة الضباب» باعتباره لم يحارب واعتقد البعض أنه يقول كلاما فقط وأنه لن ينفذ ومع ذلك لم يتسرع.

وبالفعل سافر يوم ٥ أكتوبر، ثم جاء يوم السادس من أكتوبر حيث كنت مرتبطة بعدد من المواعيد بعدها صعدت إلى غرفتى وأخذت معى مذياعا صغيرا سمعت فيه خبر تحرش من إسرائيل بقواتنا، فلم أترك المذياع إلى أن جاء أول خبر عن بدء الحرب وانضم أبنائى لى والتففنا جميعا حول المذياع ليصبح هو الوسيلة التى تربطنا بما يجرى من تطورات فى الحرب وكنا فى غاية السرور، ثم فورا نزلت مع السيدات المتطوعات إلى المستشفيات لمتابعة حالات الجرحى، كانت كلمات الجنود العائدين هى أجمل شىء فى الدنيا وقتها، فلكل منهم قصة بطولة واستبسال نسمعها بكل الإنبهار وبكل الفخر بأن أولادنا حققوا كل هذه الأعمال غير العادية.

## حادث المنصة

■ أسأل السيدة جيهان السادات: هل هناك مفارقات تتذكرينها حول يوم ٦ أكتوبر؟

– تقول: المفارقات حدثت فى يوم ٦ أكتوبر «الوفاة» وليس فى ٦ أكتوبر «النصر»، ففى يوم النصر سارت الأحداث بسلاسة مطلقة وبهدوء.

أما يوم ٦ أكتوبر «الوفاة» فهو الذى كان ملينا بالمفارقات.

■ أقول: ماذا بقى فى ذاكرتك من يوم المنصة؟

فتروى السيدة جيهان باسترسال عبر حالة شبيهة بمن يستغرقه أمر اعتاد أن يتحدث به مع نفسه ثم تصادف أن طلب أحد منه أن يتحدث حوله مع آخرين فيرويه بالطريقة نفسها التى يعيش بها هذا الأمر معه، مما أدى إلى أن يتخلل روايتها للذكرى بريق دموع وأنين نبرات، مما جعلنى أندهش من أن تلك السيدة التى بدت شديدة القوة فى يوم اغتيال زوجها هى فى الحقيقة تكتم بداخلها مزرعة للأحزان لم تذبل بالرغم من مرور السنين، ولقد كان أول ما ردت به على سؤالى هو أن قالت لى بصيغة

تقريرية وهى تتنهد:
- هذا اليوم باق كاملا، وليس جزءا منه، وأضافت:
بعد ١٧ سنة مازلت أذكر كل التفاصيل الدقيقة. ولقد ذكرت السيدة جيهان رقم ١٧ سنة كأنها تعدها سنة بسنة.

واسترسلت: لا أستطيع أن أنسى، خاصة عندما يقترب يوم الذكرى، صحيح العمل والحياة تأخذ الإنسان، والدنيا تسير، لكن هذا اليوم لا أستطيع أن أنساه، وبعد أن أتذكره أحاول أن أتذكر الأشياء الجيدة التى فعلها أنور السادات كى نعيش فى ذكرى جميلة. وأحيانا أتذكر أشياء وأقول لو كانت موجودة فإنها لم تكن ستغير من القدر ونحن مسلمون ومؤمنون ونعرف أن هذا هو عمره وبعيدا عن الإهمال، فإن واقعة عدم ارتدائه للقميص الواقى هى أمر لا يقع تحت مسئولية أحد، فلقد كان يملك عدة قمصان، وكانت خفيفة وليست من النوع الثقيل الذى يمثل حملا لمن يرتديها، ولم يسبق أن دار بيننا الحوار حول ضرورة ارتدائه للقميص الواقى، لكن ما فتح الكلام بيننا يومها هو ما سبق هذا العرض العسكرى من قلق فى البلد وتهديدات، لذلك حرصت يومها على أن أطلب منه ارتداء القميص، فكان رده: «يا جيهان أنا سأكون فى وسط أولادى، وأنا مؤمن، وعندما يأتى العمر لن ينفع القميص، فلو ارتديت القميص وجاءتنى رصاصة فى رأسى هل سأرتدى قميصا على رأسى، فالتزمت الصمت ولم أناقشه، وتعلق السيدة جيهان على مثل هذه المواقف التى كان الرئيس السادات يصمم عليها قائلة: لقد كان من النوع العنيد إلى حد ما، فكان متحكما أحيانا فى مثل هذه الأشياء التى لا يكون من السهل تغيير رأيه فيها.

ثم تواصل رواية ما جرى قائلة: لقد كنت فى المنصة، وحدث ما حدث أمامى، وكانت أول مرة فى حياتى أصحب فيها حفيدى وحفيدتى، والحقيقة أننى لم أكن أنوى اصطحابهما، لكن هو الذى أصر، لا أدرى لماذا، فلقد قال وهو يطلب منى اصطحابهما، أن العرض فيه فرحة، ومن المهم أن يشاهدوه، وبالفعل أخذتهم، لكن عندما حدث هذا المنظر أمامى الحقيقة أنا من طبيعتى هادئة ولست من النوع الذى يظهر مشاعره بسهولة، أذكر يومها جيدا أننى قد وقفت لمتابعة ما يجرى، وإذا

بالضابط الموجود خلفى يدفعنى لأنبطح على الأرض. نظرت له بدهشة، فرد: هذه مسئوليتى يا افندم، وبالفعل كانت طلقات الرصاص قريبة جدا، وكانت أصوات صرخات بعض النساء إلى جوارى، فقلت لإحداهن: لا تصرخى، أولا لوجود أطفال، ثانيا ما الذى ستفعله الصرخات، فالإنسان لابد أن يكون هادئا ويتمالك نفسه لكى يحسن التصرف، كل هذا استغرق عدة ثوان، قمت بسرعة، وجريت إلى تحت لأرى ماذا حدث، فى البداية نظرت من الشباك، لم أجد السادات، فالسرعة التى تم نقله بها كانت كبيرة جدا، بدليل أن أحدا لم يلتقط أى صورة له بعد سقوطه على الأرض، وأثناء نزولى قابلنى ضابط ياوران يرتدى بدلة بيضاء ملطخة بالدماء، سألته: أين الريس، أقسم بسرعة: لا تخافى لقد نقلته بنفسى وهو الآن فى المستشفى وفى حالة جيدة، لقد قال لى الضابط هذا، لكننى من الداخل لم أكن أشعر بالارتياح، مع ذلك التزمت الصمت وأخذت الحفيدين فى يدى، وكانت الدكتورة «زينب السبكى» موجودة فقالت لى: لن أتركك، واستقلت معى السيارة إلى قصر القبة، حيث ركبنا طائرة هليوكوبتر لتنقلنا إلى هنا فى منزلنا بالجيزة، ولم أكن وقتها أعرف أين تم نقل الرئيس السادات.

أحد الضباط جاءنى فور هبوط الطائرة، سألته: أين الريس؟

رد: فى مستشفى المعادى والذهاب إلى هناك بالطائرة مسألة ليست عملية لأن مهبط الطائرات بعيدا عن المستشفى ولا توجد سيارات ولا استعدادات، فكانت هناك بالطبع حالة من الفوضى، وكنت سأمشى مسافة تستغرق وقتا طويلا لوذهبت بالطائرة فقلت الذهاب بالسيارة أفضل.

## «راح»

وبالفعل أخذت السيارة و«طرت» إلى المستشفى. طبعا تركت الأحفاد فى البيت. وعندما وصلت إلى مستشفى المعادى توجهت إلى الغرفة الملحقة بغرفة العمليات، وأنا أعرف الطريق جيدا فى المستشفى منذ متابعتى للمرضى وقت الحرب وبالرغم من أن الضابط الياوران قال لى أنه فى حالة جيدة إلا أن الوجوه التى كنت أراها من حولى طوال سيرى

عبر طرقات المستشفى فى طريقى إلى الطابق العلوى حيث غرفة العمليات كانت تنظر إلى نظرات تجعلنى أفهم جيدا أنه «راح». وكان إحساسى الداخلى أيضا هو أنه «راح»، تصورى، كنت أشعر بهذا، لكن أحدا لم يصرح لى. فعندى إحساس أنه راح، مع ذلك لا أريد أن أصدق.

بوصولى إلى الغرفة الملحقة بغرفة العمليات وجدت أبنائى وبعض الوزراء. جلست حوالى خمس دقائق أو عشر دقائق، ثم قلت لنفسى كيف لا يأتى أحد ليطمئننا ويقول لنا إنه فى حالة جيدة. فوقفت وخرجت من الغرفة وتوجهت إلى غرفة العمليات.

وجدت الدكتور «عبدالمجيد» وكان رئيسا لقسم الجراحة بالمستشفى، وكان قد فقد ابنه أيام حرب الاستنزاف، وأذكر وقتها أننى كنت أواسيه وأقول له أننا مؤمنون وأن هذا هو قدره، ومثل هذا الكلام الذى نحاول به أن نخفف عن أب فقد ابنه.

عندما رأيت الدكتور «عبدالمجيد» سألته. فرد: أنا غير قادر، فهمت فى الحال. ودخلت غرفة العمليات.

«ملحوظة: فى هذا الجزء من الذكرى لم تقل الريس ولا السادات وإنما تتحدث عنه بضمير الغائب».

وتواصل السيدة جيهان السادات روايتها حول ما جرى قائلة:

وجدته نائما فى الفراش، والأطباء والممرضات جميعا يبكون، خرجت لأنادى أولادى كى يودعوه، جاء الأولاد. قبلوه وأنا قبلته، كان مشهدا لا يمكن أن يتخيله أحد، مشهد صعب جدا، كان مرتديا بدلته كما هو ونائما كأن شيئا لم يحدث سوى أن البدلة مقطوعة حيث يبدو أنهم حاولوا نزع «الكم» لإعطائه بعض الدم أو شىء من هذا القبيل.

طلبت من الدكتور ألا يدخل أحد عليه، وأخذت الأولاد وخرجت من الغرفة. وجدت الرئيس مبارك ومعه عدد من الوزراء، قلت له كلمات بينما صوتى مخنوق تماما.

سمعنى «أنيس منصور» الذى كان واقفا معه فصاح بصوت عال: «لا، لا تقولى هذا، لا تقولى هذا» كان هذا هو رده على قولى للرئيس مبارك بأن أنور السادات «راح» خلاص، لكن مصر باقية، و«البركة» فيك.

أخذت أولادى ونزلت. لا أستطيع أن أصف لك كيف حملتنى قدماى وكيف

كنت أسير . هذا فضل من الله.
بمجرد ركوب السيارة انفجرنا فى البكاء جميعا أنا والأولاد. وجئنا هنا، كان هناك أناس يأتون، جاء الرئيس كارتر ووفد من أمريكا.
لا أعرف كيف كنت أقابلهم، ولا أعرف حتى اليوم كيف أعطانى الله القوة، وكيف تحاملت على نفسى، وكيف استطعت أن أتكلم، لكن تأتى لحظات لا يريد الإنسان أن يراه أحد وهو يبكى، فيدخل دورة المياه مثلا ليختفى عن العيون أو يدخل غرفته كى يريح دموعه ثم يخرج أمام الناس وهو متماسك.



# بعد رحيل السادات

## كيف تعيش جيهان السادات

- تركت التدريس فى القاهرة بعد اغتيال السادات
- فى أمريكا أقوم بنفسى بإعداد الطعام
- أنا لست «حماة» لزوجة ابنى، وهى تعيش معى فى بيتى
- السادات جاءنى فى الحلم وقال لى: تعالى.
- السادات كان شديد الإخلاص.. ونوعية «مونيكا» لا تظهر إلا فى وجود رجل يشجعها على ذلك
- جاكلين كنيدى صديقتى لكنها سقطت من نظرى عندما أغراها المال بالزواج من أوناسيس
- لا أملك عزبة فى أمريكا وأى موظف يستطيع شراء فيللا مثل التى اشتريتها فى فيرجينيا

■ أكتوبر ١٩٩٨

أهم ما يميز السيدة «جيهان السادات» قرينة الرئيس المصرى الراحل أنور السادات هو أنها سيدة قوية، ولأنها قوية فهى تؤمن بأن الحياة لابد أن تستمر، ولكى تستمر الحياة فلابد أن يكون فيها جديد، وهى دائما تجيد اختيار الجديد.

وجديد السيدة جيهان السادات الآن هو استعدادها - كما تقول - لإقامة معرض لأعمالها الفنية.

تلك الأعمال التى روت لى حكايتها قائلة:

تعلمت الرسم زمان على يد فنان إيطالى، فالرسم هو إحدى هواياتى الأساسية منذ الصغر، وإن كنت قد توقفت عن ممارسة هذه الهواية بعد الإنجاب حيث استغرقنى دورى كأم، إلى أن عاودنى الحنين للريشة والألوان مؤخرا.

ولقد وصل عدد لوحاتى إلى ٥٠ لوحة قمت بتغليفها جميعا خوفا عليها من الأتربة تجهيزا لعرضها بإذن الله.

■ هل تمارسين هوايتك هذه هنا فى القاهرة أم أيضا فى فترات تواجدك بأمريكا؟

- هنا فى القاهرة، وأحيانا فى أمريكا خلال فترة تواجدى هناك للتدريس فى الجامعة.

■ ما المدة التى تقومين خلالها بالتدريس فى أمريكا؟

- فصل دراسى مدته ثلاثة أشهر كل عام عن المرأة المصرية وتقاليدنا وعن الإسلام، لأن لديهم فكرة مشوشة بشدة عن الإسلام، وهذه رسالة أقوم بها كمسلمة، أيضا بالنسبة لوضع المرأة هم يعتقدون أن المرأة عندنا متخلفة وليس لها أى دور ولكننى أوضح الأمور من خلال ذكر الحقائق، فالتدريس ليس فيه مجاملات.

ولقد بدأت التدريس فى أمريكا منذ اثنتى عشر عاما، تنقلت خلالها بين عدة جامعات. أول جامعة قمت بالتدريس فيها هى الجامعة الأمريكية فى واشنطن، ثم فى جامعة رادفورد فى فيرجينيا، كما قمت بالتدريس فى جامعة ساوث كارولينا فى كولومبيا، أما الآن فأقوم بالتدريس فى جامعة ميريلاند، وهى من أكبر الجامعات حيث تضم ٣٢ ألف طالب، وهذا أمر نادر فى أمريكا، وهى جامعة خارج واشنطن بمسافة بسيطة، فهى قريبة من بيتى هناك، كما أن لها قيمتها العلمية أيضا.

■ لماذا تركت التدريس هنا فى مصر؟

- كنت أعمل بالتدريس فى جامعة القاهرة، وتركتها بعد اغتيال السادات، حيث كنت أمر بوقت صعب جدا، أنا بشر مهما كنت أبدو متماسكة لكن بداخلى كنت حزينة جدا، خاصة مع الكلام السيئ الذى قيل عن «الريس» وعنى وعن أولادى، وهو كلام كذب فى كذب، فكنت أندهش فهذه ليست حرية الصحافة، فالحرية هى ذكر الحقائق بعد التأكد منها، لكن ما حدث أن كل يوم كان أحد الصحفيين يكتب كلاما ثم يقوم صحفى آخر بالتكذيب، أما أنا فقد أخذت عهدا على نفسى بعدم الرد على أى شىء كى لا أنزل إلى مستوى هذه الأكاذيب، فكنت أمر بأزمة، وجاءنى وقتها عرض من أمريكا للتدريس فى جامعة ساوث كارولينا، فقلت أسافر من أجل التغيير لمدة عام، وسافرت بالفعل، ثم وجدت أن المجالات هناك متسعة، وشعرت أن رسالتى فى الخارج أهم منها فى الداخل، فأنا فى جامعة القاهرة كنت أقوم بتدريس اللغة العربية، بينما هناك أساتذة آخرون غيرى، بالإضافة لأساتذتى الذين علمونى، لكن فى أمريكا أنا أعطى فكرة عن المجتمع المصرى والمرأة المصرية، والقضية الفلسطينية، وعن السلام وعن دور أنور السادات ودور مصر المستمر

وعن الإسلام الحقيقى، ومنذ ذهبت سمعنى الملايين فتوصيل القضية لهؤلاء بأمانة وصدق هو رسالة أشعر أنها مهمة جدا.

■ كيف تقضين وقتك فى أمريكا؟

– تعلمت من الشعب الأمريكى شيئا مهما، هو العمل بجدية، فلا شىء اسمه أن أقضى النهار أتحدث فى التليفون، أو أن أقضيه فى فراغ، فأنا دائما مشغولة، ما عدا يومى الإجازة الأسبوعية، وفيهما أرعى شئون المنزل، ففى أمريكا لا أحد يستعين بالشغالين بصورة دائمة، بل كل إنسان يرعى شئون بيته بنفسه، فى يومى الإجازة أنزل أعمل «شوبنج» فأشترى احتياجاتى بنفسى. أملأ ثلاجتى. أرتب منزلى، أجهز ملابسى.

■ وإعداد الطعام؟

– حتى الطعام أقوم بإعداده، وفى أمريكا التسهيلات كبيرة جدا فى هذا المجال، بالتالى فمن الممكن أن تعود المرأة من عملها وتقوم بإعداد وجبة طعام متكاملة فى حوالى نصف الساعة لأن كل شىء هناك شديد السهولة.

■ هل يقيم أحد معك فى أمريكا؟

– لا. عادة أقيم وحدى لكن جيرانى طيبون جدا.

■ أقول: جيران فى أمريكا؟

– ترد: هناك تناقض شديد فى أمريكا، واختلاف بين الناس، أنا جارتى معها مفتاح بيتى، فالزرع الذى داخل المنزل تدخل هى كل أسبوع لترويه أثناء فترة وجودى فى مصر، أما عندما أكون هناك فأنا أرعى الزرع بنفسى وهذه متعة كبيرة.

جارتى كثيرا ما تأتى لتناول طعام الإفطار معى فى الصباح قبل ذهابى إلى الجامعة، وبقية الجيران كلهم أصدقاء لى، وباستمرار نتبادل الزيارات، وكلهم يعرفون مواعيدى فيأتون باستمرار لزيارتى، وأدعوهم لتناول الطعام المصرى وهم يحبونه.

■ وهل تقومين بإعداد الطعام لهم أيضا بنفسك؟

– نعم. صينية البطاطس أقوم بإعدادها بكفاءة عالية.

■ أضحك وأقول: هذا أسهل طعام.

– فتضحك معى وتقول: بالفعل سهل جدا. ثم تضيف: أيضا أقوم بعمل

الأرز بكفاءة عالية.

■ أسألها: وماذا أيضا؟

ترد: اللحم البوفتيك أجيد عمله، أيضا الجمبرى أقوم بعمله بطريقة جميلة جدا وأحيانا أقوم بعمل عدة أنواع من الحلوى مثل الكنافة والبقلاوة، وأحكى لهم كيف أنها الطعام المفضل لنا يوميا فى رمضان.

■ أقول لها: وهل تخبرينهم أنها تؤدى لزيادة أوزاننا؟

- تضحك وتقول: بالفعل يزداد وزننا، لكنه طعام جميل، وهم يحبون الطعام المصرى بشدة.

■ وماذا عن يومك فى مصر؟

- فى مصر أشعر براحة نفسية كبيرة جدا. فأولادى وأحفادى باستمرار معى كذلك أصدقائى.

■ من أصدقاؤك فى مصر حاليا؟

- تضحك وتقول: يا خبر، هم كثيرون جدا جدا، الدكتور سيد الجندي، وميمى طليمات ابنة زكى طليمات، أحمد ياسين وزوجته، مروان قبانى وزوجته، السفير حسن فهمى وزوجته، عدد كبير جدا، الدكتور مصطفى خليل وزوجته، لا أريد أن أنسى أحدا، لأن عندى بالفعل مجموعة كبيرة من الأصدقاء والصديقات نتبادل الدعوات ونحن على اتصال دائم.

## الأحفاد

■ بعد مرور ربع قرن على حرب أكتوبر، نريد أن نشير إلى أبناء وأحفاد السادات بالتفصيل.

- ابنتى الكبيرة «لبنى» متزوجة من المهندس عبدالخالق عبدالغفار، عندها ليلى فى كلية الطب جامعة القاهرة، و«لبنى» على اسم والدتها فى السنة الأولى بالجامعة الأمريكية.

ابنى المهندس جمال متزوج من المهندسة شيرين فؤاد زين، ولجمال ابنتان من زواج سابق، الكبيرة «ياسمين» والتحقت بالجامعة الأمريكية هذا العام، و«نور» صغيرة فى المدرسة.

«نهى» ابنتى متزوجة من «حسن مرعى» ابن المهندس سيد مرعى رئيس

مجلس الشعب الأسبق وعندها أربعة أبناء «شريف» تخرج هذا العام فى الجامعة الأمريكية وهو أول من تخرج من الأحفاد، وهو حاليا عنده سنة تجنيد، وقد تزوجت «نهى» فى سن صغيرة، لذلك أنجبت «شريف» وعمرها ١٧ سنة وعندها أيضا «جيهان» فى الجامعة الأمريكية، وسارة وحسين مازالا فى المدارس.

أما أصغر بناتى «جيهان» فمتزوجة من المهندس «محمود عثمان» وهو ما شاء الله مهندس ناجح، وهو ابن «المهندس عثمان أحمد عثمان» وعندها «نهى» و«نهال» مازالتا فى المدارس، وأنا فخورة بأسرتى وبأزواج بناتى، وبزوجة ابنى، وهى مهندسة وعلى خلق وتقيم معى هى وابنى منذ حوالى عام وأنا سعيدة بهما جدا، وأنا لست «حماة» ولكن «أم» بالضبط لها كما أن بناتى يحببنها جدا.

ثم تستطرد: وأهم شىء عندى هو الرابطة الأسرية، ولا تتخيلى كيف تمنع الرابطة الأسرية مشاكل كبيرة جدا. فأنا أعرف من خلال أصدقائى أن هناك عائلات طيبة جدا لكن لديهم مع الأبناء مشاكل لأنهم لم يعطوهم الوقت الكافى.

■ هل تشعرين بصراع الأجيال؟

- أنا لم أكن أسمح لأبنائى بالخروج كثيرا وزيارة الأصدقاء، وكنت أقول لهم أنتم تلتقون بأصدقائكم فى المدرسة وهذا يكفى، فكنت أضيق عليهم، حتى ابنى عندما كان يذهب لزيارة صديق كنت أعرف من هو هذا الصديق، وبالرغم من أن أبنائى ورثوا عنى هذا إلا أن الجيل مختلف، أنا عندى عشرة أحفاد وكلهم والحمد لله على خلق، لكن عندما يخرجون يتأخرون قليلا عما كنت أفعل مع أبنائى، لكننا نعرف أين ذهبوا. و«جيهان» حفيدتى عندما تخرج لابد أن يكون «شريف» شقيقها معها، فمثلا لو ذهبوا إلى حفل يوم ميلاد من الممكن أن يعودوا الساعة الثانية عشرة، هذا موعد لم أكن أسمح به لأولادى، كان أقصى شىء العودة فى الساعة التاسعة، لكن الدنيا تتغير، وشطارة الأم ألا تعيش فى الماضى وترفض للأبناء كل شىء، بل تسمح لهم بأشياء وفى الوقت ذاته تغرس فيهم القيم، والحمد لله كلهم يؤدون الصلاة ويصومون ويعرفون ما هو العيب وما هو الخطأ، مثلا «شريف» حفيدى من الممكن أن يسهر مع

أصدقائه فى ليلة رأس السنة، ولأنهم يتأخرون فى السهرة فإنهم قبل عودتهم إلى المنزل يذهبون لأداء صلاة الفجر فى الجامع، وأصحابه أخلاقهم عالية جدا، كان من بين «شلته» شاب بدأ يشرب سجائر فنصحوه، ثم عرفوا أنه دخل فى طريق آخر هو الإدمان فقاطعوه، وأنا أكرر دائما أن على الأم أن تسمع من الأبناء لأنها بذلك تحميهم، وخاصة مع غرس المبادئ والأخلاقيات.

## جاكلين كيندى

▪ البعض شبهك فى قوتك بجاكلين كيندى باعتبار أن كلا منكما قد شهدت مصرع زوجها أمام عينيها وظلت ثابتة ومتماسكة، ثم واصلت الحياة بثبات. فما رأيك فى هذا؟

– جاكلين كيندى كانت صديقة لى، وعندما ذهبت إلى أمريكا للتدريس فى الجامعة هناك اتصلت بها، فقد كنت أجهز لعقد «سمينار» أو دورة تدريبية دعوت فيها زوجات الرؤساء لتتحدث كل منهن عن تجربتها، كما دعوت أيضا زوجة مارتن لوثر كينج، وباربارا وولترز، وزوجة الرئيس فورد، وزوجة الرئيس ريجان، وزوجة الرئيس بوش، واتصلت بجاكلين وقلت لها أنى أريدها أن تأتى وتحكى تجربتها. فكل إنسان لديه فى تجربته ما يستفيد به الآخرون، فزوجة الرئيس فورد مثلا روت كيف كانت تشرب الكحوليات ثم كيف أقامت بعد ذلك مركزا لمعالجة الإدمان، وقد روت التجربة بشجاعة عندما اعترفت بأنها قد تحولت وقتها إلى مدمنة بينما هى تعلم مساوئ الشرب والإدمان.

كما حكت زوجة الرئيس فورد عن الإساءة التى تحملها زوجها وأولادها وهى ترفض التوقف عن إدمانها إلى أن وقعت مرة وقاموا بنقلها إلى المستشفى حيث بدأ علاجها.

أما جاكلين كيندى فعندما دعوتها لتروى تجربتها وكيف تخطت الحزن، وكيف عبرت الكارثة التى تعرضت لها بثبات قالت لى: يا جيهان اطلبى منى أن أفعل أى شيء إلا أن أواجه الآخرين، وأضافت جاكلين أنها تتميز بالخجل الشديد لدرجة أنها لا تستطيع أن تقف وتلقى محاضرة.

بعد فترة جاء موعد افتتاح الجناح المصرى فى المتروبوليتان فى

نيويورك، وكانت هناك مجموعة من الآثار الفرعونية، وكان من المفروض أن أفتتحه أنا وجاكلين كيندى، وبالفعل حضرنا معا وافتتحناه، وكان هناك جمهور وطلبوا أن تلقى كل منا كلمة، وبالفعل قمت أنا بإلقاء كلمة، أما هى فقد ردت قائلة: أنا خجولة ولا أستطيع مواجهة الجمهور، فعلى الرغم من أنها كانت شجاعة إلا أنها كانت شديدة الخجل.

■ أى أنها كانت شجاعة فى التصرف لكن خجولة فى الكلام.

- بالضبط وكانت سيدة فاضلة وأما أحسنت تربية أبنائها.

■ استمرارا لتشبيه السيدة جيهان بجاكلين كيندى قام البعض بنسج روايات حول زواجك عقب اغتيال الرئيس السادات. صحيح أن الشائعات قد هدأت بمرور الوقت، لكن يظل الناس يتساءلون: ألا تفكر السيدة جيهان السادات فى الزواج؟

- لم أفكر إطلاقا فى الزواج بعد السادات، فلقد توفى من ١٧ سنة أى أننى وقت وفاته كنت أصغر بكثير من الآن، فأنا حاليا قد كبرت بالطبع، لكنى لم أفكر فى الزواج إطلاقا بعده، فالحياة رسالة، وقد كانت هناك رسالة جمعتنى أنا وأنور السادات وقمنا بتأديتها معا، ومشوار حياتنا وأولادنا أكبر بكثير جدا من فكرة أي زواج من أى أحد، فمن غير الممكن أن يحتل أحد مكان أنور السادات عندى أبدا. وتضيف بابتسامة واسعة: أنا أضحك وأستغرب عندما أسمع مثل هذا الكلام، وأقول كيف يفكرون فى أننى يمكن أن أتزوج بعده.

ثم تعود السيدة جيهان إلى الكلام عن جاكلين كيندى فتعلق على زواجها من أوناسيس قائلة: فى الحقيقة لقد سقطت جاكلين كيندى فى نظرى عند زواجها من أوناسيس، لم أكن أتمنى أن تتزوج أبدا، وشعرت بالحزن، فكيف بعد أن كانت زوجة رئيس أمريكا تتزوج بأوناسيس مهما كان ما يملكه من أموال، وهل يأخذ أحد المال معه فى قبره. لو كنا نأخذ الأموال معنا فى القبر ونستثمرها كنت قلت لديها الحق وهذه فرصتها، لكن كل إنسان منا «بيروح» بكفنه، ومثلما يقولون: «الكفن ليس له جيوب» وقد كنت أتمنى أن تظل جاكلين مرتبطة بذكرى زوجها.

## هيلارى

■ ونحن نتحدث عن زوجات رؤساء أمريكا نجد أن الأحداث تفرض نفسها وتنقلنا إلى السيدة «هيلارى كلينتون» التى ارتفعت أسهمها فى أمريكا لوقوفها بثبات إلى جانب زوجها الرئيس كلينتون بالرغم من فضيحة مونيكا. فما رأيك فى هيلارى وموقفها؟

- الحقيقة أنا أعرف «هيلارى» منذ كانت زوجة محافظ «أركانسو»، فقد كنت سألقى كلمة فى «أركانسو» وقت أن كان الرئيس كلينتون محافظا. وهو الذى قام بتقديمى وقال كلمة حلوة، ثم وجهاً لى دعوة على العشاء فى منزلهما، وبعد أن أصبح رئيسا لأمريكا ذهبت لتهنئة «هيلارى» فى البيت الأبيض، وقالت لى: أنا معجبة بك جدا كذلك ابنتى، وقد ذكرت فى حديث صحفى فى أمريكا عن الشخصيات التى تتخذهم مثلا أعلى فذكرتنى أنا كأول اسم.

ثم تضيف السيدة جيهان السادات: لكنها للأسف ذكرت بعد ذلك اسم «جولدا مائير» وإن كانت قد قالت: جيهان السادات أول اسم.

وبشكل عام هيلارى شخصية قوية، بدليل أنه من الصعب على أية واحدة منا أن تتحمل ما فعله زوجها كلينتون، إنها مأساة حقيقية، ومنظره فظيع أمام العالم كله.

والحقيقة أن الصحافة الأمريكية قاسية جدا، لا ترحم، فهو بشر وأخطأ، لا يمكن أن يقول أحد غير هذا، إنما اتركوه لزوجته ولله الذى سيحاسبه، لكنهم قساة جدا، وفى الوقت نفسه نندهش من أن شعبيته قد ارتفعت لأنهم وجدوا أن «ستار» الذى يقدم الاتهامات ضده كان شديد القسوة عليه لدرجة أنه قال تفاصيل بشعة وفضحوا «الرجل» لدرجة أنه «صعب» على الناس فى أمريكا.

إنما فى الوقت نفسه لو عدنا للحقيقة، فإن رئيس الدولة يجب أن يكون قدوة ومثلا جيدا كى يتمثل به الشباب والكبار والصغار. صحيح هو يعتذر للناس ولزوجته لكننى لا أعرف كيف ينظر أحد إليه - كمثل - بعد الكلام الفارغ الذى قام بعمله، هذا عيب وهو الرئيس الأمريكى.

والحقيقة أن موقف «هيلارى» هو موقف الزوجة التى تقف خلف

زوجها، وهذا هو المطلوب منها، فكل زوجة مهما أخطأ زوجها لابد أن تقف إلى جواره فى محنته، أنا من أنصار هذا.

■ أقول: فى فضيحة «مونيكا» أثارت هيلارى إعجاب الكثيرين، لكن إلى أى مدى فى تصورك تستطيع الاستمرار فى دور الزوجة العاقلة؟

- «شوفى».. طوال فترة عمله كرئيس لأمريكا ستظل إلى جواره، فمن غير الممكن أن تفعل شيئا ضده لأن هذا واجب عليها، هذا هو المفروض مادامت تحت الأنظار وفى هذا الوضع الكبير كرئيس لأمريكا، أما إذا خرج من الرئاسة فتستطيع أن تحاسبه كزوجة عادية وباعتباره هو زوجا عاديا فتستمر معه أو تطلب الطلاق.

ثم تضيف السيدة جيهان: لكن بصراحة لا أحد يعرف بالضبط ما الذى يريده الأمريكان، أنا حتى اليوم وبالرغم من أننى أذهب إلى أمريكا كل عام للتدريس بالجامعة بشكل متتابع على مدى اثنى عشر عاما إلا أننى لا أستطيع أن أحدد ماذا يريدون، فأحيانا تجدين الأمريكى شخصا مبهرا وعنده مثاليات، وهم بلاشك «شاطرين» بدليل وصولهم لما وصلوا إليه.

إنما أحيانا يشعر الإنسان أن الأمريكى لا يهمه إلا جيبه والماديات، ولا يحسبوا حسابا لأى شىء آخر، فكل واحد ونفسه فقط، فهناك نوع من الأنانية غريب.

■ لأن الأساس فى هذا المجتمع هو الفرد.

- بالفعل.. الفرد هناك هو الأساس، وربما هذا هو ما يجعلهم ناجحين، لكن كيف لا يهتمون بالمبادئ والقيم.

صحيح هناك ناس فى أمريكا كثيرون غاضبون من موقف كلينتون ومستنكرون ما فعله، لكنهم فى الوقت ذاته يقولون أن المهم - بالرغم من فضيحة كلينتون - هو أن الاقتصاد بحالة جيدة.

■ بالرغم من أن هذه فضيحة، وصورة سيئة للمجتمع الأمريكى، لكن لابد أن نقول إن الوجه الآخر للصورة هو حرية الصحافة.

- طبعا هى حرية، وعلى رئيس الحكومة، وهذا هو ما يحيرنى فى أمريكا، أحيانا أقول هؤلاء الناس ليس لهم صاحب، الأمريكانى لا صاحب له، وأحيانا أقول لا، إن أحدا فى أمريكا ليس فوق القانون ولا رئيس أمريكا. ولا يوجد شىء اسمه سر فى أمريكا، فمن ضمن الشائعات

التى ظهرت ضدى أن جيهان السادات تمتلك عزبة كبيرة فى أمريكا. فقلت هناك فى مؤتمر بالنادى الوطنى الصحفى وهو أكبر ناد صحفى، وأذيعت الكلمة التى قلتها فى الإذاعات ونشرت بالجرائد قلت فيها إننى أتحدى أن يقول أحد أن جيهان تمتلك فى أمريكا ولو نصف فدان، وقلت لهم لأنكم هنا لا سر لديكم، فلو أملك شيئاً لما كان من الممكن إخفاء الخبر، فأنا فى أمريكا لا أملك سوى البيت الذى أقيم فيه.

## بيتى فى أمريكا

وتضيف: بيتى فى أمريكا اشتريته من عملى هناك، وبالمناسبة فإن شراء بيت فى أمريكا مسألة ليست صعبة، فأى أحد هناك مادام موظفا ويحصل على مرتب يستطيع بهذا المرتب بضمان البنك أن يحصل على بيت، فأى موظف فى السفارة يصل إلى أمريكا يشترى بيتا، هذه ليست مشكلة.

وتكرر: واتحدى أى أحد يقول أن جيهان السادات تمتلك شيئا سوى هذا البيت الذى أقيم فيه وهو بيت عادى وليست بيتا كبيرا مثلما أشاعوا.

■ تقصدين أنه فيلا عادية؟

– تؤكد: ليس فقط عادية، بل هى بسيطة وجميلة لأن الطبيعة جميلة جدا هناك. لكن أثاث البيت شديد البساطة، البيت فى ولاية فيرجينيا، وهى مثل المعادى بالنسبة للقاهرة، فهى خارج واشنطون. من الضواحى فبين واشنطن وفيرجينيا كوبرى. مثل بيتى هنا. نحن الآن فى محافظة الجيزة لمجرد عبور الكوبرى بيننا وبين محافظة القاهرة.

■ نعود مرة أخرى لهيلارى وكلينتون. لو أنك مكان السيدة هيلارى ماذا كنت تفعلين؟

– نفس موقفها، كنت سأقف إلى جوار زوجى مهما حدث لأنه فى محنة، صحيح هو خائن لكن مادام فى محنة، إذن واجبها كزوجة أن تقف إلى جواره ولا تتخلى عنه أبدا.

■ هل ظهرت فى حياتك فى أى وقت من الأوقات مونيكا أو امرأة من قبيل مونيكا؟

– لا، أنور السادات كان شديد الإخلاص.

■ أنا أسأل عن المرأة، وليس الرجل فأحيانا تظهر مونيكا ولا يكون أمامها كلينتون.

- لا، لم يحدث، وأقول لك السبب، وهو أن ظهور مثل مونيكا يستدعي وجود التشجيع من الطرف الآخر.

■ هل تقصدين أن أمثال مونيكا لايظهرن إلا في حالة وجود الأرض الخصبة لهن أو مع نوع معين من الرجال؟

- بالضبط، لكن الرجل الدوغرى لا تحاول أية امرأة معه، لأنه يكون معروفا عنه أنه ليس من أنصار مثل هذا الكلام الفارغ، فالحقيقة لم يحدث هذا معي.

■ ألم تظهر عينة مونيكا في حياة أى قريب لك مثل بناتك. أو إحدى صديقاتك؟

- الحمد لله أن أزواج بناتي جميعا على خلق، لكن أنا أى صديقة تشكو لى من زوجها «وقد حدث هذا» أقول لها باستمرار أن الزوجة العاقلة يجب أن تتظاهر بأنها لا تعلم شيئا، فتتجاهل الأمر «إلى أن يحترم الزوج نفسه ويتعدل».

لكن إذا هى فتحت الموضوع معه فإن الأمور ستأخذ حجما أكبر، ولا أحد يعرف كيف تكون النهاية، فمن الممكن أن يصل الأمر إلى طلاق بسهولة شديدة، لأنها عندما تكشفه سيصبح مظهره غير مقبول. ومن الوارد جدا أن يضطر إلى أن يقول لها «إن كان عاجبك» ويصبح موقفها محرجا وضعيفا جدا، فالمواجهة في مثل هذه الأحوال ليست من الصواب أبدا. السيدة العاقلة هى التى تتجاهل الأمر وتتظاهر بأنها لم تلحظ أى شيء، صحيح أن هذا يشكل عليها ضغطا عصبيا شديدا، لكن عليها أن تفكر أنه في يوم من الأيام سيعود إلى صوابه ويهتدى ويعود إليها، وقد حدث مثل هذا الأمر مع عدد من النساء اللاتى أعرفهن، كانت تتجاهل ما جرى، فتجده يعود ويهديه الله، فتكون مجرد فترة أو نزوة ثم تنتهى، والرجل قبل كل شيء بشر يخطئ، وإن كان هذا لا يعنى أن ألتمس العذر لأى خائن.

■ هل تتسامح المرأة في الخيانة، لكنها لا تتسامح في الاعتراف العلني بها؟

- لو اعترف الزوج بالخيانة باعتباره أخطأ يكون على الزوجة أن تتسامح.

## ديانا

■ أنا أسأل هذا السؤال لأن الأميرة «ديانا» طغت النهاية المأساوية لحياتها على المحنة التى حدثت لها نتيجة اعتراف الزوج بالخيانة.. لكنها وقفت موقفا معاكسا لموقف هيلارى ولم تستطع ابتلاع أن تتسامح مع الزوج.

- أنا كنت أعرف «ديانا» جيدا، وهذه البنت كان عندها حب للخير كبير جدا، لكن ديانا أخطأت، وليس لها عذر فهمها فعل زوجها كيف ترد عليه بالانتقام منه، هذا خطأ، المرأة لا يجب أن تنتقم بالخطأ نفسه أبدا، وإلا ستكون المرأة مثل الرجل، ومثلما يخطئ الزوج تخطئ هى، هذا لا يجوز ولا عذر للمرأة أبدا.

وأنا أعرف هذه البنت «هكذا تقول طوال الحديث عن الأميرة ديانا» وقد زرتها بعد وفاة الرئيس السادات حيث كنت قد ذهبت إلى لندن فى طريقى لأمريكا وزرتها كما زرت الملكة إليزابيث.

والملكة شخصية لطيفة جداً، لكن البروتوكول الإنجليزى يجعلهم مثل آلات، فيشعر الإنسان أن هناك آلة تتحدث معه، صحيح لطيفة و«ودودة» لكن بلا حرارة.

أما «ديانا» فبالرغم من أنها إنجليزية إلا أنها مليئة بالدفء والحياة وحب الخير.

ولقد تحملت كثيرا جدا، فقد دخلت وبدأت بحب لزوجها بسعادة لأنها تريد أن تقوم بدور مفيد إلى جواره، لكنه صدمها بدون شك.

ويبدو أن عمل الخير الذى قامت به كان كثيرا جدا، مما جعل الناس ينسون خطأها أمام الخير الكثير الذى كانت تقوم به.

■ ماذا فعلت فيك السنوات؟

- علمتنى وصقلتنى.

■ هل تخافين المجهول؟

- لا. أنا مؤمنة بالقدر وبأن المكتوب لابد منه.

■ ما هو الشيء أوالشخص الذى تشعرين تجاهه بالحنين؟

- زوجي أنور السادات أشعر بحنين شديد إليه، وأحيانا أدعو الله أن أراه في الحلم، فأنا أحلامي نادرة جدا، وطوال حياتي كلها لم أحلم سوى مرتين أو ثلاث، إلى أن حلمت به مرة - أخيرا - أثناء وجودى فى أمريكا. جاءني في الحلم وقال لي: تعالى وكنت واقفة وانتهى الحلم.

# صور من أيام عبدالناصر

حسن دياب المصور الخاص للرئيس جمال عبدالناصر يقول:

- المشكلة الوحيدة التى كانت تواجهنى عند تصوير عبدالناصر هى ملابسه المتواضعة
- لم يطلب عبدالناصر مشاهدة صوره قبل النشر، أما السادات فكان يختار صوره يوميا بنفسه
- لم أقبل على نفسى أن أصور عبدالناصر وهو يبدو متهالكا وكأنه يجر قدميه عند خروجه من مقر القيادة يوم هزيمة ٥ يونيو

كان لإطلالة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر جاذبية خاصة، ففى وقفته هيبة، وفى مشيته عزة، فى وميض عينيه ما يوقظ الأحلام، وفى شموخ أنفه ما يستدعى الكبرياء.

أما ملابسه البسيطة فكانت تضيف إليه تواضعا فيزداد معها الشعور بأنه قد خرج بالفعل من قلب الشعب.

ملامحه هذه ولفتاته وحركاته بكل ما لها من حضور، وبكل ما تعبر عنه من تاريخ، كان يسجلها الفنان الكبير حسن دياب المصور الخاص للرئيس يوما بيوم، سواء فى تحركاته الرسمية، أو فى حياته الخاصة.

وطوال تلك الرفقة لم يكن حسن دياب يلتقط الصور للرئيس الراحل بعدسة صماء آلية، بل بعدسة الإخلاص والحب والتفاهم وأيضا الإتقان.

وهذه الصفات التى أصف بها عدسة حسن دياب وهى تلتقط صورا للرئيس الراحل ليست مجرد صفات مرصوصة فى كلمات، بل إن لكل صفة مواقف وحكايات.

## إخلاص

كان حسن دياب هو المصور الوحيد الذى رأى جمال عبدالناصر يبدو متهالكا وكأنه يجر قدميه عند خروجه من مقر القيادة عقب هزيمة ٥ يونيو.

صحفيا هى صورة تجسد الهزيمة ولو نشرت تلك الصورة لتناقلتها وكالات الأنباء من المصور الوحيد الذى التقطها ، حيث كان حسن دياب هو المصور الوحيد الموجود فى مقر القيادة مع كل ما فى المفاجأة من تأثير على الرئيس عبدالناصر.

لكن كيف يهون جمال عبدالناصر وكيف تهون مصر على حد تعبير حسن دياب الذى يقول أنه لم يقبل على نفسه أن يرفع الكاميرا ويصوبها إلى الزعيم الضخم العملاق وهو يجر قدميه كى يتمكن من المشى عند خروجه من القيادة لأنه كان يحرص دائما على أن يلتقط له الصور التى يظهر من خلالها فى أحسن حال.

ثم جاءت بعد سنوات الحالة الثانية التى لم يقبل فيها حسن دياب أن يرفع الكاميرا، بل لم يقدر أساسا على أن يحملها، وكان ذلك فى يوم جنازة الرئيس الراحل. فقد أصيب حسن دياب فى ذلك اليوم بحالة من الذهول ولم يخرج أصلا من بيته، على الرغم من أن الواجب عليه صحفيا كان أن يخرج لتصوير الجنازة. لكن لم يكن من الممكن له أن يرفع عدسته ليصور صندوقا محمولا فوق الأعناق، وبداخله جسد الرجل الذى طالما صوره ممتلئا بالحياة وباعثا للأمل بين الملايين.

## جيهان السادات

ولم تتوقف عواطف حسن دياب عند هذا الحد، بل لقد وجد نفسه غير قادر أيضا على أن يقوم بتصوير الرئيس السادات بعد رحيل الرئيس عبدالناصر، إلى درجة أن السيدة جيهان السادات عندما طلبت أن يأتى حسن دياب إلى القناطر لتصوير حفل شاى لاستقبال حرم الرئيس «تيتو» التى كانت قد جاءت للعزاء فى الرئيس عبدالناصر. إذا بحسن دياب يرد أنه لن يستطيع، وبالفعل لم يذهب وأرسل مصورا آخر. فقد كان من الصعب عليه - على حد تعبيره - أن يذهب إلى القناطر ولا يجد عبدالناصر هناك.

ويضيف: لو كنت ذهبت لفشلت فى التصوير، فأنا لا أحمل ماكينة تصوير ألتقط بها الصور، أنا لست آلة تحمل آلة. أنا إنسان لديه عواطف، ولقد قمت بترجمة تلك العواطف بواسطة التصوير الذى كنت

أحرص من خلاله على إظهار عبدالناصر فى أحسن صورة. لذلك لو كنت ذهبت عند استدعائى إلى السيدة جيهان السادات كنت سأحمل ماكينة للتصوير بلا روح، وكان هذا هو سبب رفضى للذهاب.

ويروى حسن دياب ما ترتب على الواقعة السابقة قائلا: بعد عدة أيام اتصل بى السيد فوزى عبدالحافظ سكرتير الرئيس السادات، وكان صديقى، وقال لى أن الرئيس السادات قد طلب أن أذهب إليه لأقابله فى القناطر، ذهبت دون كاميرا باعتبار أننى هناك سوف أعرف منه السبب الذى طلبنى من أجله.

ولقد كانت علاقتى الشخصية بالرئيس السادات علاقة طيبة منذ كنت أعمل مع الرئيس عبدالناصر، ربما لأننى كنت صديقا لسكرتيره فوزى عبدالحافظ مما أدى إلى أن يكون العمل مع السادات بشكل فيه نوع من العشرة.

نعود إلى ما جرى فى القناطر، فلقد سألنى الرئيس السادات: لماذا لا نراك يا «دياب»؟ قلت له: أننى أشعر بالتعب وأن الطبيب قد طلب منى أن أستريح.

عند هذا الجزء من الكلام دخلت السيدة جيهان السادات فوجهت لى السؤال قائلة: لماذا لم تأت عندما طلبتك؟ فقلت لها: لم أكن أستطيع المجىء وقتها، سألتنى: وما السبب؟ قلت: لم أستطع عاطفيا، كررت وهى تنظر لى كلمة «عاطفيا» ثم أعقبتها بأن سألتنى: ما معنى كلمة عاطفيا؟

أنا بطبيعتى صريح فى كلامى، وكنت معتادا مع الرئيس عبدالناصر أن أقول الحقيقة بتلقائية دون لف أو دوران، ولقد كان يتقبل هذا منى، بل لقد كانت هذه الطريقة تريحه. وأنا كنت أتصور أن كل الذين سأتعامل معهم سيكونون مثل عبدالناصر، ويتقبلون هذه الصراحة. وقد قلت لها: أنا رجل فنان، ولا أستطيع أن أمارس التصوير مثل الآلة، لذلك فضلت عدم المجىء.

الرئيس السادات قال لى: هل معنى كلامك هذا أنك لن تأتى مرة أخرى؟ قلت له: إن الطبيب قد طلب منى أن أستريح لبعض الوقت، ردت السيدة جيهان السادات: اتركه على راحته يا أنور.

■ هل قالتها بصياغة تتضمن استنكارا لموقفك؟

- بالضبط. ولقد علمت بعد ذلك من الأخ فوزى عبدالحافظ سكرتير الرئيس السادات أن السيدة جيهان لم يعجبها هذا الكلام الذى قلته وأنها قد قالت للسادات: «حسن دياب بتاعك ده أنا حأعمل مثله عشرة». قلت: فلتفعل ما تشاء.

البعض حاول تأويل هذا الكلام وروى كل واحد الحكاية من وجهة نظره، لكن الحقيقة أننى قد ظللت فى العمل برئاسة الجمهورية، ورفض الرئيس السادات استقالتى، وطلب أن أقوم بالإشراف على التصوير فى الرئاسة، وهو العمل الذى توليته دون أن أقوم بالتصوير بنفسى.

ولقد كان الأستاذ محمد حسنين هيكل قد التقى بى فى القناطر فسألنى: لماذا جئت إلى هنا؟ هل جئت لكى تقوم بالتصوير؟ فقلت له أننى قد قدمت استقالتى وأن الاستقالة قد رُفضت، فعرض علىَّ العمل فى الأهرام، وقال لى أنه سوف يعطينى المبلغ الذى أطلبه، وأضاف أنه إذا كانت هناك حساسية من أن أعمل فى القاهرة فلا مانع لديه من أن أعمل فى الإسكندرية، لكننى عندما عرضت هذا الأمر على زوجتى - رحمها الله - لم ترحب بأن ننتقل ونغير نظام أبنائنا ومدارسهم، وقد نفذت لها ما أرادت واعتذرت عن العمل فى الأهرام، وظللت فى العمل بالرئاسة.

لكن بعد فترة - ومازال حسن دياب يروى - ظهرت السيدة جيهان السادات مرة أخرى فى موقف جديد بالنسبة لى، فقد كان الرئيس السادات يقوم بنفسه باختيار الصور التى يلتقطها له المصورون قبل أن يسمح للصحف بنشرها. وطبعا لأنه مشغول، فقد كان يتم عرض الصور عليه فى الوقت الذى يحدده هو. وبالتالى كان يختار الصور أحيانا فى الساعة العاشرة مساء. فتضطر الصحف لنشرها فى حجم صغير مع ما فى هذا من تعطيل لموعد صدور الصحف.

■ لماذا كان السادات يقوم بهذه المهمة بنفسه؟

- لكى يضمن عدم نشر صور لا يرضى عنها، ولاعتقاده فى ذلك الوقت أن هناك مؤامرات ضده.

ولقد كان السادات غاضبا لنشر صوره بحجم صغير فى حين أن صور جمال عبدالناصر كان يتم نشرها بأحجام كبيرة. لكن أحدا لم يجرؤ على توضيح أن السادات نفسه كان هو سبب نشر صوره فى حجم صغير

لإصراره على اختيار صوره بنفسه.
إلى أن اقترح السيد فوزى عبدالحافظ على الرئيس السادات فى أواخر أبريل ١٩٧٣ أن يريح نفسه من مسألة اختيار الصور فسأله السادات عمن يقترحه للقيام بتلك المهمة. رد فوزى عبدالحافظ: حسن دياب إذا أذنت سيادتك، وأضاف: إن حسن دياب متمرس على هذا العمل، وكان يمارسه مع الرئيس عبدالناصر. فقال السادات: وأنا موافق، نصدر له قرارا بذلك فيكون هو المسئول عن اختيار الصور.
وبالفعل أخبرنى فوزى عبدالحافظ وجهزوا لى مكتبا: لا أريد أن أقول ما الذى كان بداخلى عند الانتقال إلى ذلك المكتب، وكيف كنت أشعر بالغيظ من صديقى فوزى عبدالحافظ الذى ورطنى فى هذه المهمة بالرغم من حسن نيته، فهو مركز جيد ربما يسعد شخصا غيرى به، لكنه لا يسعدنى أنا إلى درجة أننى كنت أخرج من بيتى فى الصباح متوجها إلى سيدنا الحسين وأدعو الله أن ينجينى من تلك المهمة. ثم أذهب إلى مكتبى لاختيار الصور.
وبالفعل بدأت الجرائد تحصل على صور الرئيس السادات فى المواعيد المناسبة، وبالتالى بدأ نشر الصور بمقاسات جيدة، وقبل السفر إلى القمة الأفريقية بيوم، كان وزير خارجية ألمانيا موجودا فى مصر، وكان صديقا شخصيا للرئيس السادات، وتم عمل مؤتمر كبير حضره الرئيس السادات والسيدة قرينته مع وزير خارجية ألمانيا والسيدة قرينته فى قصر محمود خليل الذى كان مكتبا للرئيس السادات، وقام المصورون من كل الجرائد بالتصوير وأرسلوا لى الصور وقمت باختيارها. وفى اليوم التالى خرجت الجرائد والصور فيها بمقاسات كبيرة.
ويستطرد الأستاذ حسن دياب:
ومن الذى كان سعيدا، فوزى عبدالحافظ لأن الرئيس كان سعيدا أما أنا فقد كنت محتارا حيث كان من المقرر السفر بعد يوم أو اثنين إلى مؤتمر القمة الأفريقية. وكنت محتارا حول ما الذى سأفعله فيما يتعلق بصور الرئيس السادات فى المؤتمر.. وكيف ستصلنى تلك الصور. وما زاد من حيرتى أن زوجتى وأبنائى كانوا يستعدون للسفر إلى الإسكندرية،

وكنت أريد أن أحصل على أجازة، فذهبت لمقابلة فوزى عبدالحافظ لأتفق معه على حل فلاحظت عليه أن هناك أمرا يضايقه فسألته: ماذا بك؟، وكنا أصدقاء جدا. فلم يرد، قلت له: هل هناك شىء من ناحيتى، تردد ثم قال: الهانم (يقصد السيدة جيهان السادات) ثم سكت .فهمت أن هناك أمرا يتعلق بعملى فضحكت، وقلت له: مكتبى القديم مازال موجودا فى منشية البكرى من الغد أذهب إليه وإذا كانوا لا يريدوننى فى منشية البكرى أيضا أبقى فى بيتنا.

فأخذ يلومنى ويقول لى: أنت الذى أغضبتها من أول مقابلة معها بعد تولى الرئيس السادات الحكم، وأضاف أنها لم تنس الحوار الذى دار بيننا فى القناطر.

وروى لى ما جرى بالأمس حيث قالت له: يا فوزى الجرائد أصبحت الآن تنشر صور الرئيس بطريقة جميلة جدا والصور «ملعلعة» على حد تعبيرها، فرد بطبيعته المعتادة: البركة فى حسن دياب، قالت له: وما دخل حسن دياب فى هذا؟ قال: لقد أصدر الرئيس السادات قرارا بأن يكون هو المسئول عن اختيار صوره، وأصبح له مكتب هنا فى الجيزة.

قالت له: هنا، عندنا.

قال: نعم.

ردت: لأ.. يمشى.

قال لها: يا أفندم الريس قال..

كررت: يمشى.

فى اليوم التالى لم أذهب، وبالتالى تمت إعادة إرسال الصور للرئيس السادات كى يختارها، وعندما وجد الصور أمامه قال: ما هذا، ألم أنته من موضوع الصور، أين حسن دياب. فروى له فوزى عبدالحافظ ما قالته السيدة جيهان السادات، فرد: هل هى قالت هذا؟. فأكد فوزى عبدالحافظ: نعم. فرد الرئيس السادات: إذن أعطينى الصور كى أختارها.

■ هل كان عبدالناصر يهتم مثل الرئيس السادات باختيار صوره قبل النشر؟

- لم يقم عبدالناصر بهذه المحاولة إطلاقا، وقد كنت أنا أتولى تلك المهمة طوال فترة عملى معه، وكنت أحرص على أن يظهر فى أحسن حال.

## قميص عبدالناصر

■ ما العيوب التى كنت تحرص على إخفائها فى صور عبدالناصر، أو ما المشكلة التى كنت تواجهها بالنسبة لصوره؟

- المشكلة الوحيدة كانت ملابسه، فهو لم يكن مهتما بملابسه. كانت قمصانة من القماش المصرى البسيط، وكان الترزى الذى يقوم بتفصيلها هو والد رجل الأعمال المعروف حاليا «محمد جنيدى»، وسعر التفصيل كان جنيهين، وهى الأقمشة نفسها التى كنت أشترى منها أنا أيضا وكثير من الموظفين، وكان سعر تفصيلها عند «جنيدى» هو السعر نفسه الذى يدفعه رئيس الجمهورية.

أما البنطلونات التى كان يرتديها فقد كانت تسبب مشكلة فى الصور، حيث كان البنطلون عادة ما يبدو مرخيا إلى أسفل، لذلك فمعظم صوره وخاصة صور مقابلاته فى البيت حيث تكون الصورة كاملة، كان يظهر فيها أن البنطلون من تحت به تموجات فكنت أضطر فى المعمل إلى أن أقص الجزء الأسفل من الصور كى لا تظهر التموجات التى فى البنطلون، ولقد ذكرت هذا لسكرتيره السيد محمد أحمد عدة مرات، وطلبت منه أن يذكر هذا للريس لأننى لا أستطيع أن أقولها له. فكان رد محمد أحمد: أنا أيضا لا أستطيع أن أقول له هذا.

■ هل كان عدم الاهتمام بالملابس أو بالمظهر هو أحد ملامح شخصيته؟

- بالضبط إلى درجة أننا فى إحدى الزيارات للجبهة فى فترة حرب الاستنزاف كانت تعليمات الفريق عبدالمنعم رياض - رحمه الله - هى تفصيل ملابس عسكرية لنا جميعا، بما فى ذلك ملابس للرئيس عبدالناصر لارتدائهاعند زيارة الجبهة، كى نبدو جميعا فى مظهر مقارب للجنود من أجل ألا يرصد اليهود على الجانب الآخر من القناة ملابس مدنية ويتنبهوا، وبالفعل تم تفصيل الملابس، وعند الزيارة التالية للجبهة، وكنا نحن المرافقين جميعا قد ارتدينا الزى العسكرى، وإذ بالزعيم عبدالناصر يأتى بالقميص المدنى والبنطلون، نظرنا لبعضنا البعض، وعندما سأله محمد أحمد عن الزى العسكرى رد عليه

عبدالناصر: هل تريد أن «تمنظرني» يا محمد، ورفض ارتداء الزي العسكري في حين كان السادات يرتدي لكل مكان زيا مختلفا عن المكان الآخر، والملك أيضا كان يرتدي زيا مختلفا للأماكن المختلفة.

■ ألم تكن لـ «عبدالناصر» ملاحظات أحيانا على صور له بعد النشر؟

- لا.. إطلاقا.

■ لا أقصد ملاحظات حول أخطاء، وإنما ألا تذكر أنه قد أبدى إعجابه بإحدى الصور التي تم التقاطها له؟

- نعم صورته في ميدان عابدين أيام الوحدة، حيث امتلأ الميدان بالناس، وكان هو يلوح لهم من الشرفة، وكنت قد قمت بتكبيرها مترا ونصف، وقد طلبوا في هيئة الاستعلامات تعليقها في مبنى الهيئة بمناسبة زيارة الرئيس للهيئة، فأرسلتها لهم، وإذا به عندما يرى الصورة هناك يبدي إعجابه بها، فقدموها له هدية.

بعد أيام وجدت الرئيس عبدالناصر يشير إلى الصورة، ويقول لي أن هيئة الاستعلامات قد أهدوها له، وأضاف أنه يريد طباعة صور صغيرة منها لاستخدمها كارت معايدة، فقلت له: هذه مسألة سهلة، فالفيلم عندي لأن الصورة من تصويري. سألني: كيف؟ فرويت له الحكاية فأخذ يضحك.

■ لكن إعجابه بهذه الصورة يشير إلى أن أكثر ما يحبه هو صورته وسط الناس. ـ طبعا؟ / هل صوره عندما يكون وسط الناس يظهر فيها بشكل أفضل؟

- بالفعل ففي وسط الناس كانت تظهر عليه الفرحة، وهذا كان يظهر بشدة في سوريا، فما رآه في سوريا كان شيئا خرافيا إلى درجة أن الزعيم «تيتو» قد قال له أن ما رآه من الجماهير في سوريا هو أمر لم يره من قبل لأي شخص خلال حياته في أي مكان.

ويستطرد الأستاذ حسن دياب: أذكر أنه في وقت من الأوقات كانت هناك هيئات يأتي أفرادها للقاء به في سوريا، وكان أحد تلك اللقاءات لمدارس جاء تلاميذها للقاء به، وبعد أن انتهى اللقاء لاحظت عند وقوفي في فناء القصر، المواجه للشارع، فتاة عمرها حوالي عشر سنوات تبكي بكاء شديدا، وسمعتها تقول أنها لن تغادر المكان، إلا إذا سمحوا لها بالدخول، وفهمت أن هذه الطفلة تلميذة في المدرسة التي

جزء ناقصا تم استكماله من المقال المنشور في جريدة العربي ١٩ نوفمبر ٢٠١٠

جاء تلاميذها، والتقوا بالرئيس، وأنها كانت متغيبة بالصدفة عن المدرسة، وعندما علمت أن زملاءها قد التقوا بالرئيس عبدالناصر، صممت أن يأتي بها والدها إلى القصر، لكي تلتقى هى أيضا به، ولم يستطع أحد أن يزحزحها عن رغبتها، ولقد تعاطفت معها، فصعدت إلى داخل القصر، ودخلت إلى محمد أحمد، وطلبت منه أن يستأذن الرئيس فى أن يقابلها، ولو لمدة دقيقة واحدة، رد محمد أحمد أن مجلس الوزراء منعقد، ولا يستطيع أن يدخل إلى الرئيس أثناء انعقاد المجلس ليروى له حكاية تلك الطفلة، لكن ما حدث أننى أثناء كلامى مع محمد أحمد خرج الرئيس عبدالناصر من الغرفة التى كان مجلس الوزراء منعقدا فيها، ويبدو أنه قد شعر من نظرتنا إليه أن هناك شيئا ما نريد أن نقوله، فبادرنا هو بالسؤال عما نريده، فأخبره السيد محمد أحمد بحكاية الطفلة، فابتسم الرئيس ووافق على أن يلتقى بها.

أنا فرحت جدا - ومازال الكلام لـ «حسن دياب» - ونزلت أجرى وأخبرتهم أن الرئيس قد سمح لها باللقاء. كانت طفلة صغيرة حوالى عشر سنوات، وكانت ترتدى سلسلة من الذهب مكتوبا عليها «ما شاء الله»، فخلعت السلسلة، وصممت أن تهديها له فربت على كتفها، وقال لها: اعتبرى أننى قد أخذتها بالفعل، لكن الطفلة صممت ووضعتها حول عنقه. طبعا كل هذا كان بالصور، وقد قالت الطفلة للرئيس: «أنا أمى أهدتنى هذه السلسلة كى تحمينى، وأنت أحق منى بالحماية»، طبعا امتلأت العيون بالدموع من التأثر، وكان لابد أن يقبل هديتها بعد هذا الكلام المؤثر، ونظر بعينه للسيد محمد أحمد بما يعنى أن يجهز لها هدية.

■ إذا كان عبدالناصر قد لاحظ من نظرة عينيك أن هناك أمرا تريد أن ترويه له فى حكاية تلك الطفلة السورية، فهل كانت لعيون عبدالناصر هذه القدرة على قراءة ما فى عيونك دائما؟

- من خلال نظرات الرئيس عبدالناصر كنا نتفاهم، فنظرة تعنى يكفى هذا، ونظرة أخرى تعنى أعطنى فرصة أطول، وكان هذا أمرا يريح كلا منا فى التعامل.

ولقد كان هناك رؤساء دول عربية يأتون من المطار إلى بيت الرئيس

عبدالناصر فى منشية البكرى، لكى يتم التقاط صور لهم معه، ثم يعودون إلى المطار مباشرة، ومنه إلى بلادهم، فيكون معروفا أنهم قد قابلوا جمال عبدالناصر، فى مثل هذه الأحوال كان يعطى فرصة أكبر للتصوير، وقد تصادف قبل الوحدة بين مصر وسوريا أن جاءت مجموعة من العسكريين من سوريا، للاتفاق على إجراءات الوحدة مع مصر، وكان عددهم حوالى ١٧ شخصا، وصلوا فى الليل واجتمعوا مع الرئيس، ثم بعد الاجتماع أرادوا التقاط صور تذكارية لهم مع الرئيس، فوقفوا على السلم فى مدخل الفيلا، وأخذوا يتزاحمون للتصوير معه، وتصادف فى ذلك اليوم أن ما معى فى حقيبة التصوير كان أنصاف أفلام، فقد اعتدت منذ عملى فى «أخبار اليوم» أننى عندما أقوم بتصوير ثلاث أو أربع لقطات مثلا فى الفيلم، وقد كان عدد اللقطات وقتها ١٢ لقطة، فكنت أقص الفيلم لكى يتم تحميضه، وأستفيد ببقية الفيلم، إلى أن عملت فى الرئاسة فكنت التقط عادة ثلاث أو أربع لقطات فى المقابلة، ثم أفعل ما كنت أفعله فى «أخبار اليوم».

وما جرى بالنسبة لمجموعة العسكريين السوريين هو أننى بعد أن قمت بتصوير ثلاث صور جماعية، كتعبير عن المقابلة فوجئت بأحد الضباط السوريين يستأذن الرئيس فى أن يتم التقاط صورة له وحده إلى جوار الرئيس ثم طلب ضابط آخر الطلب نفسه، فقال لهم عبدالناصر أنه مستعد لالتقاط صورة مع كل واحد منهم على انفراد لكى تكون هناك مساواة.

نظرت إلى عدد الضباط كى أحصر أنصاف الأفلام التى فى حقيبتى، وبدأت التصوير، وكلما أنتهى من تصوير ثلاثة أو أربعة ضباط أجد أن نصف الفيلم الذى قمت بتركيبه فى الكاميرا قد انتهى، وقد تكرر هذا الأمر عدة مرات، فنظر لى عبدالناصر، وسألنى: كم عدد الصور فى الفيلم، فهو لماح جدا، قلت له: ١٢ صورة. فقال: لكنك لا تلتقط ١٢ صورة، قلت له بصوت منخفض: يا أفندم هذه أنصاف.

فقال لى: ما معنى أنصاف. فشرحت له حكاية أنصاف الأفلام، فقال لى: هل تستخسر الأفلام، فقلت له: إن ما معى يكفى الآن، وقد كان عبدالحكيم عامر موجودا فقال لى: «أوعى تكون بتصورنا أمريكانى» —

يقصد أن أضغط على الكاميرا وأتظاهر بالتصوير دون أن أقوم فعليا بالتصوير-. نظرت له بدهشة فرد عبدالناصر: لا يا عبدالحكيم هذا تصرف لا يفعله حسن أبدا.

## بالنظرات

ويعود حسن دياب بذاكرته إلى بداية التفاهم بالعيون بينه وبين عبدالناصر، وقد حدث هذا مع بداية التعارف بينه وبين الرئيس الراحل ويقول:

فى بداية الثورة لم يكن معلنا الوضع الحقيقى لجمال عبدالناصر كقائد. لكن أنا كان الأمر واضحا بالنسب لى، ففى سبتمبر ١٩٥٢حضرت لتصوير مقابلة للأستاذ مصطفى أمين مع محمد نجيب وجمال عبدالناصر، واستطعت أن ألحظ الوضع المتميز لجمال عبدالناصر.

وفى اليوم التالى لتلك المقابلة كان هناك اجتماع فى القبة، وذهبت للتصوير، وجدت أحد الأبواب مكتوبا عليه «القائد العام» فكرت، وقررت أن أقف مستعدا، وأن من يخرج من الباب التقط له الصورة وستكون اللافتة إلى جواره.

وقفت عند الباب مترصدا، وبالفعل التقطت الصورة لمن خرج، وكان جمال عبدالناصر، فقال لى: ما الذى تفعله هنا وواضح أنه كان يتذكرنى منذ قمت بتصوير مقابلة مصطفى أمين معه ومع محمد نجيب فابتسمت له وقلت: إننى أقوم بالتغطية الصحفية للاجتماع. فنادى شخصا من الشرطة العسكرية وطلب منه أن يسهل لى مهمتى، ومن يومها لاحظت فى كل مكان أنه متميز بين الضباط، فكنت أتابعه، الغريب أنه هو أيضا كان يلاحظ وجودى. فمرة كنت فى السيدة زينب أقوم بتصوير احتفال دينى. دخلنا بعد صلاة الجمعة فى قاعة للضيوف، وبدأ تقديم مياه غازية، أنا بطبيعتى لا أتناول أى شىء أثناء العمل، لذلك عندما قدم لى النادل الصينية وعليها المياه الغازية شكرته ولم أشرب، دار النادل على بقية الموجودين، ثم عاد وقدم لى مرة أخرى فشكرته مرة أخرى، وإذا به يشير إلى جمال عبدالناصر ويقول لى أن هذا الضابط قد طلب منى أن أعيد تقديم المشروب لك. فاندهشت لأنه لاحظ أننى لم أتناول المشروب.

ويواصل حسن دياب قائلا: وبالتدريج أصبح عبدالناصر يستريح لي في التصوير لذلك فقبل أن يختارني مصورا خاصا له كان قد ذهب إلى السعودية لأداء فريضة الحج، وفي «مني» كان لبعثة الحج مبنى كبير، فكان الرئيس عبدالناصر في طابق، والصحفيون في طابق آخر، وكنا قد تعاهدنا على ألا يخون أحد منا الآخر، وأن من يسمع بخبر عليه أن يخبر زملاءه، وأن هذه أرض طاهرة، ولا يجب خيانة العهد.

لكن ما حدث هو أنني قد وجدت الأستاذ هيكل، وكان وقتها يرأس تحرير مجلة آخر ساعة، وجدته يشير لي ويقول لي: «الريس بيقول لك اسبقه على إبليس»، يقصد أن أذهب قبله إلى المكان المخصص لرجم الشيطان كي أصوره عندما يصل لأننا كنا في يوم رمي الجمرات.

وأضاف أن الرئيس قد طلب أن يصوره حسن دياب فقط ولايريد أن يأتي أي أحد آخر من المصورين فقلت للأستاذ هيكل: لا يمكن. فرد: «إيه» أذهب إليه وأقول له لا يمكن. قلت له: نحن المصورين أخذنا عهدا معا على ألا نخون بعضنا البعض. فرد هيكل بانفعال: هل هناك أحد يقول مثل هذا الكلام. قلت له: هل يمكن أن أخبر ولو مصور السينما؟. فقال لي: أيضا لا.

نزلت وأنا أدعو الله أن يستر، وسبقته إلى هناك وعندما وصل ورمى الجمرات قمت بالتصوير. ثم عند العودة كنت قد رفعت الكاميرا إلى أعلى كي أصور، فإذا بالزملاء الواقفين في النوافذ يشاهدون كاميرا مرفوعة ثم نظروا إلى من يحمل الكاميرا ووجدوا حسن دياب.

قلت لهم: أنا ذهبت للتصوير بناء على تعليمات. فكان الاقتراح هو توزيع الصور بين الجرائد. لكن الأستاذ هيكل لم يوافق وجاء وقال لي: أين الأفلام؟ قلت له: معي، فأخذ الأفلام ونشرت مجلة «آخر ساعة» موضوعا رئيسيا عن الحج وعبدالناصر وسط الناس ومن حوله أفارقة وعرب ومن كل البلاد.

ثم خلال رحلة العمرة في العام التالي، وكنا سننتقل من «جدة» إلى «المدينة»، وكانت الطائرات تقلع واحدة وراء الأخرى، وهي طائرات صغيرة تستوعب كل منها حوالي ٢٤ شخصا، وكان الرئيس سيسافر بالطبع في أول طائرة، وكانت «المدينة» لاتستقبل الطائرات في الليل

لعدم توفر الإضاءة الكافية فى المطار.

بعد إغلاق باب طائرة الرئيس وجدنا شخصا يجرى ويضع السلم ويعيد فتح الباب ويصيح مناديا: الأستاذ حسن دياب.

ذهبت، قال لى: يريدونك فى الطائرة ومعك الكاميرا. ذهبت وأنا أظن أن هناك صورة معينة يريدون التقاطها قبل إقلاع الطائرة لكن إذ بالباب يتم إغلاقه بمجرد أن دخلت وإذ بهم يقولون أننى سأسافر فى طائرة الرئيس. قلت: وحقيبتى؟ قالوا: ستصل على الطائرة القادمة.

وتصادف أن الطائرة الوحيدة التى نزلت فى «المدينة المنورة» فى ذلك اليوم هى تلك الطائرة. أما بقية الطائرات فقد تم تأجيلها إلى اليوم التالى بسبب الظلام.

فى تلك الليلة زار الرئيس عبدالناصر المسجد النبوى، وقمت أيضا وحدى بالتصوير، ومن ضمن الصور التى التقطتها له هناك صورة أنا أحبها، فهو يبدو فيها مستغرقا فى عالم الروحانيات، والناس فى خلفية الصورة ناس عاديون.

## كاميرا الرئيس

ويواصل حسن دياب حكايات التواصل والتفاهم بينه وبين الرئيس الراحل قائلا: كان الرئيس عبدالناصر يحب التصوير بكاميرا السينما، وكانت عنده آلة تصوير «بولكس بيار». وفى مرة عام ١٩٥٨ طلب منى أن أقوم بتصويره مع أبنائه وأسرته، فقلت له أننى لا أجيد التصوير السينمائى لأننى ليست لى خبرة فى هذا المجال. فقال لى: إنه أسهل من التصوير الفوتوغرافى الذى تجيده. فقلت له: إننى كى أقوم بهذه المهمة لابد أن أتعلم، فأعطانى الكاميرا الخاصة به وهو يقول لى: فلتجرب.

ولأن طبيعتى كمصور فوتوغرافى هى الغالبة على أسلوبى، لذلك فقد كان جالسا وإلى جواره السيدة قرينته رحمها الله. وكان الأولاد فى الجانب الآخر، فنادى عليهم كى يأتوا، فبقيت أنا فى الانتظار إلى أن يتجمعوا ثم أضغط على الكاميرا كما هو المعتاد فى التصوير الفوتوغرافى. فقال لى عبدالناصر: لماذا تنتظر ولاتصور. قلت له: أنا فى انتظار وصول أبناء سيادتك كى أصور. فضحك وقال لى: يا أستاذ هذه

سينما.. افتح الكاميرا ليظهروا وهم فى الطريق وأنا أنادى عليهم فالسينما حركة وليست ثباتا، مر على ذلك اليوم حوالى عامين، وتصورت أنه قد نسى الحكاية إلى أن كان أحد الأيام من عام ١٩٦٠، وكنت أقوم بتصوير عبدالناصر فى مقابلة مع وزير الثقافة الألمانى، وكان يرافقه الدكتور عبدالقادر حاتم، وأثناء تصويرى للمقابلة لاحظت أن الرئيس عبدالناصر يطيل النظر إلىّ. تصورت أن هناك شيئاً خطأً فى مظهرى، وإذا به كأنه يتذكر شيئا وهو ينظر لى، ثم فوجئت به يقول للوزير الألمانى: هل ترى هذا الرجل الذى يقوم بتصويرنا؟. فرد الوزير الألمانى: بالطبع أراه، فأضاف الرئيس: هذا هو المصور الخاص بى، وأريد أن يزوركم فى ألمانيا ليتعلم التصوير السينمائى، رحب الوزير بشدة ثم عندما سافرت إلى ألمانيا وجدت استقبالا رسميا فى انتظارى باعتبارى قادما من طرف رئيس الدولة، فهذه لمسة جميلة، فهو لم يتذكر فقط، ولكنه طلب بنفسه من الوزير أن أسافر وأتعلم، وليس عن طريق أية إجراءات.

## أفلام السينما الملونة

وبعد عودتى أصبحت خلال رحلاته أقوم بتصويره بكاميرا سينما بالإضافة للتصوير الفوتوغرافى، وكانت الأفلام التى صورتها له هى الأفلام السينمائية الوحيدة الملونة مع أسرته.

ويضيف حسن دياب: لقد كانت له لمحات جميلة ولم يحدث خلاف بيننا فى أى وقت من الأوقات، وأحيانا كنت أغضب خلال عملى بالرئاسة لكن لم يكن هو إطلاقا السبب، بل كانت دائما خلافات إدارية، وبعدها عندما تأتى مقابلة أدخل فأجد عبدالناصر يبتسم لى، ويقول لى: من أغضبك؟ فأرد: لا أحد يا أفندم، ويكفينى أن يقابلنى بهذا الود.

## أبناء الرئيس

موقف آخر يرويه حسن دياب عن حسن المعاملة من الرئيس عبدالناصر فيقول: فى إحدى الرحلات فى يوغسلافيا عام ١٩٥٨ كان أبناء الرئيس عبدالناصر مرافقين له.. وكانوا كلهم مازالوا فى سن صغيرة،

وكان البحر هناك مبهرا.

ما حدث أن الرئيس عبدالناصر قبل أن يحضر الاجتماعات طلب منى أن أستثمر وجود أنجاله معه فى أن أعلمهم التصوير، وأنا كعادتى أخذت الموضوع بجدية شديدة وأصبحت المسألة عندى وكأنهم يجب أن يقفوا طابورا مثلما يحدث فى المدارس، وأن أعلمهم، لكنهم لم يهتموا بالأمر وارتدوا المايوهات ونزلوا إلى البحر، وكلما ناديت عليهم لا يأتوا، احترت ماذا أقول للرئيس عندما يسألنى بعد ذلك عما علمته لهم، وفى أثناء إحدى محاولاتى لإقناعهم بالخروج من المياه، وكنت واقفا ووجهى فى اتجاههم، وكنت أناديهم بعصبية لأنهم لم يستجيبوا لى طوال ذلك الوقت، ثم فجأة لاحظت أنهم قد توقفوا عن الضحك ثم خرجوا من البحر. اندهشت فأنا قد بح صوتى معهم من قبل كى يخرجوا من المياه، فما الذى جعلهم يخرجون. نظرت خلفى، وجدت الرئيس جمال عبدالناصر واقفا فشعرت بالحرج لأنه رآنى وأنا أصيح فيهم بهذه الطريقة، فاعتذرت له وقلت: أنا آسف لقد حاولت أن أنفذ تعليمات سيادتك، وأن أعلمهم لكنهم لم يهتموا ونزلوا البحر، فإذا به بدلا من أن يطلب منى مثل أى أب أن أطول بالى معهم إذا به يرد قائلا: لا تسأل فيهم هم لا يستحقوا، ويعقب الأستاذ حسن دياب على تلك الواقعة قائلا: لقد اندهشت من رد فعله المتواضع، ويضيف بتأثر: الله يرحمه.

ثم يروى الأستاذ حسن دياب موقفا آخرا رآه من الرئيس مع أبنائه، ويصفه من خلال ذلك الموقف بأنه لم يكن يحب الدلع لأبنائه، وهو ما جرى فى إحدى الرحلات فى أسوان، وكان معه أحد أبنائه، وكان الابن شعره طويلا، وبينما الرئيس عبدالناصر واقفا مع عدد من النواب نادى على ابنه، وعندما جاء الابن أمسك بشعره وهو يقول له: هل تريد أن تظهر بمظهر «الخنافس»، وكانت موضة وقتها، وما كاد الابن يرد ويقول «يا بابا» فإذا بعبد الناصر لا يتركه يكمل مبرراته حيث قال له «بابا إيه» ثم نادى: «يا محمد» - يقصد «محمد أحمد» - خذه لكى يحلق عند أى حلاق هنا فى أسوان.

■ وهل هذا هو ما تم بالفعل؟

- بالفعل حلق عند أحد الحلاقين فى أسوان.

## إتقــان

الملاحظ فى الصور التى التقطتها للرئيس عبدالناصر سواء مع أسرته أو خلال المقابلات الرسمية أنها كانت صورا على درجة عالية جدا من الناحية الفنية فهل المطلوب من مصور رئيس الجمهورية أن يهتم بالناحية الفنية من إضاءة وزوايا وإظهار الرئيس فى أفضل صورة أم أن عليه مراعاة نواح أخرى؟

– أنا كنت أهتم أيضا بالناحية الصحفية فى إطار توضيح بعض الأمور بالدليل المادى، ومثال على ما أقصده ما جرى فى وقت من الأوقات من ظهور إشاعة بأن الرئيس عبد الناصر قد أصيب بشلل.

فحرصت عند تصويره فى إحدى المقابلات أن ألتقط له صورة كاملة، وليست نصفية، وصورة يظهر فيها وهو يتحرك وحركة ساقية واضحة، فهذا تفكير صحفى لأن مثل هذه اللقطات كافية لكى تنفى الإشاعة بشكل غير مباشر وفى الوقت نفسه دليل قاطع فالصورة دليل قاطع.

وبالفعل عندما أرسلت تلك الصورة للأستاذ محمد حسنين هيكل فى الأهرام نشر منها صورة كبيرة فى الصفحة الأولى.

## هيكل وألبوم صور الرئيس

■ كتب الأستاذ هيكل مقدمة ألبوم الصور الذى صدر بعدستك عن الأهرام عقب وفاة الرئيس جمال عبدالناصر فما ذكرياتك مع ذلك الألبوم؟

– بعد وفاة الرئيس عبد الناصر تم تشكيل لجنة برئاسة الرئيس السادات لعمل متحف عن جمال عبد الناصر، وكنت عضوا فى تلك اللجنة، واجتمعنا عدة مرات وبدأت أجهز وأطبع صورا للرئيس عبد الناصر بمقاسات ضخمة لاستخدامها فى المتحف.

وفى ذلك الوقت، وكنا فى أوائل مايو عام ١٩٧١، زارنى فى مكتبى الأستاذ هيكل ومعه ناشر إنجليزى لمشاهدة عدد من صور الرئيس عبد الناصر باعتبار أن ذلك الناشر كان يريد عمل كتاب مصور عن عبد الناصر يستعين فيه بعدة مصورين.

وقد عرضت على الناشر مجموعة من الصور الكبيرة التى كنت قد

أعددتها للمتحف، وأثناء وجود الأستاذ هيكل فى مكتبى اتصل بى فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس السادات وسألنى عما إذا كان الأستاذ هيكل موجودا عندى فقلت: نعم، قال: الرئيس السادات يريد أن يتحدث معه، وسمعت هيكل وهو يرد على التليفون: قائلا: سوف أحضر حالا، ويبدو أن حركة ١٥ مايو كانت قد ظهرت بداياتها، لكنه كان أمرا غير معروف فى ذلك الوقت، وقبل أن يغادر هيكل مكتبى قال لى: إن الناشر الإنجليزى عندما رأى صورك قرر أن يصدر الكتاب بصورك فقط دون الاستعانة بصورة من أى مصور آخر.

قلت للأستاذ هيكل: لكنى أنا مشغول فى التجهيز للمتحف.

قال: هل صدقت أن هناك متحفا سيتم إنشاؤه؟

ثم أضاف: لابد من الانتهاء من تجهيز صور الكتاب فى الشهر القادم ليتم عمل الإخراج اللازم والطباعة ليصدر الكتاب فى سبتمبر.

قلت له: سأحاول فلابد أن أقوم بعمل مقاسات مختلفة للكتاب.

وبالفعل بدأت فى تكبير مقاسات جديدة للصور من أجل الكتاب وقمت بتسليمها فى يوليو، وصدر الكتاب فى سبتمبر مع أول ذكرى لرحيل الرئيس عبد الناصر، وكان صادرا من الأهرام، كما صدر من الناشر الإنجليزى فى طباعة أخرى، أما المتحف فقد كانت فكرته قد توقفت مع حركة ١٥ مايو.

وهذا الكتاب أو الألبوم هو نفسه الألبوم الذى نفد فى الحال عند إعادة طبعه فى العام الماضى.

■ أسأل الفنان حسن دياب: من بين آلاف الصور التى التقطتها لجمال عبد الناصر اخترت له صورة معينة عند أدائه لفريضة الحج جالسا على الأرض، حافى القدمين، وقمت بتكبير الصورة بمقاس متر × ٦٠سم لتتصدر تلك الصورة غرفة الاستقبال فى منزلك منذ الستينيات وحتى الآن. فلماذا وقع اختيارك على هذه الصورة بالذات؟!

– يقول حسن دياب: لأننى هكذا أرى عبد الناصر، بسيطا لأقصى درجة، ميالا للبسطاء إلى أبعد الحدود.

## أكتوبر والسادات وذكريات عن عبد الناصر

**د. عبدالقادر حاتم:**

- السادات طلب منى الذهاب إلى التليفزيون وهدد بضرب مراكز القوى بالنار
- طلبت من السادات عدم ترديد مقولة «عام الحسم» وألا يعلن عن نيته فى الحرب
- تعرفت على عبدالناصر فى مدرسة «العطارين» بالإسكندرية وخرجنا فى المظاهرات معا
- محطة «أم كلثوم» ظلت سرا بينى وبين زكريا محيى الدين ولم يعرفه عبدالناصر إلا بعد فترة

- أكتوبر ١٩٩٩

في حي الزمالك العريق بالقاهرة يقيم د. عبدالقادر حاتم منذ زمن طويل في فيللا تحيط بها من الخارج أشجار ضخمة كأنها تحافظ لمن بداخلها على خصوصية المكان. الشارع الذي كان هادئا أصبح محاصرا بالضوضاء المعتادة التي صارت تحيط بأجمل الأماكن في القاهرة، لكن الهدوء والسكينة مازالتا هما اللتان تحكمان المكان داخل فيللا الدكتور حاتم، وداخل قلب ووجدان رائد الإعلام المصري والعربي، ورئيس وزراء النصر في أكتوبر ١٩٧٣، ومن غرفة المكتب التي تحيط بها ملامح الفن الياباني معلنة عن علاقة الدكتور حاتم القديمة باليابان التي منحته أعلى وسام فيها، إلى الغرفة الملحقة بها حيث كل ما فيها ينطق بالعربي، الزجاج المعشق على النوافذ والضوء يتسلل بالألوان من خلاله، والخرط العربي في الأرائك، والصدف والفسيفساء والنقوش الإسلامية، كلها تفاصيل محببة إلى العين التي تعشق كل جميل، وعندما يلاحظ د. عبدالقادر حاتم إعجابي بالطراز العربي الغالب على المكان، إذا به يخبرني أن الزجاج المعشق على النافذة من تصميمه، والتشكيل العربي الذي يزين الأعمدة من تصميمه، وأكثر من ذلك أن عددا من اللوحات المعلقة على الجدران بريشته.

ثم نتحدث فيرسم بالكلمات ملامح لشخصية جمال عبدالناصر، ويضيف من ذكرياته خطوطا تكمل ملامح للسادات خلال فترة الصراع مع

مراكز القوى وكذلك خلال فترة حرب أكتوبر.

## مع عبدالناصر فى المظاهرات

فبالنسبة لجمال عبدالناصر روى د. عبدالقادر حاتم كيف أن علاقته به لم تبدأ مع ثورة يوليو ١٩٥٢. وإنما بدأت منذ الطفولة فى الإسكندرية التى نشأ فيها كل من عبدالناصر وحاتم، وبالتحديد فى مدرسة «العطارين» الابتدائية التى كانا يخرجان منها معا فى المظاهرات ضد الاستعمار البريطانى وأعوانه، ويروى الدكتور حاتم: فى تلك الفترة كانت مصر تموج بمظاهرات شديدة جدا، فلقد وجدنا أنفسنا ونحن نعيش فى بلدنا بينما الإنجليز يتحكمون فينا، كان الحكمدار فى الإسكندرية إنجليزيا، وأسماء الشوارع مكتوبة باللغات الأجنبية، والجاليات الأجنبية منتشرة، صحيح أننا قد استفدنا من الثقافات الأجنبية الكثيرة الموجودة، إلا أننا كنا عندما ندخل سينما ونحن صغار نجد أولاد البلد يجلسون فى ناحية والأجانب فى ناحية أخرى، وكان المصرى إذا تشاجر مع الأجنبى يتم الإفراج عن الأجنبى حتى لو كان هو المتهم، ذلك لوجود ما كان معروفا بالامتيازات الأجنبية، هذا بالإضافة إلى الملكية الفاسدة، مع وجود أعوان لهذه الملكية الفاسدة وأعوان الاستعمار.

كان هذا هو الجو الذى نشأنا فيه وأذكر أن المظاهرات فى إحدى المرات كانت تهتف بسقوط صدقى باشا رئيس الحكومة وتم القبض على عدد من الطلبة، فجاء مكرم عبيد فى المحكمة يدافع عن الطلبة المحتجزين فى قفص الاتهام، وكانت تهمتهم هى الهتاف ضد رئيس الحكومة، وإذا بصدقى باشا قد وضع بعض رؤساء النيابة ليعارضوا مكرم عبيد، لما هو معروف عنه من البلاغة والفصاحة، بالإضافة إلى أنه رجل ضليع فى القانون، وبينما مكرم عبيد يتكلم وهناك أعداد ضخمة داخل القاعة وخارجها، إذا برؤساء النيابة يقولون له: «هذا كذب، هذا كذب» فوجدناه يخلع ثوب المحاماة ويضعه أمامه ويقول: «السيد رئيس المحكمة، السادة المستشارون، لقد كنت أقول الحق فوجدت أنهم يكذبوننى إذا ما قلت الحق، يريدون منى أن أقول الكذب ليصدقونى، لذلك أقول فليحيا كذبى، وليسقط صدقى».

وما أن قال مكرم عبيد هذه الكلمة حتى أخذنا نهتف جميعا: «يسقط صدقى، يسقط صدقى»، بالرغم من أن التهمة كانت هى الهتاف بسقوط صدقى، فأعلن رئيس المحكمة «استراحة للمداولة»، ثم عاد وأعلن براءة الجميع.

ففى ذلك الجو وتلك البيئة نشأنا على الوطنية، وفى ذلك الجو وتلك البيئة عرفت عبدالناصر ونحن أطفال فى المرحلة الابتدائية.

■ وهل استمر الرئيس جمال عبدالناصر زميلا لك فى بقية مراحل التعليم؟

■ لقد كان معى فى المرحلة الابتدائية فقط، ثم التحق بمدارس أخرى، حيث سافر مع والده إلى القاهرة، فانقطعت الصلة بيننا، ثم راحت أيام، وجاءت أيام والتحقت بكلية الأركان، وكان عبدالناصر قد سبقنى فى الالتحاق بها فوجدته أستاذا هناك، ومن حسن حظى أننى فى آخر الدورة كنت مقررا للجماعة التى معه فى الدراسة، والتى تقدم له بالأوراق، وكان ذلك قبل يوليو ١٩٥٢، ثم عندما قامت الثورة اختارنى مديرا لمكتبه لشئون الصحافة.

## لست من الضباط الأحرار

■ ألم تكن من الضباط الأحرار؟

– لا لم أكن من الضباط الأحرار، لقد وقع لى حادث غريب بعد التحاقى بالجيش يوضح كيف أن مع «العسر يسرا» والحكاية أننى فى عام ١٩٤٦ وأثناء تواجدى فى الوحدة العسكرية طلبت من أحد الجنود أن يقود السيارة ويأتى بها ناحيتى، ومن خلفى كان الجراج، وعندما اقترب منى، إذا به يضغط على البنزين بدلا من الفرامل، فتندفع السيارة فى اتجاهى وتنكسر ساقاى الاثنتان كسرا مضاعفا، أدخلونى الإنعاش، وجاءنى «ابراهيم باشا عبدالله» رئيس الأركان، وأنا ممدد فى الفراش، وقال لى: تأكد أننى سأقوم بتوقيع الجزاء الشديد على الجندى الذى تسبب فى هذا الكسر، ثم عندما سألنى: هل لك طلبات؟ جاء ردى: لى طلب واحد أن تقوم بترقية هذا الجندى الذى تسبب فى إصابة ساقىَ، فنظر لمن حوله يمينا ويسارا وكأنه يسأل جميع الموجودين حول ما إذا كان

شيئا قد حدث لعقلى أدى إلى عدم اتزانى، ثم سألنى: لماذا؟ قلت له: هذا الجندى يسكن فى «الجبل الأصفر» وأنا أقيم فى مصر الجديدة، أى أنه فى طريق بيتى، وعلاقتى بكل الجنود، وكل الأفراد الذين يعملون معى علاقة طيبة، ولقد اتصل بى هذا الجندى فى الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل وقال لى أن زوجته فى حالة وضع ولا يجد لها طبيبا، فاستطعت أن أجد له الطبيب، واستقللت سيارة أجرة وذهبت له بالطبيب، ووصلت فى الساعة الثالثة فجرا، وانتظرت إلى أن أنجبت زوجته ولدا، وقد أطلق على المولود اسم «حاتم» من شدة تأثره باهتمامى به، ولقد جاء هذا الجندى إلى الطابور فى السابعة صباحا، فكنت متعبا، كما كان هو الآخر فى حالة تعب، فوقع منه هذا الخطأ، وهو أمر لا يقصده، فسألنى رئيس الأركان ما هى رتبته؟ قلت له: باكشويش «أى رقيب أول» وأريد ترقيته إلى «صول» فقال لى: إذن لقد أصبحت رتبته من الآن «صول» أى «مساعد».

## المعاش

▪ هذا يفسر ما اشتهرت به من تسامح، والذى كانت بدايته منذ مرحلة الشباب؟

– لقد كنت بين يدى الله، وقالوا لى لن تعمل ضابطا بعد الآن، لأن كلتا ساقيك قد انكسرت فكيف تعمل ضابطا بعد ذلك، وكانت النتيجة أن أعطونى إجازة مرضية لمدة عامين عطفا علىّ، فهم لا يريدون إخراجى من العمل كى لا تتم إحالتى إلى المعاش، حيث لم يكن هناك معاش، وإنما ما يسمى بنهاية الخدمة فلا أحصل على معاش شهرى، وإنما يعطوننى مبلغ مائة وخمسين جنيها وساقاى مكسورتان وأتحرك على عكازين، لكن فى تلك المدة التى وصلت إلى العامين استطعت أن أستفيد خلالها بالقراءة، ودخلت فى الحياة المدنية، وأخذت أقرأ فى الاقتصاد والسياسة وغيرهما، كما التحقت بفصول دراسية فى مركز الثقافة البريطانى، وبعد ذلك عندما أصبحت قادرا بالكاد على المشى وضعونى فى سلاح خدمة الجيش، وهو سلاح ليس محاربا وإنما معاون، فدرست فى كلية الأركان، ونجحت فيها، وبعد ذلك التحقت بكلية الحقوق لمدة

سنتين، والتحقت بمعهد الإحصاء لمدة سنتين، ومعهد الضرائب لمدة سنة، وأصبحت الدراسة هوايتى، وكنت فى ذلك الوقت أكتب فى مجلة «روزاليوسف» مقالا بعنوان «حديث اليقين» وقام إحسان عبدالقدوس بتغيير العنوان إلى «حديث الأرقام» باعتبار أننى كنت أتحدث فى أمور اقتصادية، ومن يقرأ تلك المقالات يشعر كأنها مكتوبة حول ما نعيشه الآن.

فالمقالات كانت تتضمن كلاما عن الغلاء، وعن الإسكان، وعن أصحاب الدخول المحدودة، فما كان يتحدث عنه الناس عام ١٩٤٦ هو نفسه الكلام الذى نتحدث فيه الآن، وكان دخل الفرد فى مصر خلال تلك الفترة هو مائة دولار فى السنة، وهو نفسه دخل الفرد فى اليابان، والآن وصل دخل الفرد فى اليابان إلى ٣٥ ألف دولار فى السنة، بينما دخل الفرد فى مصر حوالى ألفى دولار، لقد كنت أكتب وقتها عن المفارقات فى الأرقام، ولو أننى أكتب حاليا لكتبت عن هذه المفارقة.

## أنا وهيكل

■ كنت تكتب فى «روزاليوسف» فى الأربعينيات، وأصبحت رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة الأهرام فى أوائل السبعينيات، وبينهما كنت مديرا لمكتب الرئيس عبدالناصر لشئون الصحافة مع بداية الثورة عام ١٩٥٢ ثم مؤسسا لوزارة الإعلام، كل هذه محطات مهمة فى حياتك، نرجو مزيدا من إلقاء الضوء عليها؟

- يضحك ويروى أن السيدة «روزاليوسف» لم تكن تدفع لمن يكتب، وكنت أتصور أننى سأحصل من الكتابة على مبلغ ضخم، ومع ذلك فقد كنت حريصا على الكتابة مهما كانت الظروف.

أما مؤسسة «الأهرام» فما حدث أن السادات طلب منى أن أكون رئيسا لمجلس إدارتها بعد خلافه مع محمد حسنين هيكل، والحمد لله لقد تولدت علاقة طيبة جدا بينى وبين العاملين فى «الأهرام» خلال تلك الفترة.

■ هذا عن العاملين فى «الأهرام» لكن ماذا عن محمد حسنين هيكل، فالمعروف عنه أنه لا يغفر بسهولة؟

■ بطبيعتى لا أذم فى أحد إطلاقا، هذا مبدأ عندى، فكلنا بشر، ونخطئ، لذلك بمجرد أن توليت رئاسة مؤسسة «الأهرام» قلت للعاملين فيها أن كل من يبنى لبنة على أرض مصر، فإننا لابد أن نشكره عليها، كما قلت لهم أن الجميع إخوة، وقلت لهم أننى لاحظت أن عدد الصحفيين كبير جدا فى «الأهرام»، وأنه من المصلحة تخصيص عدد من الأعمدة الثابتة لعدد من الكتاب الصحفيين لأنه من غير المعقول مع وجود هذا العدد من المجيدين ألا تظهر أعمدة يومية وأسبوعية موقعة بأسماء أصحابها، وقلت لهم صحيح أن الأقلام الكبيرة موجودة على صفحات «الأهرام» مثل توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وثروت أباظة، لكن لابد من أعمدة أكثر، وسألت أين صلاح منتصر، فلابد أن يكتب، وأحمد بهجت، لابد أن يكتب وعدة أسماء أخرى حددتها وقلت لابد أن يكون لكل منهم عمود، فالصحافة لا يجب أن تكون أخبارا فقط ولكن لابد أن تتضمن رؤية وتحليلا، فبدأت الأعمدة التى مازالت مستمرة حتى اليوم، واشتهر كتابها بعد أن فتحت لهم بابا كانوا جديرين به.

■ هل كانت لك علاقة بهيكل قبل أن يترك الأهرام، وكيف أصبحت تلك العلاقة بعد أن توليت رئاسة «الأهرام»؟

- لى أسلوب، وهو أن أكون صديقا للجميع بصرف النظر عمن يسىء إلىّ، باعتبار أن من يسىء إلىّ إنما يسىء إلى نفسه قبل أن يسىء إلىّ، أما أنا فلا أذكر عيبا فى أى شخص إطلاقا، وربما أن هذا هو أحد الأسباب بفضل الله سبحانه وتعالى التى جعلتنى حتى الآن، وقد قضيت حوالى ٥٠ سنة فى أكبر مناصب الدولة، ومع ثلاثة رؤساء، إذا سألنى رئيسى عن شخص، فإننى لا أذكر إلا محاسن هذا الشخص، أما إذا كان هناك عيب فيكون ردى هو أن هناك أجهزة أخرى من الممكن أن تتكلم فى هذا المجال، بهذا الشكل لا أتصيد للناس أخطاءهم، وإنما أحاول أن أكون رسول خير، ولقد كان مصطفى أمين يلاحظ منى ذلك أثناء عملى مع الرئيس عبدالناصر حيث كان يسألنى ما رأيك فى فلان، لقد فعل كذا، فكنت أستخدم معه أسلوبى المعتاد فى عدم ذم أحد، فكان يندهش لأن معظم الذين يعملون إلى جوار الرؤساء يسارعون بالتحدث عن غيرهم، وهذا هو ما جعلنى أعيش حتى اليوم، رغم أن تاريخ صلاحيتى انتهى، لكن

الحمد لله أنه جعلني مازلت مستمرا حتى الآن نتيجة هذه الروح.

## مراكز القوى

■ ولكن كيف تعاملت إذن مع من أطلق عليهم مراكز القوى عند اختيار السادات لك وزيرا للإعلام في عز أزمته معهم؟

– عندما طلب مني السادات أن أعود للعمل معه كوزير للإعلام بمجرد توليه السلطة، وتربص من أسماهم بمراكز القوى به، كان السادات قد جاء في البداية بوزير إعلام لم يقض في الوزارة سوى ٢٤ ساعة، وكان كلما أعطى تعليمات إذا بهذه التعليمات لا يتم تنفيذها لأن عددا كبيرا من العاملين في الإعلام وقتها كانوا من أنصار مراكز القوى، فطلب مني السادات أن أعود للعمل معه وزيرا للإعلام، وروى السادات أنهم كانوا يخططون للقبض عليه لدى دخوله مبنى التليفزيون، وعندما طلبني السادات كان ذلك يوم جمعة، فقلت له إذن سأذهب للوزارة صباح غد السبت، فقال لي: بل لابد أن تبدأ عملك اليوم وتذهب إلى التليفزيون، وإلا سأرسل قوة عسكرية تضربهم هناك بالنار، لأن رئيس الجمهورية يعطي أوامر وهم لا ينفذونها، فقلت للسادات: هؤلاء أولادي، صحيح أنني تركتهم منذ أربع سنوات ونصف إلا أنهم أولادي وبمجرد أن يعرفوا بوجودي سيختلف الأمر.

وبمجرد اتخاذ السادات لقرار توليتي وزارة الإعلام أرسل مندوب الإذاعة لطفي عبدالقادر الخبر للتليفزيون فظهرت على شاشته أحلف اليمين الدستورية كوزير للإعلام، وقلت للرئيس السادات الذي كان ثائرا جدا، أنهم ماداموا قد عرفوا أنني سأعمل وزيرا للإعلام فإنهم سينفذون الأوامر. وبالفعل ذهبت إلى مبنى التليفزيون، فإذا بحوالي خمسة آلاف من العاملين فيه يصطفون في الشارع ويهتفون لي وصمموا على أن يحملوني فوق الأكتاف حتى مكتبي بالدور التاسع، وقلت للسادات وقتها أن هناك علاقة إنسانية تربطني بكل الذين عملوا معي، ليست علاقة عمل أو وظيفة. فأنا لم أكن أقوم بتوقيع أية عقوبات إطلاقا. وعندما كان يخطئ أحد كنت أتحدث معه وأقول أنني لا أحب توقيع جزاء مادي يتسبب في إيذاء الزوجة والأبناء. لكن في المقابل لابد

من الالتزام فى العمل، فأنا أحرص على أن يظل الدوسيه الخاص بكل العاملين معى نظيفا، بحيث لا يأتى بعدى من يجد جزاء مسجلا فى أوراق شخص معين فيعتبره شخصا مستحقا للجزاءات، فكنت أحاول دائما أن أنجح فى الإدارة بالحب.

## محطة أم كلثوم

■ كل هذا الحب لك من رجال الإعلام يجعلنا نعود للبداية لنسجل دورك الرائد فى هذا المجال؟

- لو بدأنا منذ اختارنى جمال عبدالناصر عام ١٩٥٢ مديرا لمكتبه لشئون الصحافة سنجد حكاية إعلامية غير معروفة حول محطة «أم كلثوم» بالإذاعة، فعندما طلبنى عبدالناصر للعمل معه فى ذلك الوقت كان الإنجليز مازالوا موجودين، ففكرت فى القيام بحملة ضدهم بطريقة الحرب السيكولوجية، فقمت بعمل لم يكن يعلم به سوى زكريا محيى الدين الذى كان مديرا للمخابرات وقتها. ثم عرف جمال عبدالناصر بهذا العمل بعد أن انتهينا منه، وما قمنا به هو إنشاء محطة إذاعة موجهة تذيع للقوات البريطانية فى القنال، تلك المحطة كانت أصلا تحت أمر الملك، وكانت متحركة بحيث يستطيع أن يستخدمها متى أراد، وهى المحطة التى أصبحت إذاعة «أم كلثوم» فيما بعد، كنا نذهب فى الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل، حيث نبدأ الإذاعة ضد الإنجليز، واستمر العمل فى تلك المحطة إلى أن خرج الإنجليز من مصر.

وفى مجال الإعلام اقترحت على عبدالناصر وقتها إنشاء وكالة أنباء وطنية اسمها «وكالة أنباء الشرق الأوسط» لكنه تخوف منها فى البداية، لأن جميع الوكالات المصرية التى سبقتها كانت قد أفلست، إلى أن قمت بتأسيس وكالة أنباء الشرق الأوسط وأخذت عددا من العاملين بمصلحة الاستعلامات التى كان جمال عبدالناصر قد عيننى وقتها رئيسا لها، وبهم بدأت الوكالة ثم استمرت ونجحت، وبعد ذلك درست وحصلت على دكتوراه فى الإعلام وكانت أول رسالة عن الإعلام فى الشرق الأوسط، واقترحت إنشاء وزارة جديدة باسم وزارة الإعلام. ومن الغريب أننى عندما ذكرت اسم «الإعلام» إذا بالبعض ينطقها «الأعلام» وكأنها راية

فكنت أشرح الفرق بين الكلمتين، وقد أنشأت بعد سنوات طويلة كلية الإعلام أيضا، وكان البعض يريد أن يجعل مقرها وزارة الإعلام، فقلت لهم لا، الأفضل أن تكون داخل الجامعة وأن تتضمن الدراسات العليا.

## قصة التليفزيون

وبعد إنشاء وزارة الإعلام، اقترحت إنشاء التليفزيون، ولذلك قصة غريبة جدا، فعندما كنت وزيرا للإرشاد والإعلام، لاحظت أن إذاعة البرنامج العام لم تتغير، فقلت لهم لابد من التغيير في إذاعة البرنامج العام، بحيث لا تظل نشرة الأخبار باستمرار في الساعة الثامنة والنصف، وفي التاسعة إلا الربع حديث كبار الكتاب: طه حسين والعقاد والمازني وفي الساعة التاسعة موسيقى الشجاعي، وهكذا وقلت لهم أنتم لا تريدون التغيير إذن سأنشئ إذاعة جديدة. فأنشأت إذاعة «الشرق الأوسط» وكانت برامجها قصيرة و«الريتم سريعا» والأخبار أيضا سريعة، فكل البرامج بها تشويق وجمال هذا الأسلوب أخذته بعد ذلك إذاعة «مونت كارلو» وإذاعة «صوت أمريكا».

وفي الوقت نفسه بدأت إنشاء إذاعة القرآن الكريم، وقد كانت هناك تيارات شيوعية في مصر فقررت إنشاء تلك الإذاعة في يوم وليلة، ولم تكن تتضمن وقتها برامج وأحاديث مثل الآن، وكان رأيي أن تكون إذاعة للقرآن الكريم بصوت كبار المقرئين الذين تفخر بهم مصر والعالم الإسلامي، وأنشأت إذاعة الشباب، إلى آخر الإذاعات ثم أخذت أفكر في الصوت والصورة وهو التليفزيون، فكان التليفزيون المصري ثامن محطة في العالم بعد الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا الشرقية وإيطاليا وبلد آخر ثم مصر، فكانت ضجة كبيرة ونشأ التليفزيون المصري عملاقا وكان يتضمن وقتها ثلاث قنوات، ودخل التليفزيون إلى القرى المصرية، وهناك من عارضوني وقتها وقالوا لي: ولماذا ننشئ التليفزيون؟ وقالوا إنه سيملأ الفلاح بالتطلعات، فكنت أسألهم: هل حرام أن تكون عند الفلاح تطلعات جديدة تجعل أفق المصري يتسع ويتعرف على ما يجري في الدنيا؟! ثم جاءت الوحدة مع سوريا وكنت فيها وزير إعلام الجمهورية العربية المتحدة فأنشأت التليفزيون

فى سوريا وأشكر لأولادى هناك أنهم يتذكروننى حتى الآن، فيذكروننى دائما فى عيد التليفزيون ويشيرون إلى أن مبنى التليفزيون الموجود فى دمشق هو أحد آثار الوحدة العربية التي نعتز بها دائما.

## رئيس وزراء النصر

■ لكن هناك محطة مهمة وهى دورك كرئيس لوزراء النصر عام ١٩٧٣ وكان الإعلام خلال حرب أكتوبر ناجحا ومختلفا عن الإعلام فى عام ١٩٦٧ فماذا عن تلك المحطة؟

- قبل النكسة كنت قد تركت وزارة الإعلام عام ١٩٦٦ وعملت مستشارا، فقضيت وقتى فى تلك الفترة أمارس هوايتى فى الرسم، ثم حدثت الانتكاسة الفظيعة فى الإعلام خلال حرب ١٩٦٧ عندما بالغوا بشدة فى خسائر إسرائيل، وبالغوا فى التهليل بطريقة لم يرض عنها أحد وإذا بى فى يوم ١٥ يونيو ١٩٦٧ أجد الرئيس عبدالناصر يتصل بى، ويطلب منى تخطيطا جديدا للإعلام وقال لى: هل رأيت ما فعله الإعلاميون؟ قلت له: لقد أخطأوا خطأ كبيرا، لكن من الممكن تدارك هذا بوضع تخطيط سليم للإعلام، كما قلت له أنه لم يكن خطأهم، لكن خطأ التخطيط مثل خطأ التخطيط بالقوات المسلحة فلم تكن هناك قيادة.

لذلك عندما اتصل بى الرئيس السادات قبل حرب ١٩٧٣ وأبلغنى أنه اختارنى رئيسا للوزراء بالنيابة، حيث كان هو رئيس الوزراء وقتها، وأخبرنى بالتجهيز للمعركة، كان لابد أن أضع تخطيطا لما قبل المعركة وهو المفاجأة الاستراتيجية، وهو تخطيط مبنى على السرية التامة، وقلت للسادات أنه لا داعى لما كان يردده وقتها عن «عام الحسم وعام الضباب»، كما قلت له بما أننى مسئول دستوريا لابد من تغيير السياسة الموجودة فسألنى: كيف؟ أوضحت ضرورة الاستفادة من ظروف الأمن القومى الإسرائيلى المبنية على أن الشعب هو الجيش، ووجود قوات نظامية على الحدود تقاوم أى هجوم، مع وجود سلاح طيران قوى جدا وأيضا سلاح مخابرات قوى جدا ينذر بسرعة فى حالة أية تحركات من قواتنا، فيتم استدعاء الاحتياطى سريعا، ولذلك قلت إن السرية هى أحد أهم العوامل، بالإضافة إلى أن من يريد أن يحارب لا يجب أن يعلن أنه

سيحارب، فالإعداد يجب أن يتم بلا إعلان فلا يعلم بهذه الخطة إلا سيادتك وأنا وهى خطة سيتم تنفيذها دون الإعلان عنها، بمعنى أننا سنقوم بعمل محطة إذاعة موجهة لإسرائيل تنادى بالسلام ولا تهاجم اليهودية، وإنما نبين أن عددا محدودا من القادة العسكريين من أيام «بن جوريون» هم الذين يريدون الحرب والمحافظة على مراكزهم، وأن فى الحرب تثكل النساء وتيتم الأطفال، بينما هذا لا يهم القادة الذين يريدون تخويف الشعب الإسرائيلى بأن الشعب العربى يريد إبادتهم، بينما نحن نريد أن نعيش جميعا فى هذه المنطقة بسلام وكان لهذه الإذاعة دور فى أن يتواجد رأى عام داخلى فى إسرائيل ضد حكومته.

## تداول الكتب الإسرائيلية

ومن النقاط المهمة أيضا السماح بتداول جميع الكتب الإسرائيلية والموسوعات العالمية التى فيها إسرائيل فى مصر، بينما كانت من قبل ممنوعة بأمر الجامعة العربية، وقلت: لابد من أن نعرف العدو وماذا يريد، خاصة أن «ديان» بعد حرب ١٩٦٧ سألوه: كيف لم تتردد فى أن تطبق فى عام ١٩٦٧ الخطة نفسها التى طبقتها عام ١٩٥٦، وهى ضرب الطيران المصرى على الأرض، فقال إن العرب لا يقرأون، قلت له فى كتاب «ممنوع من التداول» أن العرب يقرأون وأن لنا موعدا قريبا معك، ولم أذكر أننا سوف نحارب، فلقد وضعت هدفا خداعيا وهو أننا نعمل من أجل تنفيذ قرار الأمم المتحدة رقم «٢٤٢».

وكان الهدف من هذه السياسة المعلنة هو التمويه، إلا أن الأثر الجانبى لها تمثل فى انخفاض الروح المعنوية فى مصر، وترتبت على هذا مظاهرات شديدة، لكننى قلت أننا نستطيع أن نستثمر هذه المظاهرات لكى نبين لإسرائيل أن الشعب يريد الحرب بينما الحكومة غير قادرة عليها، حتى كبار المفكرين مثل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة، حرصت عندما التقيت معهم على التمويه بالرغم من تأكدى من إخلاصهم، بل إنهم كانوا أصدقاء لى، ومع ذلك كنت شديد الحرص على السرية، وقد قابلونى بعد الحرب بالقبلات فاعتذرت لهم على أننى كنت مضطرا لعدم توضيح حقيقة سياستنا الإعلامية، بينما نحن نجهز

للحرب، ورويت لهم كيف كنا نجلس فى مجلس الوزراء لتجهيز كل شىء تمهيدا للحرب ثم نخرج من الاجتماع ونقول مثلا أننا تناقشنا فى سياسة التعليم أو الإسكان.

■ لاشك أن هذا التمويه قد احتاج لأعصاب حديدية لأنك كنت حريصا على أن يتهموك؟

– ليس هذا فقط، بل كنت أنشر هذا الاتهام فى الخارج، فقد كنت أرى أن هذا هو التمويه الناجح، ثم كانت هناك عدة أشياء تكتيكية للتمويه بعد تحديد ساعة الصفر، منها أننا خلال الأيام الأولى من شهر أكتوبر ١٩٧٣ حرصنا على تسريب معلومات مضللة لكى تعطى لإسرائيل تفسيرا منطقيا لأى سؤال يظهر فى تلك الفترة حول تحركات الجيش، وضمن هذه المعلومات التى قمنا بتسريبها أن هناك مناورة يقوم بها الجيش تبدأ أول أكتوبر وتنتهى فى السابع منه، ولمزيد من الخداع قمنا بالإعلان عن أن على الضباط الراغبين فى أداء العمرة التقدم لتسجيل أسمائهم يوم ٦ أكتوبر، وقد اتفقت مع القائد العام للقوات المسلحة على نشر هذا الخبر فى الصحف.

## الخطة الإعلامية

■ ولماذا لم تعلن من قبل عن تفاصيل تلك الخطة الإعلامية التى كنت فيها المايسترو بما تحمله من دراسة إعلامية على أعلى مستوى وبما تملكه من خبرة عملية طويلة فى هذا المجال، حيث لم تعلن عن تلك التفاصيل إلا مؤخرا، وبعد ربع قرن من النص بإصدارك كتابك الأخير بعنوان «المفاجأة الاستراتيجية فى حرب أكتوبر»؟

– بالطبع كان من الممكن أن أكتب بعد الحرب وأروى ما جرى، لكننى عندما وجدت الكثيرين يكتبون المذكرات بعضها صحيح والبعض الآخر به شىء من الخيال فضلت ألا أكتب فى ذلك الوقت وإذا بالرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون يكتب فى مذكراته أن المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية «الموساد» والمعروف أنها مخابرات على أعلى مستوى، لم يخبروه بموعد الحرب إلا قبل نشوبها بساعات.

كما أن كيسنجر كتب فى مذكراته قائلا: حينما قابلت السادات لأول مرة

وبدأنا نتحدث معا قلت له: قبل أن نتكلم أريد أن أعرف كيف استطعت عمل خداع فى الإعلام المصرى طوال مدة ما قبل الحرب إلى درجة أن المخابرات المركزية الأمريكية لم تكن تعلم بالحرب إلى آخر وقت.

كذلك «اليزاعيرا» رئيس الاستخبارات الحربية الإسرائيلية اعترف بأن الخداع الإعلامى المصرى قبل الحرب قد ضلل القيادة الإسرائيلية، لأنهم كانوا معتمدين على أن توفر لهم المخابرات الإسرائيلية أخبارا بسرعة حول الاستعدادات المصرية لكى يستطيعوا توجيه الضربة الأولى ضدنا، وخاصة أن الحروب بشكل عام تنجح مع الضربة الأولى الجيدة، ولقد سئل خلال محاكمته: لماذا لم تخبر جولدا مائير بموعد الحرب؟ فقال: لقد نادتنى جولدا مائير أنا وديان وقالت أن هناك شخصية عربية كبيرة وصديقة قالت لنا أن الحرب قريبة جدا، ومع ذلك لم يقم ديان بعمل تعبئة، فقد كانت كل الشواهد فى الإعلام المصرى تعطى صورة بأن مصر غير قادرة على الحرب، وأضاف أن أكبر خدعة وقعت فى هذه الحرب هى التشويش الإعلامى المصرى، مما يجعل لمصر فخرا كبيرا بنجاح إعلامها فى تحقيق هذا، وأن هذا النجاح هو إما نتيجة لشخصية السادات أو لشخص آخر إلى جواره جعل رسالة الإعلام لا يتضح منها أن هذا خداع.

■ إذن لقد شهد شهود من أهلهم بما يؤكد أن شهادتك على خداعك العدو الإسرائيلى قد تأخرت طويلا؟

– بالفعل ولقد أردت مؤخرا أن تعرف الأجيال الجديدة ما جرى وكيف نجحنا فى خداع الإسرائيليين وأيضا الأمريكان، فالكثير من الشباب ينبهرون بإسرائيل ولابد من توضيح الحقيقة لهم حتى يعود الوعى، لأن ما حدث فى ١٩٧٣ جدير بالتأمل وأن يدركه الشباب سواء على مستوى القوات المسلحة التى قامت بأروع الأعمال البطولية أو على مستوى التمهيد والإعداد للحرب.

# قناة السويس وعبد الناصر والسادات

**المهندس مشهور أحمد مشهور:**

■ عبدالناصر «جدع» وشهم وابن بلد منذ عرفته عام ١٩٤٢.

■ انضممت إلى تنظيم الضباط الأحرار على يدي عبدالناصر عام ١٩٥٠.

■ استمتعت بحكايات السادات عن «دكة غويبة». و«نوم اللوارى» و«خضار الجيش الإنجليزى».

■ جلس السادات على مقهى فى السويس ليستعيد ذكرياته حين كان يعمل «تباعا».

■ أكتوبر ١٩٩٨

الحوار مع المهندس مشهور أحمد مشهور الأب الروحى لقناة السويس هو حوار شديد الثراء وصندوق ذكرياته ملئ بالأسرار التى تنشر لأول مرة. فالرجل من القلائل الذين استمروا فى موقعهم طيلة فترتى حكم الرئيسين عبدالناصر والسادات والثلاث سنوات الأولى من حكم الرئيس مبارك، ومن القلائل الذين جمعوا بين صداقة الرؤساء الثلاثة وكان موضع ثقتهم مما يجعل ما يرويه ليس مجرد سرد لحكايات. ولكنه شهادة للتاريخ يقدمها رجل عاش التاريخ وشهد تفاصيل وشارك فى نسجها.

أما قناة السويس فوحدها فى التاريخ العربى كله تحتفظ بموقع شديد التميز فى الذاكرة العربية، بدءا من وقائع حفرها المريرة، إلى لمعانها المضىء كمعركة سياسية عسكرية خاضها العرب فى العصر الحديث، ومازالت فى الذاكرة مظاهرات العرب عام ١٩٥٦، وقطع خطوط النفط فى سوريا، وأصبح تأميم القناة وما صاحبه وتداعى عنه واحدا من النقاط المضيئة فى الذاكرة العربية.

وفى تاريخ قناة السويس. يبرز اسم المهندس مشهور أحمد مشهور كأحد أركان المثلث الذهبى للقناة منذ التخطيط لتأميمها مع رفيقيه محمود يونس وعبدالحميد أبوبكر، إلا أن مشهور أحمد مشهور يعد بحق الأب الروحى لقناة السويس، فهو ابن إحدى العائلات الثرية فى

محافظة الشرقية، تربطه بالرئيس الراحل جمال عبدالناصر صداقة عميقة قبل الثورة استمرت بعدها، وهو شاهد على عصر وتاريخ، وأهمية الحوار معه أنه شاهد وسمع وعرف ولم يتكلم، فجاء هذا الحوار معه مليئا بالجديد والطازج من الحكايات عن عبدالناصر، وعن التأميم، وعن السادات، وعن عودة الملاحة إلى القناة.

فى البداية كان لابد أن استمع من المهندس مشهور أحمد مشهور إلى ملامح حول بدايات علاقته بقناة السويس فبدأ الحديث قائلا:

قبل التأميم كانت قناة السويس بعيدة حتى عن أحلامى. رغم أننى بالصدفة كنت أقيم خلال الأربعينيات فى شقة بحى جاردن سيتى بالقاهرة تطل شرفتها على مقر شركة قناة السويس. وكان الناس يطلقون عليها اسم «الشركة الفرنسية». أما القناة نفسها فكنت أطل على مياهها التى رواها المصريون بدمائهم سواء فى بداية حفرها أو من خلال دفاعهم عن أرضها على مدى الحروب المتكررة التى شهدتها مياهها، كنت أطل على تلك المياه من حين لآخر، عندما التحقت بالقوات المسلحة المصرية كضابط مهندس. حيث أصبحت لى بعض المأموريات فى منطقة القناة. كما كنت أطل على مياهها وتتمتع عيناى بجمال مدينة الإسماعيلية عندما كنت أزور شقيقى الذى كان طبيبا فى مدينة «فايد» لكن ظلت القناة كمجرى ملاحى بعيدة فى ذلك الوقت عن أحلامى. لدرجة أنه كان معنا فى القوات المسلحة صديق ضابط مهندس اسمه حسين فايق، وهو ابن حسن باشا فايق وكيل وزارة المعارف فى ذلك الوقت، هذا الصديق تركنا فجأة والتحق بالعمل كمهندس فى قناة السويس، وكانت هناك علاقة أسرية بين أسرته وأسرتى. فكان يزورنى عندما يأتى إلى القاهرة ويغرينى بالعمل فى هيئة قناة السويس. بأن يذكر لى حجم مرتبه وكيف أنه يساوى خمسة أضعاف مرتبى فى القوات المسلحة، كما كان يذكر لى مميزات العمل فى القناة مثل السفر للخارج، وينصحنى بمحاولة الانتقال للعمل فى القناة، فكان ردى عليه هو: أنت والدك حسن باشا فايق بينما أنا والدى هو الحاج أحمد مشهور عمدة قرية السعديين بالشرقية، وبالتالى فإن العمل بالنسبة لى فى قناة السويس يعتبر أملا غير قابل للتحقيق، ونسيت الموضوع وإذا بالأيام تدور فيصبح الشخص

الذى لم يكن عنده أى أمل فى مجرد أن يخطو بقدميه إلى داخل ذلك المبنى. إذا بهذا الإنسان يصبح هو رئيس ذلك المرفق.

## وقائع تأميم القناة

■ كيف قدر لك العمل فى قناة السويس، ثم كيف أصبحت رئيسا لها؟

- عندما رفض البنك الدولى تمويل بناء السد العالى، ألقى الرئيس جمال عبدالناصر خطابا فى افتتاح أحد خطوط أنابيب البترول يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٦، وكان الخطاب مليئا بالاعتراض على سحب تمويل السد العالى بتلك الطريقة المهينة، وكانت بالفعل طريقة مهينة، حيث شككوا فى اقتصاد مصر وقدراتها الاقتصادية والمالية على القيام بعمل مشروع بتلك الضخامة، وقال عبدالناصر أنه سيرد عليهم يوم ٢٦ يوليو فى الخطاب الذى سيلقيه فى الإسكندرية بميدان المنشية، أى بعد ٤٨ ساعة، فكرت وقتها وتساءلت بينى وبين نفسى حول الشىء الذى من الممكن أن يرد به جمال عبدالناصر عليهم، فلم أجد سوى تأميم قناة السويس، وظل هذا الاستنتاج بينى وبين نفسى، وإذا بى أفاجأ صباح يوم ٢٦ يوليو بعباس رضوان مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى ذلك الوقت يتصل بى تليفونيا، ويطلب منى أن أذهب إليهم فى الساعة الثالثة ظهرا، لأننى مكلف بمأمورية، وطلب منى أن أجهز نفسى للمبيت حيث هناك احتمال تمضية عدة أيام لإنجاز تلك المأمورية.

هذا الكلام أكد لى المعنى الذى استنتجته بينى وبين نفسى، وقلت لزوجتى أنى ذاهب إلى مكتب عباس رضوان لكننى أتوقع فى الغالب أن يتم تأميم قناة السويس، وذهبت إلى مكتب عباس رضوان وهناك التقيت ببعض الإخوة الذين سيشاركوننا فى هذا العمل، دون أن يفصح عباس رضوان لأى منا عن طبيعة المأمورية التى نحن ذاهبون لإنجازها.

ركبنا سيارة، ولم يخبرنا أحد إلى أين ستتجه. وكانت الخطة التى حددها المهندس محمود يونس شديدة السرية لضمان عدم كشف العملية.

وفى الطريق كنت أجلس فى السيارة إلى جوار المهندس عبدالحميد أبو بكر، قلت له أنا أتوقع أننا فى طريقنا لتأميم قناة السويس. وعلى

الرغم من علمه بالقرار من محمود يونس لأنه كان مدير مكتبه فى وزارة البترول خلال ذلك الوقت وأطلعه على تلك المعلومة إلا أنه التزم الصمت ولم يفصح. بل أبدى اندهاشه من استنتاجي. وعندما وصلنا إلى الإسماعيلية كان اجتماعنا فى مكتب اللواء علي عامر قائد الجبهة الشرقية فى ذلك الوقت، هناك أعلن لنا محمود يونس الغرض من تواجدنا فى هذا المكان وهو تأميم قناة السويس، وتم تقسيمنا إلى مجموعتين، واحدة تتجه إلى بورسعيد، وأخرى إلى السويس، على أن تبقى المجموعة الثالثة فى الإسماعيلية، وكنت ضمن المجموعة التى بقيت فى الإسماعيلية وعندما ذكر جمال عبد الناصر فى خطبته اسم «ديلسبس» وهى كلمة السر المتفق عليها، وكانت التعليمات التى أعطاها لنا محمود يونس بمجرد ذكر «ديلسبس» كان علينا أن نتحرك وندخل مكاتب الهيئة كنوع من الاستيلاء على المكاتب والسيطرة على منطقة قناة السويس فى ذلك الوقت. بعد أن وصلنا استدعى محمود يونس الثلاثة الكبار من موظفى قناة السويس الأجانب الموجودين فى الإسماعيلية وأخطرهم أن القناة قد تم تأميمها وأن أعمال جميع الموظفين والعاملين فى الشركة مستمرة، وأن جميع مزاياهم وحقوقهم وكل ما هم مرتبطون به فى القناة قائم ومستمر. بدأ الموظفون يوجهون بعض الأسئلة، فقال لهم أن «باريس» من اليوم تم إلغاؤها وأن المجموعة المصرية التى يرأسها قد حلت محل باريس فى الإدارة، وأن أى شيء كانوا يرجعون فيه إلى باريس لأخذ الرأى، عليهم أن يرجعوا فيه الآن إلى تلك المجموعة، على أن تظل مسئوليتهم فى العمل بالقناة كما هى.

■ **وكيف كان حجم العمالة المصرية في قناة السويس في ذلك الوقت؟**

- الشركة الفرنسية لم تكن تستعين بمصريين فى المناصب العليا، أو الحساسة أو عالية الفنية والتقنية، فإذا كان محمود يونس قد استدعى المديرين الثلاثة الكبار وكلهم من الفرنسيين فإن كل من يليهم فى المسئوليات كانوا أيضا من الفرنسيين، لأن الهرم الوظيفى فى القناة كان معظم الجزء العلوى منه من الأجانب، أما النسبة التى كانت مخصصة لمصر بناء على الاتفاقات، فكانت معظمها من الوظائف الكتابية حتى لو كان المصرى فى وظيفة كبيرة إلى حد ما، فلابد أن تكون

تلك الوظيفة فى مجال لا يسمح له بمعرفة أسرار العمل، وتم الاتفاق على استمرار الأجانب، وعلى حقوقهم وبدأوا يسألون عن أولادهم وإجازاتهم، فتم إخبارهم بأنهم فى أمان تام.

وتم تقسيمنا بعد ذلك إلى مجموعات حسب الأعمال، فادارة الملاحة كنت أنا فيها مع الأميرلاى سعيد الرفاعى وكان الأميرلاى فؤاد الطودى فى التحركات، وهناك من تولوا الأشغال والشئون المالية والإدارية، كان الهدف من تقسيمنا على الأعمال المختلفة هو أن نتعرف على طبيعة العمل، وليس أن نديره، فلقد كان «ريمون» الفرنسى مازال هو الذى يدير العمل، لكننا كنا فقط نتابع ما يقومون به، والحقيقة أن تقسيمنا على مختلف مواقع الشركة كان لكى تتعرف كل مجموعة على موقع. ثم عندما نجتمع فى المساء كانت كل مجموعة تشرح ما قامت بالتعرف عليه، فتعرف كل مجموعة حصيلة معلومات بقية المجموعات، حتى استطعنا فى فترة قصيرة أن نحصل على حجم من المعلومات كبير جدا.

ومن حسن الحظ أننا منذ اليوم الأول توقعنا احتمال انسحاب الأجانب، فبدأنا نخطط لما سيترتب على ذلك، وقررنا أن أى وظيفة يشغلها أجنبى نضع معه مساعدا مصريا يتعلم منه نظام العمل.

ومن الأمور المهمة التى تذكر للرئيس جمال عبدالناصر أنه مع إصداره لقرار التأميم أعطى لمحمود يونس سلطات رئيس الجمهورية فى منطقة قناة السويس، كما أعطى تعليمات لجميع الوزراء بأن ما يطلبه محمود يونس من موظفين أو خدمات أو أى شىء يجب أن يجاب كما لو كان هذا الطلب مصدره رئيس الجمهورية نفسه، وبالفعل كان يتم إنجاز المطلوب بسرعة وكفاءة، وعندما عرفنا أن الأجانب سوف ينسحبون كان القطاع الذى نخشى أن يتأثر بالانسحاب هو إرشاد السفن أثناء العبور، وكان عدد المرشدين فى القناة خلال تلك الفترة يتجاوز رقم الـ٢٠٠ مرشد. منهم حوالى ٢٩ مرشدا مصريا، وهى نسبة ضئيلة جدا، والمركب لكى تمر فى القناة تحتاج لأربعة مرشدين، وإذا كان عدد السفن التى تمر يوميا يصل إلى حوالى أربعين مركبا، توقعنا ظهور مشاكل نتيجة لقلة العدد، لكننا بدأنا فى الحال نستدعى مرشدين من القوات البحرية والموانئ، وندربهم

على الإرشاد، وكانت المدة المطلوبة لاستكمال تدريب المرشد فى ذلك الوقت هى حوالى العامين، وهى مدة طويلة، لأنهم كانوا يقسمون القناة إلى أربعة قطاعات: من بورسعيد للإسماعيلية قطاع أول، ثم العكس من الإسماعيلية لبورسعيد قطاع ثان، وبالطريقة نفسها من الإسماعيلية للسويس قطاع ثالث، ومن السويس للإسماعيلية قطاع رابع.

وكانت مدة التدريب لكل قطاع ستة أشهر، وما فعلناه هو الاكتفاء بأن يكون التدريب للمرشد على قطاع واحد، وأن تقتصر الرحلات التى يعمل فيها على هذا القطاع الذى يتدرب عليه تحت إشراف أحد المرشدين القدامى من المصريين، مع الحرص على أن يساعده المرشد المصرى القديم فى سرعة الاعتماد على نفسه وإعطاء التعليمات الإرشادية، واستطعنا انتقاء عدد كبير من المرشدين وتوفير مجموعة تواجه الظروف عند الانسحاب.

وكانت إحدى المميزات أن فريق العمل فى القناة برئاسة محمود يونس كان فريقا من عناصر ممتازة، وكان كل منهم حريصا على النجاح ومليئا بالإصرار والثقة، والحمد لله فى يوم ١٥ سبتمبر انسحب الأجانب، وهم يتصورون أننا لن ننجح فى تسيير القناة ولكن نجحت الملاحة بالمرشدين المصريين، وكان معدل السفن فى ذلك الوقت ٣٦ مركبا لكن فى أول يوم وصل ٤٢ مركبا، ومرت جميع السفن فى الموعد المحدد سواء مع المرشدين الجدد الذين كان يتم خروجهم للإرشاد فى المراكب الصغيرة، أو المرشدين القدامى الذين بذلوا جهدا خارقا فى تلك الأيام، فكان الواحد منهم يأخذ المركب دفعة واحدة من بورسعيد إلى السويس ويستريح بعض الوقت فى السويس ثم يعود بمركب آخر من السويس لبورسعيد مباشرة.

والحمد لله مرت الأيام الأولى بنجاح، بفضل من الله، ومر أسبوعان دون أية حوادث من تلك الحوادث الطارئة التى قد تحدث فجأة فى الملاحة. مثل تعطل موتور أحد المراكب أو شىء من هذا القبيل ولقد أدى النجاح فى أن تمر جميع المراكب فى الموعد المحدد، إلى أن يشيد العالم بنجاح الإدارة المصرية.

## التأميم غير انفعالى

■ هناك من يعتبرون أن قرار جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس كان قرارا انفعاليا فما تعليقك على هذا؟

- قرار التأميم لم يكن انفعاليا، فجمال عبدالناصر فكر فى قناة السويس حتى قبل سحب تمويل السد العالى، فقد كانت مركزا للجاسوسية ضد مصر، وأرسل عبدالناصر مجموعة من جهاز التعبئة والإحصاء لمتابعة ما يجرى هناك قبل رفض تمويل السد العالى، وعندما تم رفض تمويل السد قال عبدالناصر: ولماذا لا نفكر فى هذا المورد الكبير الذى لا نأخذ منه شيئا، فشركة قناة السويس كانت دولة داخل الدولة، وكان كل عائدها يذهب للأجانب بينما نأخذ نحن الفتات، فدخل القناة عام ١٩٥٦ كان ٣٥ مليون جنيه أى ما يساوى مائة مليون دولار، لأن الدولار فى ذلك الوقت كانت قيمته حوالى ٣٥ قرشا، نحن كنا نأخذ من كل هذا المبلغ ٣ ملايين دولار أى ٣٪ فقط مع ملاحظة أننا لم تكن نأخذ تلك النسبة الضئيلة من قبل، فمنذ افتتاح قناة السويس أيام الخديوى إسماعيل حتى ٦٠ سنة مضت، لم نكن نأخذ أى شىء فتاريخ القناة لم يكن هو السخرة فى الحفر فقط، بل الظلم فى كل شىء لمصر بعد ذلك، فلقد كان لمصر ٤٤٪ من الأسهم تم بيعها بسبب كثرة الديون، وكان المبلغ الذى تم بيع الأسهم به هو ٤ ملايين جنيه فقط. فلم نعد نملك شيئا من الأسهم، كان لنا ١٥٪ من العائد أو الربح الصافى تنازلنا عنه، وإذا بشركة قناة السويس مصرية اسما بينما هى فى الحقيقة فرنسية - إنجليزية، وليست مصرية بأى شكل من الأشكال، فكانت بالفعل دولة داخل الدولة.

■ هل أنت مع الرأى الذى يقول أن تأميم عبدالناصر للقناة حولها من مصدر حزن لدى المصريين منذ حفرها إلى شىء مختلف تماما؟!

- كانت القناة منذ حفرها بالفعل مصدر حزن للمصريين، فلقد ضحك ديلسبس على الخديوى سعيد وحصل على الفرمان وامتيازات الأرض وتعيين ٦٠ ألف رجل بالسخرة، وكانت كلما تنتهى فترة عمل الـ ٦٠ ألف يتم إحلال غيرهم، فوصل عدد من عملوا فى حفر القناة على مدى عشر

سنوات مالا يقل عن مليون مصرى، مات منهم ١٢٠ ألفا، فكانت عملية فيها نوع من الظلم، كيف أعطى الخديوى سعيد هذا الفرمان بهذه الامتيازات؟! مسألة عجيبة، ثم باع الخديوى إسماعيل حصتنا من القناة لسد جزء من ديون مصر فكأنه قد باعها مجانا، فكانت العملية كلها خسائر إلى أن أعلن عبدالناصر تأميمها.

## ناصر ٥٦

■ هل رأيت فيلم «ناصر ٥٦»؟

- نعم.

■ هل نجح الفيلم فى تسجيل فترة تأميم القناة تسجيلا دقيقا؟

- لا أستطيع القول بأن التسجيل كان دقيقا، مع هذا فهو فيلم يعطى فكرة عن تلك الفترة.

■ إذن ما الذى كان ينقص الفيلم؟

- لا أستطيع الحكم حكما صحيحا، إلا إذا كنت قد شاهدت الفيلم عدة مرات، لكننى شاهدته مرة واحدة، وما أريد قوله أنه كان يجب تناول تفاصيل مهمة عند تناول التأميم من أحداث سبقت العدوان الثلاثى.

■ أين كنت وقت العدوان الثلاثى؟

- كنت فى الإسماعيلية.

■ كشاهد.. ماذا تروى لنا؟

- فى تلك الفترة بدأ العدوان على منطقة قناة السويس، فكانت هناك وحدات بحرية أصابتها الطائرات، فانسد مجرى القناة، وتوقفت الملاحة، وتم وقتها استدعاء محمود يونس إلى القاهرة لإدارة قطاع البترول وقت الحرب، وأخذ معه مجموعة من الزملاء الذين جاءوا معنا لتأميم قناة السويس.

بينما كانت الأوامر بالنسبة لى هى أن أستمر أنا فى الإسماعيلية مع الأميرالاى فؤاد بكر، وبعض الزملاء الذين استمروا كمتطوعين هم ومجموعة من العمال، فى ذلك الوقت جاء كمال الدين حسين ليصبح مسئولا عن المقاومة الشعبية، فكان هو قائد المقاومة فى الإسماعيلية، وكنت أنا وفؤاد بكر مسئولين عن قناة السويس، واستمر دورنا هو

مـواصـلـة الخدمـة عبر المجهود الحربى فى فترة الـعـدوان إلى أن تم الانسحاب.

■ هل قامت المقاومة الشعبية فى الإسماعيلية بعمليات مثل بورسعيد؟

- كانت المقاومة فى بورسعيد أكبر نتيجة لوجود القوات الأجنبية هناك، لكن كان لابد من إعداد مجموعات للمقاومة فى الإسماعيلية توقعا لأى نجاح من القوات الأجنبية فى التغلغل إلى الإسماعيلية.

■ وماذا حدث بعد انسحاب المعتدين من بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦؟

- بعد الانسحاب، كانت هناك ضرورة لرفع العوائق الغارقة فى القناة، وكانت الأمم المتحدة متعاطفة جدا مع إعادة فتح قناة السويس، وتم تعيين الجنرال الأمريكى «هويلر» مع نوع من المعاونة المادية لإزالة العوائق التى تم إغراقها فى المجرى الملاحى استعدادا لإعادة فتح قناة السويس، جاء «هويلر» وبدأ يقوم بالعمل، وكان المطلوب فى ذلك الوقت ونحن نعمل أن يعود اليهود إلى حدودهم، كنا نعاون «هويلر» لكننا تعمدنا ألا يتم الانتهاء من تنظيف القناة من العوائق بسرعة، بل بالعكس كنا نضع مفرقعات ليلا، ويخرجونها فى الصباح إلى أن تراجع آخر جندى إسرائيلى إلى خط الحدود فرفعنا ما بقى من العوائق لكى نعيد فتح القناة.

## الانسحاب

■ هل كانت هناك أوامر بعدم الانتهاء من رفع العوائق إلا بعد الانتهاء من الانسحاب؟

- بالضبط، لأن القناة لو كان قد تم افتتاحها بينما القوات الإسرائيلية مازالت فى سيناء لما عاد هناك ضغط، لأن الغرب كان متعجلا لإعادة فتح القناة بسرعة من أجل البترول والتجارة، فأخذنا نعيق عملية التطهير إلى أن تم الانسحاب، ومع انسحاب آخر جندى إسرائيلى كنا نرفع آخر عائق، وتمت إعادة فتح القناة فى أبريل ١٩٥٧، وأصبحنا منذ هذا الوقت أصحاب اليد الأولى والكاملة فى إدارة القناة وتحصيل إيرادها، ففى الفترة التى بعد التأميم وقبل أن تصل جيوش العدوان

الثلاثى، كان الغرب يعطى تعليمات لسفن غربية بعدم دفع الرسوم عند عبور القناة، صحيح أن القاعدة تقول أن المركب لا يمر إلا إذا دفع رسومه، لكن لو كنا منعناهم من المرور بسبب امتناعهم عن الدفع كان من الممكن أن ينقلوا الصورة بأن المراكب لا تسير وكأننا فشلنا، وليس بسبب أنهم لم يدفعوا، فكنا نترك المراكب تمر دون دفع رسوم، وبعد العدوان أوقفنا هذه المسألة، فالمركب الذى لا يدفع لا يمر، ليس هذا فقط، بل وضعنا القواعد للدفع ممن سبق أن مروا دون أن يدفعوا، وبذلك أخذنا حقنا.

ولقد كان منصبى فى تلك الفترة هو نائب مدير التحركات، وكان سعيد الرفاعى هو مدير التحركات، التى تشمل الارشاد وكل ما هو متصل بتحريك السفن، لذلك فالتحركات تعتبر أحد أهم العناصر فى تسيير قناة السويس. وفى قطاع التحركات كان هناك أيضا المرحوم فؤاد الطودى الذى تركنا بعد ذلك وأصبح مسئولا عن إدارة التموين. وبعد فترة أصبحت مديرا للتحركات وعضو مجلس الإدارة، إلى أن جاء عام ١٩٦٥ حيث تم اختيار المهندس محمود يونس وزيرا للنقل. وتم اختيارى رئيسا لهيئة قناة السويس بدرجة وزير.

## عبدالناصر وأنا

■ ما سر اختيار جمال عبدالناصر لك رئيسا للقناة بينما كان هناك من هم أقدم منك فى الرتب والأقدمية وقتها؟

- أنا أعرف جمال عبدالناصر - الله يرحمه - من قبل الثورة، ومعرفتى به قوية من خلال الزمالة فى القوات المسلحة، ومن خلال تنظيم الضباط الأحرار، لذلك فعندما تم اختيار محمود يونس وزيرا للنقل، تم فى الوقت ذاته اختيارى لأحل محله رئيسا لهيئة قناة السويس بالرغم من أننى لم أكن رقم «٢» لمحمود يونس فى الهيئة وإنما كنت رقم «٥»، والمعروف أن فى الجيش احتراما كبيرا للأقدمية، ولقد كان هناك ممن يسبقوننى فى الترتيب «أميرالايات» أى «عمداء» مع ذلك تم اختيارى فى حين أننى كنت «بكباشى» أى «مقدم».

■ أى أنك كنت مثل جمال عبدالناصر عند بداية الثورة؟

ـ نعم. فلقد كنا من الدفعة نفسها والسن نفسها، واختارنى لأنه يعرفنى شخصيا ويثق فى لدرجة أن عبدالمجيد فريد عندما أبلغنى وقتها بالقرار أخبرنى أيضا أن الرئيس جمال عبدالناصر يستدعينى للقائه فى اليوم التالى. وفى اللقاء قال لى عبدالناصر: هناك فى القناة زملاء لك من كلية أركان الحرب، وهم أقدم منك لكننى اخترتك أنت، ومن الوارد ألا يتقبل بعضهم أن تكون رئيسا عليهم، باعتبارك أنت «مقدم» وهم «عمداء». وقال أنه يقوم بإعادة تنظيم للمؤسسات والهيئات فى الدولة، ثم قدم لى بيانا بالهيئات وهو يقول لى: الذى لا يحب أن يتعامل معك منهم يختار أية مؤسسة من هذه المؤسسات ليعمل رئيسا لها، لأننا لا ننسى لهم نجاحهم فى التأميم. ومن سيأتى رئيسا لأية مؤسسة سيكون بدرجة نائب وزير، أى فى وضع وظيفى أفضل، ثم أكمل لى قائلا: أنت أيضا بصراحة إذا كان من بينهم أى شخص لا ترتاح إليه أخبرنى باسمه ليتم نقله إلى مكان آخر، وكان ردى: أنا أحبهم جميعا وأحب أن يستمر التعاون بيننا إلا إذا كان من بينهم أحد لا يرحب بهذا التعاون. وعدت إلى الإسماعيلية، وجمعتهم، وأخبرتهم بما دار مع جمال عبدالناصر وعرضت عليهم القائمة التى تتضمن أسماء المؤسسات. ووجدتهم جميعا يتمتعون بروح طيبة جدا، فقد قالوا لى: أنت زميل وتعيش معنا، وواحد منا، واختيارك أفضل من أن يأتى لنا رئيس غريب علينا، وأضافوا: انس موضوع الرتب تماما، والحقيقة وجدتهم متعاونين معى تعاونا رائعا، وهم المرحوم الأميرالاى فؤاد الطودى والأمير الآى فؤاد بكر والأمير الآى سعيد الرفاعى، والمهندس على محمود، والمهندس مصطفى الحفناوى الذى كان مستشار الهيئة القانونى، كل هؤلاء كانوا أقدم منى، ومن عزت عادل.

ثم يضحك وهو يروى رد الفعل فى بيته على قرار تعيينه رئيسا لقناة السويس قائلا: لقد فرح أبنائى جدا، فقلت لهم: لماذا تفرحون، أنا الآن عمرى ٤٦ سنة، لو أننى مستمر فى العمل كمدير سأستمر إلى سن الستين، فمازال أمامى ١٤ سنة خدمة، أما الآن وقد أصبحت رئيسا للهيئة فلو تم نقلى فإننى سوف أفقد العمل ككل، حيث التغيرات فى القمة سريعة، وقلت لهم: احمدوا ربنا، وإن شاء الله يسترها معنا، كما طلبت منهم أن

يتواضعوا، ثم الحمد لله، إذا بعملى يمتد بقية عهد جمال عبدالناصر، وطوال عهد الرئيس أنور السادات الله يرحمه، ثم ثلاث سنوات فى عهد الرئيس حسنى مبارك.

■ كان عبدالناصر يعرفك قبل الثورة فما هى حكايتك مع جمال عبدالناصر؟

ـ أنا أعرف جمال عبدالناصر منذ عام ١٩٤٢ وقتها كنت أنا مدرسا فى مدرسة الهندسة العسكرية فى «مسطرد»، وكان هو مدرسا فى الكلية الحربية، وكان طلبة الكلية الحربية يأتون للتمرين فى «مسطرد» على هندسة الميدان وعبور ترعة الإسماعيلية، فكنا نحضر معهم. وكان سمير حلمى ضابطا مدرسا فى الكلية الحربية، وكان يأتى مع تلك المجموعة، وفى مرة جاءت مجموعات ومعهم سمير حلمى وكان معهم ضابط آخر. أخذ هذا الضابط يتحدث معى أثناء تدريب الطلبة، بعد ذلك نادى هذا الضابط على سمير حلمى وقال له أنت لم تعرفنى جيدا بمشهور أحمد مشهور فرد سمير حلمى: ماذا تقصد فأخذ يروى له الحوار الذى دار بيننا، فقال له سمير حلمى: أنا نسيت أن أخبرك أنه عضو فى حزب مصر الفتاة. كان الضابط هو جمال عبدالناصر، وكانت الأسئلة التى يسألها لى أسئلة وطنية، وكنت أجيبه بأفكار «مصر الفتاة»، التى كانت فى ذلك الوقت متمردة على الضباط الكبار، وعلى نظام الحكم وعلى الملك وعلى الأحزاب. ثم قال لى جمال عبدالناصر أنهم يعقدون اجتماعا فى منزله أسبوعيا، وأعطانى عنوان بيته.

■ أين كان يقيم فى ذلك الوقت؟

ـ كان يقيم فى العباسية عند تقاطع شارع أحمد سعيد مع شارع الملكة نازلى، حيث يوجد شارع متفرع منه هو شارع الوقاد، كان يقيم فى شقة صغيرة بالدور الثالث بإحدى عمارات الشارع. دعانى للقاء معهم، وأخبرنى أن زميلى المهندس سمير حلمى يحضر معهم، ثم ذكر لى أسماء عدد ممن يلتقون بهم، وكان من بينهم عاطف السمادونى. كان سمير حلمى يقيم بالقرب منى فى العباسية، وكان عاطف السمادونى يقيم فى شارع «الملكة نازلى»، وبدأت أحضر معهم، كانت تلك الاجتماعات تدور حول كيف يمكن إصلاح البلد، بمعنى كيف يمكن إنقاذ مصر من الاحتلال

الإنجليزى وفساد الأحزاب وفساد الملك؟ وكانت مناقشة هذه الأحوال موضوع تلك الاجتماعات.. و أحيانا كان يحضر محمود لبيب من الإخوان المسلمين كما حضر حسن البنا مرة، ولكن فى ذلك الاجتماع لم يكن يدعو للإخوان، وإنما كان يتحدث حول كيفية إنقاذ البلد. وكانت المناقشات معظمها يدور حول إصلاح الجيش، وإصلاح حال الضباط، حيث كان كثير من الضباط الشبان فى ذلك الوقت، وهم فى تلك السن الصغيرة، يسهرون فى الملاهى ويشربون، فكان الحديث يدور حول كيف نغرس الوطنية فى هذا الشباب الذى هو أمل مصر بحيث يتشبع بالوطنية، وتتفتح عيونه على أحوال البلد.

■ أى أن هذه الدردشة الأسبوعية كانت نواة تنظيم الضباط الأحرار؟

- بالضبط. كانت نواة للضباط الأحرار، وظلت تلك الاجتماعات مستمرة إلى أن تم نقل جمال عبدالناصر خارج القاهرة، فتوقفت الاجتماعات، كان هذا حوالى عام ٤٣ أو ١٩٤٤، فى ذلك الوقت لم يكن تنظيم الضباط الأحرار قد بدأ بعد، ولم أر جمال عبدالناصر لفترة لأننى أصبحت أعمل فى مكان، وهو فى مكان آخر، ولدينا مشاغل، إلى أن قابلنى جمال عبدالناصر بعد ذلك أواخر عام ١٩٥٠ وأوائل ١٩٥١، وقال: هل تذكر الكلام الذى كنا نتكلم فيه زمان، قلت له: طبعا، فقال لى: نحن الآن نجهز لعمل أكبر من خلال خلايا ومجموعات لكى ننفذ ما كنا نتحدث فيه، وسألنى: أين تعمل الآن؟ قلت له: فى الكلية الحربية، فطلب منى أن أنضم إلى خلية معينة، وهذا سر أتحدث فيه لأول مرة.

■ هل هذا اللقاء كان بالمصادفة؟

- كان عبدالناصر يأتى لزيارة الكلية الحربية، فهو مدرس فى كلية أركان الحرب، وأنا مهندس فى الحربية، من هنا جاء اللقاء وقتها.

■ إلى أية خلية من خلايا الضباط الأحرار كان انضمامك؟

- كنت مع «حمدى عاشور» و«كمال الحناوى».

■ بما أنك قد عرفت عبدالناصر قبل الثورة وبعدها، هل تغير عبدالناصر بعد أن أصبح رئيسا؟

- عبدالناصر طوال عمره يتمتع بملكة التأثير فى الآخرين، مما يجعل الآخرين يحبونه، ولقد كان خدوما جدا، فمثلا إذا عرف أن عندى

امتحانا، أجده يحضر لى الورق والملخصات حتى أذاكر، فكان يتمتع بروح الخدمة، وأذكر بعد أن تعارفنا أنه قابل كمال مشهور ابن عمى، الذى كان تلميذا فى الكلية الحربية، فسأله: هل أنت قريب للمهندس مشهور أحمد مشهور؟ قال له: نعم، هو ابن عمى، فقال له: اعتبر أننى أنا هنا «مشهور ابن عمك» إذا احتجت لأى شىء تأتى لى فورا، ثم قابلنى عبدالناصر بعدها فقال لى: اعتبرنى أنا المسئول عن كمال ابن عمك. وهو لا يقول هذا مجرد كلام، ولكن يحرص على تأدية أية خدمة حقيقية، كان بالفعل يتمتع بميزة جذب الأصدقاء، وكان «جدع» فيه شهامة و«جدعنة» ابن البلد مما يجعل الآخرين يحبونه.

أما بعد الثورة ففى عام ١٩٥٤ كان يقوم بزيارات لمحافظات مصر المختلفة، وأنا أصلا من محافظة الشرقية، وسمعت أن أحد الضباط وجه له الدعوة لزيارته فى محافظة الشرقية، لكنه اعتذر. بعدها قابلته بالصدفة فى مبنى الاتحاد القومى، فقلت له: لماذا رفضت زيارة محافظة الشرقية؟ فقال لى: أنا لم أرفض زيارة الشرقية، كل ما فى الأمر أن هناك أناسا معينين وجهوا لى الدعوة لتناول الغداء فى بيتهم فى الشرقية فاعتذرت. لكن لو عندك أنت أنا موافق. وبالفعل تم تحديد الموعد فى قرية «السعديين» بلدى بالشرقية، وجاء وتناول الغداء عندى فى البيت مع مجموعة كبيرة من المرافقين، وألقى خطبة جميلة جدا فى «منيا القمح»، وهو المركز الذى تتبعه قريتى «السعديين»، وأدينا صلاة الجمعة. الله يرحمه كان إنسانا ودودا جدا، وكانت معطياته كبيرة جدا، وهو بشر من الطبيعى أن تكون له بعض الأخطاء.

■ **إذا كنت قد عرفت عبدالناصر قبل الثورة، فهل عرفت السادات أيضا قبل الثورة؟**

ـ عرفت السادات قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، كضابط وليس كصديق، فمعرفتى به لم تكن مثل معرفتى بعبدالناصر، فمثلا قبل الثورة كنت أزور عبدالناصر فى بيته، وهو أيضا زارنى فى بيتى، لكن أنور السادات قبل الثورة كنت أراه فى أماكن عامة، وأعرفه كمجرد اسم وليس معرفة كاملة، لكننى بدأت أعرفه بعد الثورة، حيث كان جمال عبدالناصر أحيانا يطلبنا للقائه، ويسألنى عن أحوال الفلاحين فى البلد والأمور

التي يشكو منها الفلاح، وأشياء من هذا القبيل، وفي أحد تلك اللقاءات وقبل تأميم قناة السويس كان السادات موجودا وعرفه بي جمال عبدالناصر، وقال له كلاما طيبا عني، من هنا كانت بداية التعارف مع أنور السادات الله يرحمه، لكن العلاقة الحقيقية بالسادات جاءت بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية، وبسبب المعرفة قناة السويس. فالسادات كانت له نقاط تفاخر، فمثلما كان لعبدالناصر نقاط تفاخر هي تأميم القناة وبناء السد العالي وغيرهما. كذلك السادات كان يتفاخر بحرب أكتوبر ١٩٧٣، وهذا من حقه، وكان يتفاخر أيضا بإعادة افتتاح قناة السويس باعتبار أن فتحها تم في عهده، وهذا ما كان يجعله يحب أن يقضي وقتا طويلا على قناة السويس في استراحات الهيئة المقامة على طول خط القناة.. وكان يحب الإسماعيلية وقال لي مرة أنه يحب الجلوس في استراحات الهيئة المطلة على مياه قناة السويس مباشرة لكي يرى الأنوار الحمراء والخضراء في القناة.

وهذه الأنوار هي إرشادات لتحديد المجرى الملاحي، فاللون الأخضر إشارة إلى الشرق، واللون الأحمر إشارة إلى أن يسير المركب في المنتصف، فقال لي السادات مرة: «أنا متعتي أن أجلس أمام مياه قناة السويس وأرى هذه الأنوار والإضاءة تتغير فوقها، لأن هذه الأنوار كانت مطفأة في الأيام التي كانت القناة فيها مغلقة قبل نصر أكتوبر ١٩٧٣، وأن إضاءة الأنوار بالنسبة لي تعني أن المراكب تسير».

واعتاد السادات بعد أن أصبح رئيسا أن يقضي في مدينة الإسماعيلية أوقاتا طويلة، ويرافقه في زياراته عادة المهندس عثمان أحمد عثمان - الله يرحمه - فكان ملازما له، وفي كثير من الأحيان كان يتم استدعائي لحضور تلك اللقاءات، وكانت تتضمن روتينا متكررا هو التمشية بعد الظهر، لأن السادات كان يحب التمشية جدا. وفي كثير من الأيام كان يستقل السيارة، ويحرص على أن يقودها بنفسه وإلى جواره كان يجلس المهندس عثمان أحمد عثمان، وكنت أجلس في مقعد السيارة الخلفي. وكانت تتبعنا عادة سيارة حراسة، وكان السادات يتجه شمالا أحيانا، و إلى الجنوب أحيانا أخرى، ثم نستريح في إحدى استراحات الهيئة، وأحيانا كان يصل إلى بورسعيد وهو يقود السيارة بنفسه بالرغم من أنها

مسافة طويلة، وذات مرة أوقفنا أحد العساكر على طريق القناة، كان السادات سعيدا جدا بأن العسكرى أوقف سيارتنا، وفى مرة ذهبنا إلى بورسعيد وكان الرئيس السادات يقود السيارة بنفسه، وجدناه يتجه بنا إلى الحى العربى، قلنا له: يا ريس هذه المنطقة مزدحمة، رد: أنا أعرف الطريق جيدا، وإذا بالأهالى بعد قليل يشعرون به فيلتف من حولنا مئات الناس ولم يعد فى استطاعتنا مغادرة المكان. وجاءت الحراسة التى كانت تسير وراءنا فى سيارة أخرى، وقاموا بتوسيع الطريق لنا إلى أن استطعنا الخروج بصعوبة. مرة أخرى قاد بنا السيارة، جنوبا إلى طريق «فايد»، وجلس على أحد المقاهى وطلب شايا. وقال أنه اعتاد الجلوس على هذا المقهى فى الأيام التى كان مطرودا خلالها من الجيش. وفى إحدى المرات كنا فى الإسماعيلية، فتوقف بالسيارة أمام أحد المقاهى، نزلنا وجلسنا، وبعد حوالى ثلاث أو أربع دقائق عرف الناس بوجود «الريس» فإذا بمئات الناس يلتفون من حولنا وعندما أخبرناه بضرورة أن نغادر المكان قبل أن يزداد ازدحاما، قال: كيف نمضى قبل أن نشرب الشاى. قلنا: «شاى إيه يا ريس». وفى مرة أخرى قال له المهندس عثمان أحمد عثمان: يا ريس أنت لك ذكريات حلوة فى الإسماعيلية. سأله: كيف؟ قال له: لقد تعرفت بمدام «جيهان» هنا فى الإسماعيلية، فرد السادات: «لا يا خويا أنا لم أعرفها هنا، لقد عرفتها فى «السويس» عن طريق «حسن عزت» لكن أنا ذكرياتى فى الإسماعيلية ذكريات سيئة»، قلنا: ما هى تلك الذكريات يا ريس؟! قال: (أثناء عملى «تباع» على سيارات النقل كنا مرة قد قمنا بتحميل اللورى من بورسعيد إلى الإسماعيلية، ووصلنا إلى حى «الثلاثين»، وفوجئنا بأن «الدوبل ضرب» ولكى نصلح «الدوبل» لابد أن نفرغ اللورى من البضاعة، وكانت البضاعة فى أجولة ثقيلة - ومازالت الرواية للسادات كما ينقلهاالمهندس مشهور - أخذت فى تفريغ اللورى من البضاعة إلى أن تعبت جدا لدرجة أننى شعرت بدوار فنمت فى اللورى، ولم أستيقظ إلا والشمس تلفح وجهى «آدى يا خويا ذكرياتى فى الإسماعيلية»).

ويعلق المهندس مشهور أحمد مشهور: لقد روى السادات هذه الذكريات غير المعروفة عنه ببساطة دون أية محاولة للإخفاء.

## حكايات السادات

يكمل المهندس مشهور ذكر نماذج مما كان يرويه السادات له وللمهندس عثمان أحمد عثمان فى جلساته معهما بالإسماعيلية قائلا: ذات مرة روى السادات حكاية طريفة جدا فقد وجدناه يقول: هنا يوجد شخص اسمه «محمود بك غويبة» أريد أن أراه، قلنا: حاضر يا ريس. نرسل فى إحضار «غويبة» هذا، وأخذ السادات يروى لنا قائلا: لقد كان غويبة بك يطلب منا نقل خضار للجيش الإنجليزى فى المعسكرات عندما كنت أعمل «تباعا»، وكنا بعد الانتهاء من النقل نأتى للمبيت فى مكتب «غويبة»، والمكتب عبارة عن دكان به «دكتين»، وسألنا عن مكان دورة المياه، قال لنا: توجد دورة مياه فى محطة السكة الحديد، فكنا ننام على «دكة غويبة» ونذهب إلى دورة المياه فى محطة السكة الحديد.. هذه هى ذكرياتى فى الإسماعيلية.

انتهى كلام الرئيس السادات كما يرويه المهندس مشهور أحمد مشهور الذى يعلق على ما رواه السادات قائلا أن السادات لم يكن يشعر بالحرج لكونه سبق له أن عمل «تباعا»، بل بالعكس كان بسيطا جدا، ولقد جئنا له بغويبة، وجلس معه ودار بينهما حوار طويل تخللته ذكريات عديدة.

ويضيف المهندس مشهور قائلا: الحقيقة أن المتعة التى كنت أستمتع بها فى الإسماعيلية هى الاستماع إلى حكايات الرئيس السادات، وحكايات المهندس عثمان أحمد عثمان، فكلاهما لديه قصص ممتعة جدا، فعثمان أحمد عثمان عنده قصص عن كفاحه كان يرويها فى مجالسنا ردا على ما يرويه السادات من حكايات كفاحه، وكنت أنا بينهما مستمتعاً بتلك القصص الجميلة. وفى الحقيقة لقد استمتعت بلقاءات السادات استمتاعا كبيرا جدا، وكان إنسانا ممتازا أحمل له كل الاحترام والحب.

■ أنت من القلائل الذين يحبون السادات، ويحبون جمال عبدالناصر فى الوقت ذاته.

- أريد أن أقول لك أن هذين الزعيمين أدى كل منهما ما يتصور أنه الصواب، وخدما الوطن، كل بطريقته، فأعطى كل منهما ما يمكن أن

يعطيه للوطن كل بوجهة نظره، وبما يقتنع به، ولا أحد يستطيع أن يغض الطرف عن بعض المآخذ، لكن على أساس أن نتعلم منها، إنما هناك بدون شك منجزات كبيرة جدا.

■ فى كلامك عن السادات وعبدالناصر لم تغفل ما فعله المهندس عثمان أحمد عثمان عندما أصدر كتابه «تجربتى» الذى تضمن عن عبدالناصر ما أثار الكثيرين ضده؟

- عثمان أحمد عثمان أخطأ فى هذا، واعترف عثمان نفسه بأن هذا الكتاب صدر دون أن يراجعه، وقال أنه كان فى نيته أن يراجع الكتاب قبل طبعه، وأن يعطيه لبعض الأصدقاء لمراجعته، لكنه أضاف أن الناشر استعجل فى إصداره.

■ تحدثت عن علاقتك بعبدالناصر والسادات، فهل التقيت بالرئيس حسنى مبارك؟

- كثيرا، والحقيقة أن الرئيس حسنى مبارك من الشخصيات الممتازة جدا، فهو إنسان سوى، ومهذب جدا، وكانت بداية تعارفنا عندما كان نائبا للرئيس السادات فرأيته إنسانا بسيطا جدا، غير متكلف فى التعامل مع الآخرين، وعندما أصبح رئيسا للجمهورية التقيت به عدة مرات فى مناسبات عديدة، كما كان يأتى لزيارة الإسماعيلية وحضور احتفالاتنا، وكان الرئيس مبارك كريما جدا معى، فلائحة قناة السويس تنص على أن سن المعاش هى الستون، لكن يجوز المد إلى عمر ٦٥ سنة، فكان الرئيس مبارك يمد لى فترة خدمتى إلى أن وصلت إلى عمر ٦٥ سنة، فذهبت وقلت له بأمانة أن لائحة قناة السويس تمنعنى من الاستمرار فى العمل فكان كريما جدا معى وأخذ يقول: أريد أن أقدم لك أى شىء لأنك خدمت البلد. فقلت له: يا ريس لقد أعطتنى الدولة أكثر مما أستحق وكرمتنى بما فيه الكفاية، فبعد نجاح التأميم مباشرة حصلت على وسام الاستحقاق، ثم بعد تعيينى رئيسا للقناة فى عهد عبدالناصر حصلت على وسام الجمهورية من الدرجة الأولى، ثم فى عهد الرئيس السادات وأنا فى الخدمة قبل الاحتفال بانتهاء تطوير القناة منحنى وشاح النيل الذى يعطى لرؤساء الوزارات، وبهذا أعطتنى الدولة أكثر مما أستحق، بينما كل ما فعلته هو أننى أديت واجبى.

## بين الحربين

■ قلت أن هيئة قناة السويس كانت فى الفترة ما بين الحربين تقوم بأعمال إنشائية فى دول الخليج فما هى حكاية تلك الأعمال؟

- عند انتهاء حرب ١٩٦٧ كان التواجد الإسرائيلى فى الضفة الشرقية للقناة تواجدا هشا وبسيطا جدا، وما استطعنا المشاركة فيه من خلال إمكانيات الهيئة هو أن ساهمنا فى إعادة الجنود المصريين المنسحبين من سيناء، أما بالنسبة للمعدات التى كانت فى المجرى المائى الملاحى فقد رفعناها وأخرجناها سواء من بورسعيد أو من البحيرات المرة، حتى لا يتم قصفها ثم أرسلنا جزءا من اللنشات الصغيرة إلى القاهرة، وجزءا إلى الإسكندرية، وبذلك استطعنا نقل معداتنا من المجرى المائى للقناة، كما عملنا فى المجهود الحربى لإقامة الخط الدفاعى الأول مع الجيش، فقمنا نحن به فى ورش القناة مع القوات المسلحة، وأخذنا ندعم هذا الخط ونحسن فيه، وفى النهاية وجدنا ضرورة نقل أنشطتنا إلى مواقع كثيرة متفرقة فى مصر فقمنا بنقل ورشنا إلى دمياط وإلى عدة مواقع فى ميناء الإسكندرية أخذناها وعملنا بها وتم نقل شركاتنا إلى الزقازيق وكفر سعد والإسكندرية، وبدأنا نعمل كما لو كنا «مقاولين» نعمل فى كل شىء. فقمنا بالعمل بتركيب كهرباء فى المطارات واشتركنا فى حفر الرياح الناصرى، كما عملنا فى الصرف المغطى للأراضى الزراعية، ودخلنا فى عمليات كثيرة مثل محطات الترام والمترو. وحرصت على تكوين وحدات اقتصادية مستقلة من كل مجموعة بحيث تتم تغطية المرتبات حتى لا تكون عبئا على الدولة، ونجحنا فى هذا حيث عملنا فى حوالى ١٥٠ موقعا، بالإضافة للعمل الخارجى حيث كنا نبنى فى الخليج وفى موانئ سورية: طرطوس واللاذقية، وبنى غازى فى ليبيا، كنا نعمل أرصفة الموانئ ونقوم بتعميق وإنشاء موانئ جديدة، وحصيلة هذه الأعمال كانت تغطى المرتبات. وفى الوقت نفسه كنا محتفظين بعناصر فى الإدارات ليظل تكوين الإدارات غير مفكك. فبقيت عناصر فى كل إدارة تخطط لليوم الذى ستتم فيه إعادة افتتاح قناة السويس.

■ إلى متى بقيت فى الإسماعيلية بعد حرب ١٩٦٧؟

ـ بقيت لفترة حيث توليت قيادة المقاومة الشعبية هناك . وكان اللواء «محمود عبداللطيف نجا» مساعدا لى ، وجاءتنى مجموعة من أكثر الضباط تميزا ، والذين كانوا يعملون فى الرقابة الإدارية ، وكان عددهم حوالى عشرة ضباط . وقمنا بالدعوة للانضمام إلى المقاومة الشعبية بنظام الوحدات ، كل وحدة لها مسئولية وتدريب عسكرى بمعنى كلمة التدريب العسكرى ، فاستطعنا عمل خطط دفاعية فعلية بوحدات حقيقية ، وأتذكر من بين هؤلاء الضباط وحيد حلمى ومصطفى عثمان وأسامة والجيار وبقية زملائهم ، كان كل واحد منهم يساوى ملايين وتم تجهيز مقاومة شعبية ممتازة ، وبمنتهى الجدية ، وفى الريف تم تجنيد مجموعات جيدة جدا من المزارعين مثل الشيخ على البعلى ومحمد شومان ، وكانت مقاومة شعبية على أحسن مستوى ، وكانت الروح حماسية جدا وليست انهزامية فكان كل واحد يريد أن يدافع عن البلد ، لكن عندما بدأت حرب الاستنزاف كان لابد من تهجير سكان مدن القناة وطلبوا منى ضرورة ترك الإسماعيلية وقالوا لى أن استمرار إقامتى فى الإسماعيلية سيدفع الأهالى إلى رفض الرحيل ، فكان لابد أن أرحل ، لكننى لم أذهب إلى القاهرة مباشرة ، وإنما أقمنا مركزا فى التل الكبير أنا ومبارك رفاعى محافظ الإسماعيلية فى ذلك الوقت ، وبقينا فى التل الكبير كنوع من استمرارية الإعداد للمقاومة الشعبية والتمسك بالهدف ، لكن طلب منا أن نذهب إلى القاهرة فعدت إلى القاهرة لكنى لم أتوقف عن المرور على الإسماعيلية باعتبار أن مسئوليتى عن المقاومة الشعبية مستمرة إذا اقتضت الحاجة .

إذا كنت قد قمت بهذا الدور الوطنى قبل حرب ١٩٦٧ فان دورا وطنيا آخر قد أديته عقب الانتصار فى ١٩٧٣ فما هى تفاصيل هذا الدور؟

ـ كانت عملية إعادة افتتاح قناة السويس أمام الملاحة العالمية من الأحداث المهمة جدا ، فعندما ذهبنا للإعداد لذلك ، كانت القناة عبارة عن مجرى مائى ، الجانبان عليهما كثافة شديدة جدا من الألغام والمفرقعات ، بمعنى أن اليهود عندما كانوا فى الجانب الشرقى وضعوا ألغاما كى لا نعبر . كذلك نحن فى الجانب الغربى وضعنا ألغاما كى لا يقتحم اليهود جانبنا . أما المجرى المائى نفسه فكانت به دانات وقنابل

ومعدات ودبابات وعربات كثيرة غارقة فى المجرى الملاحى من آثار الحرب، ومحطات الإرشاد وعددها ١١ محطة على طول قناة السويس كانت مدمرة تقريبا ومبنى الإرشاد كان قد تم ضربه، كانت عملية صعبة جدا ماذا نفعل. بداية كان لابد من رفع الألغام ولم تكن المشكلة فى الألغام التى على البر إنما المشكلة الأكبر هى إزالة ما تحت الماء سواء من ألغام أومفرقعات أو دانات فهناك أجهزة تكتشف الألغام التى على البر وتنزعها وهو عمل يستطيع الجيش المصرى القيام به، وإنما الألغام التى تحت الماء عندما سألت الجيش المصرى عن إمكانية رفعها كان الرد هو عدم وجود ما يسمح باكتشافها ورفعها، فكان العرض الذى توجهت به للملحق العسكرى السوفيتى هو أن يقدموا لنا المساعدة على أن ندفع المقابل الذى يحددونه. قال لى إنه سوف يرد علىَّ، مرت حوالى عشرة أيام ولم أتلق منه أى رد، فاستدعيت عددا من الملحقين العسكريين للدول الغربية هم الملحق الإنجليزى والفرنسى والأمريكى والألمانى. وأخبرتهم بالمشكلة ولم يمض سوى يومين ووجدت الملحق الأمريكى يعود لى قائلا: «نحن جاهزون وسنقوم بالعمل مجانا بدون مقابل» على أن ندبر لهم الإقامة والإعاشة فقط، وبعد فترة قصيرة جاءنى الملحق الإنجليزى ثم الفرنسى وكل منهما يعرض الموافقة على المساهمة فى العمل مجانا على أن ندبر أيضا الإقامة والإعاشة فقط. طبعا تدبير الإقامة سهل، فعندنا فى القناة عمارات الإسكان الخاصة بنا خالية والطعام نتفق مع متعهدين على تقديمه، المهم جاءوا جميعا وقمت بعمل فريق متجانس منهم ولهم هرم قيادى ووضعت على رأس المجموعة ضابطا مصريا، هو اللواء بحرى أحمد فؤاد حسن، ومعه المهندس قاسم سلطان من هيئة قناة السويس.

وعندما سألت الخبراء الأجانب عن سر حماسهم كان الرد أن هذه مناورات لن تتكرر، فنحن لدينا وحدات لرفع الألغام والمفرقعات من تحت المياه وهذا تمرين حى، فأخذوا يعملون وجاءت حاملة طائرات وقفت فى البحر أمام بورسعيد، وعملوا مسحا للقناة عدة مرات، المهم أعطونا فى النهاية تصريحا مكتوبا ومعلنا فى العالم كله بأن قناة السويس أصبحت أنظف مجرى مائى فى العالم. هذا بالنسبة للألغام

والمفرقعات أما بالنسبة للوحدات والمراكب الغارقة فقد اتفقنا مع مقاولين لرفعها، المقاول الذى كانت سترسو عليه العملية وجدنا أنه وهو يقدم قائمة المعدات قد استأجر معدات من الجيش الأمريكي، فقلت لإسماعيل فهمى وزير الخارجية فى ذلك الوقت. فاتصل بكيسنجر وزير خارجيتهم الذى رد أن الأمريكيين سيتولون العملية مجانا، المهم أن العمل تم بنجاح وكانت عملية كبيرة جدا تتضح من عدد الألغام التى تم رفعها والتى تصل إلى حوالى ثلاثة أرباع المليون لغم بالإضافة لآلاف الدانات، وكان الرئيس السادات مهتما جدا بالصورة التى سيتم بها إخراج حفل إعادة افتتاح القناة، لدرجة أننى عندما ذهبت إليه قبل الحفل وعرضت عليه ما أعددناه للاحتفال إذا به يشارك بالرأى فى كل التفاصيل الدقيقة، ليخرج الاحتفال فى صورة جذابة، مثلا كنا قد جهزنا مركبا فرعونيا أمام مبنى قناة السويس ليستقله المدعوون، وكان ابن شاه إيران أحد المدعوين مع عدد كبير من الشخصيات العالمية، لكن السادات طلب أن يبدأ الحفل ليس بالمركب الفرعونى الذى جهزناه ولكن بمركب «الحرية» باعتباره المركب الموجود من أيام الخديو إسماعيل، ثم وجدته يقترح أن أتحدث أنا فى الحفل ثم يتحدث المشير محمد عبدالغنى الجمسى وبعدها يسلمنى الجمسى مفتاح القناة، كان هذا هو اقتراح السادات نفسه، وكانت وجهة نظره فى أن يسلمنى الجمسى المفتاح بهذه الطريقة، هى أن تكون هذه إشارة إلى أن القناة انتقلت من الجيش وتمت إعادة فتحها. أى أن الجيش يسلمنا المفتاح لكى تسير الملاحة فى القناة بالرغم من أن هيئة القناة هى التى طهرت المجرى الملاحى من الألغام ومن كل شىء، والحقيقة أن حكاية المفتاح هذه لم تكن على بالى ومازال المفتاح موجودا حتى الآن فى مكتب رئيس هيئة قناة السويس.

## تطوير القناة

■ هناك احتفال آخر غير احتفال إعادة فتح القناة هو الاحتفال بتطويرها، فهل لديك ذكريات عن التطوير والاحتفال؟

- بمجرد فتح القناة بدأنا مباشرة فى تنفيذ المشروع الضخم لتطوير

المجرى الملاحى لقناة السويس، وهو مشروع كنا قد قمنا بدراسته أصلا عام ١٩٦٥، فعند اختيارى رئيسا لقناة السويس أردت أن أتعرف على العمل فى باقى الأنشطة والإدارات غير إدارة الملاحة التى كنت رئيسها، ووجدت أن أفضل طريقة لكى أتعرف على تلك الأنشطة وألم بها هى تشكيل لجان لوضع تصور لمستقبل كل نشاط بعد ٢٠ سنة، لندرس كيف سيكون شكل المجرى الملاحى، وكيف ستكون التجارة العالمية وشكل السفن فى العالم وكيف ستكون المخازن فقمت بتشكيل لجنة لكل نشاط فرعى. والحقيقة أن الزملاء المديرين قد تعاونوا معى تعاونا كبيرا جدا، ووضعوا تصورات جيدة بالفعل، والمجموعة التى كانت تدرس المجرى المائى كان عليها أن تدرس التجارة العالمية، وكيف سيكون شكلها ومن أين سيتم نقل البترول مثلا ونقل القمح ومن ثم نسبة الزيادة فى النقل، مع وضع الافتراضات حول صاحب المركب وكيف سيحدد اقتصادياته، وهل المركب الذى تصل حمولته إلى ٣٠ ألف طن اقتصادى أكثر من المركب الذى تصل حمولته إلى ٦٠ ألفا أو ٨٠ ألفا طن، وذلك لكل نوع من السفن. ناقلات البترول والبضائع وهكذا. فتوصلت هذه اللجنة إلى أن المراكب ستزداد حجما لأن الوفر أكثر كلما كانت المركب أكبر وكانت أكبر حمولة تستطيع أن تسير فى قناة السويس عند التأميم هى سفينة ٣٠ ألف طن محملة أو ٥٠ ألف طن فارغة وكان القطاع المائى ١٢٠٠ متر مربع وكان الغاطس ٣٤ قدما وقت التأميم، بعدها قررنا تحسين المرفق وتطويره فزودنا القطاع المائى قليلا ونزلنا بالغاطس إلى ٣٦ قدما، ووصلت الحمولة إلى ٦٠ ألف طن.

ويستطرد المهندس مشهور أحمد مشهور. أوضحت لى الدراسة أن زيادة حجم السفن سوف تحدث، ففكرت فى مشروع تطوير قناة السويس لتوسيع وتعميق هذا المجرى المائى من أجل أن يستوعب سفنا أكبر بحيث يتم هذا التطوير على مرحلتين الأولى أنه بدءا من ٦٠ ألفا إلى ١٥٠ ألف طن كامل الحمولة، و٢٠٠ ألف طن فارغة ثم فى المرحلة التالية نصل إلى ٣٠٠ ألف طن كامل الحمولة وبدأنا نعمل فى هذا المشروع أواخر عام ١٩٦٦، لكن جاءت حرب ١٩٦٧ وتوقف كل شيء، هذا المشروع نفسه هو ما قمنا بتنفيذه بعد حرب ١٩٧٣ لكننا بالطبع عملنا تحديثا وتطويرا

للمشروع. فإغلاق القناة عام ١٩٦٧ واستمرار إغلاقها لمدة ٧ سنوات أدى إلى عدم الزيادة فى أحجام السفن كما كانت قبل إغلاق القناة مع حرب ١٩٦٧، وكان من يشيد سفينة يسألنا عن مشروعاتنا لمراعاة حجم السفينة، لكن بعد إغلاق القناة انتهى هذا الارتباط وحدثت طفرة فى الأحجام قفزت فيها من ٦٠ ألفا إلى ١٥٠ ألفا و٢٠٠ ألف. وهى طفرات كبيرة جدا، فأصبح تنفيذ مشروع التطوير ضروريا وليس مثلما كان الحال من قبل. فالمرحلة الأولى التى قمنا بتنفيذها من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨٠ كانت تتضمن القطاع المائى لقناة السويس بدلا من ١٦٠٠ متر مربع أصبح ٣٦٠٠ متر مربع، وهو ثلاثة أمثال ما كانت عليه يوم التأميم وهو ١٢٠٠ متر مربع، والغاطس كان ٣٦ قدما أصبح ٥٣ قدما وعملنا تفريعات جديدة طولها ٦٨ كيلو مترا وطورنا فى أسلوب مراقبة الملاحة وطورنا فى المعدات، فحجم الأعمال التى تم تنفيذها فى ذلك المشروع أشبهها بعمارة مكونة من دورين تمت تعليتها لتصبح ستة أدوار، مع إنشاء مصاعد فيها وبمجرد انتهاء المشروع أصبحت المراكب المحملة بـ ١٧٠ ألف طن تستطيع أن تمر فى القناة بعد أن كان المسموح به هو فقط ٦٠ ألف طن، والمراكب الفارغة أصبحت ٤٠٠ ألف طن والنتيجة أن إيراد القناة قد قفز إلى المليار دولار بعد تنفيذ المرحلة الأولى التى تمت فى ديسمبر ١٩٨٠. هذه المرحلة كان من المفروض أن تتبعها المرحلة الثانية لكى يزداد الغاطس من ٥٣ قدما إلى ٥٧ قدما وبدلا من أن يمر ١٧٠ ألف طن كاملة الحمولة تصبح ٣٠٠ ألف طن. أى أن تمر فى القناة جميع سفن العالم، ووجدنا أن هذه المرحلة الثانية لا تحتاج إلى سرعة فى تنفيذها لأن العائد منها لن يكون قفزة مثل عائد المرحلة الأولى.

■ كيف تم تمويل هذا المشروع الضخم؟

- لكى ننفذ المشروع قمنا بعمل دراسة ووجدنا من خلالها أنه يتكلف ١٢٠٠ مليون دولار وكان الدولار فى ذلك الوقت عام ١٩٧٦ قيمته حوالى ثمانين قرشا، ففكرنا أن نأخذ قروضا ميسرة من الصناديق العربية والبنك الدولى وبالفعل أخذنا جزءا كبيرا من البنك الدولى بفائدة حوالى ٣٪ فقط وقبل انتهاء المشروع كان مكنمارا مدير البنك الدولى قد جاء وزارنى فى قناة السويس، وقال لى: دراستك كانت تتضمن أن يتكلف

المشروع ألفا ومائتى مليون دولار فهل تعاقدت على كل شىء؟ قلت: نعم فقال: إذن تستطيع الآن أن تحدد بالضبط ما الذى ستنفقه وسألنى: كم. قلت: حوالى ١٢٤٠ مليون دولار بدلا من ١٢٠٠ مليون دولار. قال لى غير معقول. . قلت له كان من الممكن أن ينتهى المشروع إلى ١١٠٠ مليون دولار فقط لولا ارتفاع سعر الين ونحن ندفع لليابانيين بالين الذى كانت قيمته عند بدء الدراسة مختلفة. فقد كان الدولار يساوى مائة وأربعين يناً ثم أصبح يساوى مائة وعشرين فقط، من هنا جاء الفرق، سألنى عن موعد الانتهاء من المشروع. قلت له أن الموعد هو الموعد نفسه الذى ورد فى الدراسة، قال لى مكنمارا لو أن هذا المشروع يتم تنفيذه فى أمريكا لما كان من الممكن تنفيذه بالأسعار نفسها وفى المدة نفسها وبعد أن تركنى التقى بالسادات وأخذ يمتدح فى قناة السويس. فى ذلك اليوم وجدت المهندس سيد مرعى - الله يرحمه - يتصل بى تليفونيا ويقول لى ما الذى فعلته فى مكنمارا لقد كان لقاؤه بالسادات كله عنك وعن مدحه فى المشروع، ومن الأشياء التى أذكرها أيضا عن علاقة البنك الدولى بالمشروع أننا عند التعاقد كانت تأتى مجموعات من البنك الدولى للدخول فى التفاصيل الدقيقة حول المشروع. ووقتها سألونى من الذى سيكون مدير التنفيذ قلت لهم أننى سأقوم بعمل مكتب من قناة السويس ليكون مديرا للتنفيذ فرفضوا وقالوا لابد من أن تأتى بشركة عالمية لتراقب التنفيذ لأنك لا يجوز أن تراقب نفسك، كانت وجهة نظرى أن المشروع يتم تنفيذه مع الحرص على ألا تتأثر الملاحة فى القناة حيث يعبر يوميا حوالى ٤٠ أو ٥٠ مركبا وفى الوقت نفسه فإن تنفيذ المشروع يستدعى أن تعمل الكراكات وأثناء عملها لا يجب أن يسير مركب، ولكى تسير المراكب لابد أن تتوقف الكراكة، فهناك تعارض فإذا لم يكن هناك قرار واحد يحدد متى تسير المراكب ومتى تعمل الكراكة سيحدث اضطراب. المهم صممت على أن يكون التنفيذ من عندنا فوافقوا ثم عندما سافر اثنان من الزملاء إلى أمريكا لمناقشة المسودة إذا بهما يتصلان به ويخبرانى بأنهم فى أمريكا عادوا يطلبون أن يأتى بيت خبرة للتنفيذ. فقلت إذا أصروا على هذا الطلب فإننى لا أريد القرض، وفى النهاية وافقوا على ما نريد وبالفعل قمت بتكوين مكتب كمدير تنفيذى للمراقبة، وتم

تكوين هذا المكتب من المهندس محسن إدريس الذى كان أستاذنا فى كلية أركان الحرب، ومعه المحاسب أحمد سلطان وعدد من المهندسين والمحاسبين وبدأ المهندس محسن إدريس والمجموعة التى معه يقومون بعمل سيطرة معينة لأن هذا المشروع فيه حوالى ألف جزئية يتم عملها فى وقت واحد فهناك من يكسر حجارة وهناك من ينقل حجارة وهناك من يدق ومن يحفر وأعمال عديدة جدا، وكان محسن إدريس يرسل لى شهريا صورة من الجدول الخاص بسير العمل كما يرسل منه صورة للبنك الدولى. ومر حوالى العام على هذا العمل ووجدت جوابا من البنك الدولى يتضمن الشكر لى على إصرارى على أن يكون مراقب التنفيذ من القناة وأن النظام الذى أرساه محسن إدريس يعتبرونه نظاما نموذجيا، وأنهم قد قاموا بتعميمه فى جميع المناطق التى يتم فيها تنفيذ مشروع بمشاركة البنك الدولى، فهذا هو الإنسان المصرى، وتم الانتهاء من المشروع فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٠ وتم افتتاح المشروع فى احتفال مهيب جميل جدا، ولأن السادات يحب الاحتفالات فلقد طلب أن أذهب إليه وعند اللقاء به سألنى ماذا ستفعلون فقلت له ما أعددناه للاحتفال وإذا به يطلب أن يكون المخرج حسن الإمام هو مخرج الحفل، ويطلب أن تأتى طائرة هليكوبتر ليتم التصوير من الجو واطمأن على كل التفاصيل الصغيرة وحدد موعد الاحتفال فى ١٦ ديسمبر وكان احتفالا جميلا جدا.

■ عند الحديث عن قناة السويس نجد إجماعا دائما على أنها نقطة مضيئة لمصر.. فى رأيك ما هو السر وراء هذا الإجماع؟

- هناك أكثر من سبب.. أولا: الاعتماد على العلم فعندنا مركز بحوث علمى فى النواحى الفنية لدراسة أى موضوع علمى.

■ بدليل أنكم درستم تطوير القناة من قبل أن يكون التطوير مطلبا ملحا؟

- كل شىء تتم دراسة احتمالاته ومزاياه وعيوبه دراسة كاملة، ثم يؤخذ القرار مثلا إذا جئنا لرسوم العبور فى القناة.. فهذه الرسوم لا يتم تحديدها بالشطارة لكن يتم تحديدها سنويا بناء على الواقع، فالعلم يحكمنا فى كل خطوة والأمر الثانى هو الانتماء فمجموعة العاملين فى قناة السويس نقطة مضيئة فإن أى واحد يعمل فى القناة ويسمع هذا

الكلام يفرح لأنه يجعله يشعر بالفخر ويزداد تمسكا بهذا المرفق ويفاخر بأنه فيه ولكى يفاخر أنه فيه فإنه يعمل أكثر والعمل يتم بروح الفريق فلم تكن هناك صراعات. الميزة الأخرى أن القيادة فى قناة السويس تعرف العاملين وتحرص عليهم. وأنا كنت أعرف أسماء الغالبية العظمى من العمال، وأعرف متاعبهم العائلية وأقدم لهم ما يحتاجون من خدمات فكانوا يتفانون فى العمل. فالناحية الأسرية والإنسانية كان هناك حرص كبير عليها وتقوية الانتماء تتحقق بالخدمات. فعندهم علاج على أحسن مستوى ومستشفيات ومدارس ونواد ومساكن فبمجرد التحاق المهندس بالعمل يجد السكن والنادى والمدرسة فيستريح فى عمله ويزداد الانتماء.

■ ما رأيك فيما يقال حول خصخصة قناة السويس؟

- فى الحال يرد: استحالة.

■ هى بالطبع استحالة، لكننا نريد أن نوضح استحالتها على لسان المهندس مشهور أحمد مشهور؟

- يثور ويأتى رده بلهجة أب يأتيه من يطلب منه تطليق ابنته العزيزة من زوجها الذى هى سعيدة معه إلى زوج جديد غير مضمون، ويقول: لا يمكن خصخصة قناة السويس، والسبب أن هذا مرفق متكامل وناجح ويؤدى رسالته على أحسن صورة ويعطى دخلا جيدا وميزة هذا العائد أن معظمه لحم بدون عظام.

■ ما المقصود أن العائد لحم بدون عظام؟

- المقصود هو ما هى تكلفة إدارة هذا المرفق عندما يكون الإيراد سبعة مليارات جنيه فى العام كم تظنين قيمة الباب الأول والثانى والثالث ٧٠٠ ألف أو لو قلنا حتى مليار، إذن هناك ستة مليارات صافية تدخل خزينة الدولة، صحيح لها مسميات فلو نظرنا لموازنة الدولة لن نجد الدخل الصافى ستة مليارات ولكن أقل من ذلك لأن فى الطريق تؤخذ ضرائب. فأين هو الدخل الذى يعطى عائدا صافيا للدولة ستة مليارات جنيه ثم لماذا تتخصخص وكم سيعطون لنا. إذا كانت القناة تعطينا ستة مليارات جنيه سنويا إذن بكم نبيعها ولمن. لقد كان الخديو إسماعيل مدينا ورمى الأسهم فكأننا نرمى هذا العائد من الدولة إلى أفراد. لماذا؟ الأمر الثانى

هو أن تاريخ مصر ارتبط بقناة السويس. القناة بطريقة حفرها. وما حدث لنا منها والاحتلال البريطانى الذى جاء بحجة حمايتها عام ١٨٨٢ ثم عندما أصبحت دولة داخل الدولة وإذلالنا. لا.. لا.. سياسيا لا يجوز، واقتصاديا لا يجوز، فقناة السويس مثلما مات فيها مصريون وهم يحفرونها فإن مياهها سالت فيها دماء المصريين بعد ذلك على مدار حروبنا الوطنية جميعها فهى ليست مجرد مياه ولكنها مياه مخلوطة بالدماء. إنها جزء من مصر ومن كرامة مصر. وينتهى الحوار الطويل والممتع مع المهندس مشهور أحمد مشهور بهذا الكلام العاطفى والفياض والملئ بالحب لقناة السويس.



## حسين الشافعى يحاكم ثورة «٥٢»

- قلت لعبدالناصر: فى ظل «الشك» لا يقوم بناء.
- فكان رده: لولا الشك ماظل رأس أى منكم على كتفيه
- كما كتبت له: ستندم على عجزك أمام عبدالحكيم عامر.
- وتساءلت فى اجتماع لمجلس الوزراء: هل الحقيقة تصل إلى أذن الرئيس.

---

- مارس ١٩٩٩

كنت قد وضعت لحوارى مع حسين الشافعى، النائب الأسبق لرئيس الجمهورية فى مصر وعضو مجلس قيادة ثورة يوليو. عنوانا هو «حسين الشافعى يحاكم ثورة ٥٢» وذكرته فى بداية اللقاء أنه عندما كان رئيسا لمحكمة الثورة التى حاكمت المتهمين بمحاولة الانقلاب عقب هزيمة ١٩٦٧ وعلى رأسهم المشير عبدالحكيم عامر، ومحاكمة المتهمين فى انحراف المخابرات. بما أثير وقتها تعليقا على عدد المقدمين للمحاكمة وهم ٥٢ متهما، حيث قيل إن حسين الشافعى يحاكم «٥٢» استخداما للمجاز اللفظى، كإشارة إلى ضرورة محاكمة الثورة ككل بعد هزيمة ٦٧ وطلبت من حسين الشافعى أن يقوم بمحاولة لمحاكمة «ثورة ٥٢» اليوم، بعد كل تلك السنوات التى تسمح له بأن يرى الصورة من بعيد فتظهر أبعادها متكاملة، ودار الحوار ودون أن ندرى إذا بمحاكمته للثورة تتحول إلى محاولة لتحليل شخصية الرئيس عبدالناصر، وإذا بالشافعى يبلور أمرا شديد الأهمية فى شخصية زعيم الثورة وهو «الشك»، وللشك لدى عبدالناصر تفسير عند حسين الشافعى وهو أن تكوين تنظيم الضباط الأحرار كان يحتم الشك الدائم من أجل المحافظة على السرية وحماية التنظيم قبل الثورة.

لكن حسين الشافعى يعترض على الاستمرار فى التعامل بمنطق الشك بعد نجاح الثورة، وبالرغم من تحليل حسين الشافعى لملامح من

شخصية عبدالناصر بين سطور هذا الحوار، إلا أننى كنت أشعر طوال الوقت أن حسين الشافعى يحمل لجمال عبدالناصر كل الحب والاعتزاز.

والشك الذى يحلل به حسين الشافعى أحد ملامح شخصية عبدالناصر هو رأى لا يقوله الآن فقط للقارئ، بل لقد صرح به لعبدالناصر نفسه عام ١٩٦٨. فلقد كانت هزيمة ١٩٦٧ كما يقول حسين الشافعى صدمة شديدة، لكن بقدر ما كانت الهزيمة «صدمة» فإن خطاب الرئيس عبدالناصر الذى أعلن فيه التنحى كان «إيقاظا» لدرجة أن الناس كلهم نسوا الهزيمة، وأخذوا يتطلعون إلى المستقبل وكيفية مواجهته. ويضيف: وأنا نفسى لم يعد أمامى إلا الصراحة المطلقة وإسقاط كل الاعتبارات بما فى ذلك المجاملة. وأخذت أحاول تشخيص مكان العلة الأساسية بعد الهزيمة وبالطبع كان لابد أن أصارح بها جمال عبدالناصر، ولم تكن مصارحتى له فى مرة واحدة، بل خلال أكثر من مرة، إحدى هذه المرات كانت فى عام ١٩٦٨ عندما توليت محكمة الثورة لمحاكمة الذين اشتركوا فى المؤامرة بعد الهزيمة وكنا فى أسوان، أردت أن أقدم لجمال عبدالناصر تشخيصا للموقف دون أن أجرحه لأنه هو المتحمل للمسئولية الأولى ورأى مالم يره أحد. فكنت مثل إنسان يرتدى قفازا. فقلت له: فى ظل الشك لا يقوم بناء، لأن البناء يحتاج اليد فى اليد وفتح كل الأبواب، وتآلف القلوب.

■ هل توجد وقائع محددة تعبر عن شكوك لجمال عبدالناصر؟

- لا أريد الدخول فى كلام لا داعى له. أنا أتحدث عن معان أكبر من التفاصيل، ولقد كنت أحاول فى ذلك اليوم أن أوصل له المعنى دون أن أجرحه فهو متحمل لمسئولية ضخمة، فكنت أنتقى الكلمات لكى تصل الرسالة دون أن تجرح، لذلك فبعد أن قلت له أنه فى ظل الشك لا يقوم بناء، أوضحت له أن مراحل قيام الثورة كانت تقتضى التشكك فى أى شىء، ولكن بعد أن أصبحت السلطة فى يدك فإن العملية تحتاج لترابط وتعاون مع الجميع، ثم قلت له: وفى ظل عدم التقيد لا يقوم نظام وفى تقديرى أن هذين البندين هما أهم بندين فى تلخيص ما يؤخذ على فترة الثورة الأولى، والتى قد تكون السبب لما حدث فى ١٩٦٧. هو سمع منى بدون تعليق إلى أن تناول طعام الغداء، وكان يقيم فى استراحة، وكنت

أنا وأنور السادات نقيم فى استراحة أخرى فجاءنا عند المغرب، وقال: يعنى أنت يا حسين تتحدث عن الشك، لولا الشك ما ظل رأس أى منكم على كتفيه، وأضاف: إن ما تحمله لم يتحمله أحد.

## الشمس والنجوم

▪ لكن ألم تكن تقصد شخصا بذاته عندما قلت له هذا التعبير حول الشك؟

- كانت فى ذهنى أمثلة متعددة، لكننى كنت أقولها ككلام عام. مثلا أنا بذلت فى الحركة التعاونية جهدا كبيرا جدا، ربما أكثر من أى جهد آخر بذلته سواء فى التأمينات الاجتماعية أو إعادة بناء التنظيم السياسى بعد ١٩٦٢، أو بالنسبة لعملية تطوير الأزهر، أو بالنسبة للنظام المحاسبى الموحد فى جهاز المحاسبات.

ففى كل موقع توليته كان هناك شىء رئيسى أحرص على إنجازه لكن فى الحركة التعاونية بذلت جهدا كبيرا لتجميع الناس من أجل حماية كل من المنتج والمستهلك لأن التعاون هو الحل الأمثل لمشاكلنا، طبعا بدأتها بتواضع شديد حتى التسمية كانت فقط «تجربة الائتمان». وكان الهدف هو أننا لم نأت لخدمة الفرد وإنما لخدمة الأرض، وبدلا من أن يتم الحصول على السلفيات من بنك التسليف بضمان الأرض، جعلنا السلفية بضمان المحصول على أن يتساوى فيها الحائز سواء كان مالكا أو مستأجرا.

هذه التجربة جعلت الحماس شديدا جدا من الجميع، لأننا قمنا بهذا العمل لمصلحتهم ولم نكن وقتها نفكر فى المردود السياسى والتفاف الناس، لكن إذا بجمال عبدالناصر يقوم بتوزيع الحركة التعاونية فأعطى التعاون الزراعى للزراعة، والتعاون الإسكانى للإسكان، والتعاون الصحى للصحة. فتم تفتيت التعاون، ربما لأن المردود السياسى قد تجاوز حد الأمان، وهذا نموذج لما أقصده بأنه فى ظل الشك لا يقوم بناء.

▪ هل عبدالناصر كان يخشى من ظهور نجوم إلى جواره؟

- أى إنسان فى مثل هذا الموقع يخشى ظهور أى أحد إلى جواره، ولهذا

السبب يجب على من حوله أن يدركوا هذه الحقيقة. لو أن شخصا يعتقد أنه ند ويريد أن يعمل لنفسه فلكا جديدا إذن يجب أن يكون مستعدا للصدام. وهذا الصدام يحدث تدميرا وخسائر وشظايا.

■ وهل كانت هناك نجوم تحاول الظهور؟

ـ بغض النظر لكن الشك عند عبدالناصر كان يصور أى أحد يظهر بصورة تجعله ليس موضع راحة.

## عبدالناصر وأمريكا

إذا كان عبدالناصر من السهل عليه أن يشك فى الآخرين. فلماذا فى رأيك كان اختياره لزكريا محيى الدين بالذات رئيسا لمصر من بعده فى خطاب التنحى الشهير عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧؟

ـ هذا الاختيار كان يلاعب به الأمريكان. وكأنه يقول لهم إذا كنتم قد قمتم بهذا العدوان للتخلص من عبدالناصر، فربما يكون زكريا محيى الدين أقدر على التفاهم معكم. وأمر آخر هو أن يعطى لعملية التنحى جدية. فهو لا يترك البلد بدون قيادة. ثم إن زكريا محيى الدين كان أقدم الموجودين، وكان له دور فى الثورة وفى حمايتها، إذن فإن الاختيار من الناحية العامة والناحية الشعبية فى نظره أكثر قبولا، ومع ذلك فإن زكريا محيى الدين رفض هذا الاختيار وأيد بشدة استمرار القيادة فى يد عبدالناصر.

■ أى أن عبدالناصر وهو يتنحى كان يفكر بعمق؟

ـ عبدالناصر زعامة وقيادة وحنكة سياسية، ولقد اختصه الله بمزايا كثيرة.

■ إذا كان جمال عبدالناصر زعامة وحنكة سياسية، وفى الوقت ذاته كما تقول كان يمتلىء بالشك بسرعة. إذن لماذا لم يشك فى المشير عبدالحكيم عامر؟

ـ كانت اعتبارات انتقال السلطة من الجيش بعد قيامه بالثورة تشكل ثقلا سياسيا. وكانت إعادة الأمور إلى ما ينبغى أن تكون عليه وأن يكون الجيش متفرغا، عملية تأخذ أبعادا ليست سهلة بل خطيرة، لأن الأمور إذا لم تؤخذ بالحزم المطلوب ومواءمة الظروف السياسية التى تحتمل

هذا التغيير، فإن النتائج تكون غير جيدة. من أجل هذا لم يكن الأمر إلا تقديرا للمصلحة وكيفية حدوث الانتقال بالمرحلة الثورية التى بدأت فى الجيش، إلى الحياة الدستورية الشاملة. فمثلا عند قيام الثورة كان هناك مجلس للثورة. ثم بعد صدور دستور ١٩٥٦ تم إلغاء مجلس الثورة. والشخص الذى وافق على الاستمرار فى العمل بعد إنهاء مجلس الثورة استمر. فالجيش له وضع مختلف لأن الثورة قامت فى الجيش، لذلك كانت عملية تأمين الجيش تقتضى حسابات معينة.

## عامر والمواجهة

▪ وهل كان المشير عامر يقوم بهذا الدور جيدا؟

- بدأت النتائج تتضح بعد الانفصال عن سوريا، فالمرحلة التالية للانفصال أوضحت أنه من الضرورى أن يحدث تغيير.

▪ لكن لم يحدث؟

- ولذلك أقول أنه إذا كانت ١٩٦٧ ثمرة فإن ١٩٦٢ كانت بذرة لأن عبدالناصر عندما استشعر خطورة الوضع بالنسبة للقوات المسلحة بعد الانفصال عن سوريا بدأ يعيد حساباته، وأراد أن يضع المشير عامر فى حجمه وألا يجعله ينفرد بشئون القوات المسلحة. فقام عبدالناصر بعمل إجراءات بعضها شكلى. مثل إقامة مجلس الرئاسة، ووضع عبدالحكيم عامر ضمن أعضاء مجلس الرئاسة، طبعا هذا لا يغير من الواقع وهو أن عبدالحكيم عامر ظل فى خندق القوات المسلحة. كما قام عبدالناصر أيضا بتغيير اسم القائد العام ليصبح نائب القائد الأعلى، وهذا أيضا لا يغير من الحقيقة شيئا. والعمل الوحيد الذى كان موضوعيا وله فاعلية ومن الممكن أن يكون له أثر كان محاولة تغيير قانون الخدمة والترقى للضباط بحيث لا تظل السلطة كلها فى يد قائد القوات المسلحة وبمقتضى هذا القانون تصبح سلطة التعيين فى القيادات من كتيبة إلى لواء إلى فرقة وكذلك الترقيات من رتبة العقيد فما فوق كلها تتم عن طريق مجلس الرئاسة فتم عمل القانون على هذه الصورة، وتم إرساله لمجلس الرئاسة وانعقد مجلس الرئاسة بدون جمال عبدالناصر، وأراد أن يضعها كبالون اختبار هل ستمر أم لا، يكمل السيد حسين الشافعى:

عند عرض القانون على مجلس الرئاسة وكان عدد الأعضاء فيه «١٢» منهم أعضاء مجلس الثورة الموجودون، واثنان من العسكريين هما على صبرى وكمال رفعت. وأربعة من المدنيين هم أحمد الشرباصى ونورالدين طراف وكمال رمزى ستينو ومحمود فوزى فعند عرض القانون تحمسنا لهذه الخطوة لأنها خطوة كان من الضرورى اتخاذها منذ فترة. لكن من الذى لم يعجبه هذا؟ طبعا عبدالحكيم عامر.

فهناك من اقترح التأجيل تفاديا للصدام أو المواجهة. فرفضنا وقلنا أن الموضوع مقدم من الرئيس وتم فتحه للمناقشة ولا مجال للتأجيل. وإذا كان هناك تصميم على التأجيل إذن نأخذ الرأى على التأجيل. وعند أخذ الأصوات كانت النتيجة أن سبعة من الحاضرين رفضوا التأجيل، ووافق خمسة على التأجيل. فسقط الاقتراح، واعتبر عبدالحكيم أن هذه لطمة وصدمة موجهة إليه شخصيا، فقام غاضبا وترك الجلسة وقدم استقالته وعمل أزمة. وأصبح الموقف يتجاوز حدود الاحتمال، ولكن المذهل أن جمال عبدالناصر طلب منا جميعا أن نذهب إلى عبدالحكيم فى بيته. كما لو كنا نقوم بتقديم ترضية واعتذار له. وأنا أعتبر أن انقلابا صامتا قد حدث فى عام ١٩٦٢ حيث انتقل جزء كبير من السلطة إلى القوات المسلحة ومنذ ذلك الحين ازدادت مطالب المشير حول الدور السياسى. وفرض كلمته وإرادته بما يتجاوز حدود الممكن.

نعود إلى التفاصيل التى أعقبت خروج المشير عامر من الجلسة حيث ذهبنا إلى عبدالناصر وعرضنا عليه ما جرى فى الجلسة، فكان رد فعله أن ظل يتحدث وحده ما بين ثلاث وأربع ساعات مثل إنسان يلف حول نفسه ويتجاوز التقدير عنده الحقيقة، وهو يحاول أن يحسب من مع عبدالحكيم فى القوات المسلحة ومن معه. وعندما رأيت الموقف على هذه الصورة أصابنى قلق شديد جدا، وعندما عدت بالسيارة فى حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل طلبت من السائق أن ينتظر إلى أن كتبت خطابا لجمال عبدالناصر أوضحت له فيه إحساسى. لا توجد معى صورة من الخطاب، ولكن عند فتح الخزنة بعد وفاة عبدالناصر وجدوا هذا الخطاب.

■ وهل ظل محتفظا بخطابك كل تلك السنوات؟

- طبعا ولأهمية الخطاب فإن كلماته مازالت فى ذاكرتى كأنها منقوشة على الحجر حيث كتبت له: «أقلقنى وافزعنى أن أرى عبدالناصر وهو لا يستطيع أن يتخذ القرار. وتساءلت: لماذا لا يستطيع عبدالناصر أن يتخذ القرار. وكانت الإجابة أن عبدالناصر لا يستطيع أن يتخذ قرارا ضد نفسه لأنه يتصور أنه وعبدالحكيم عامر شىء واحد، وحقيقة الأمر أن عبدالناصر شىء وعبدالحكيم عامر شىء آخر، وإن لم تتخذ القرار فستدفع البلاد ثمنا غاليا، وستندم».

ويكمل حسين الشافعى ما جاء فى الخطاب: «إننى لا أستعديك على عبدالحكيم، وأعرف مدى ما يربطك به أخويا وعاطفيا، ولكن مصلحة البلاد فوق كل اعتبار وفوق أى شخص.

وينبغى أن تعلم أن الجيش معك، والشعب معك ومجلس الرئاسة معك.

وأخيرا أنت تشير إلى جرح فى ساعدك الأيمن تقول أن عبدالحكيم عامر قد جرحك وأن هذا الجرح مثلما ترك أثرا، فلا يمكن لهذا الأثر أن يزول كالذى فعله عبدالحكيم وأن من رحمة الله أن أى جرح يترك أثرا. من أجل أن يتوخى الإنسان عدم الوقوع فى الأمر نفسه الذى أدى إلى ذلك الجرح».

## جو قلق

فى ظل هذا الجو القلق وجدت سيد جلال يطلب موعدا للقائى، جعلت موعده فى نهاية مواعيد يومى كى أجلس معه وقتا أطول، وعند اللقاء قلت له: تحت أمرك يا أخ سيد. أنت رجل كلك خير وبركة، رد: أنا ليس عندى أى طلب، أنا رأيت لك رؤيا وليس من حقى أن أكتمها عنك، قلت: خير، رد: لقد كنت فى «منى» ورأيتك فى المنام تخطب فى المسلمين من فوق جبل الرحمة فى «عرفات»، وتتلو الآية: «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» فهو فى الرؤيا - كما يحكى - رفع يده من بين المستمعين وأكمل لى الآية: «ولله عاقبة الأمور». فأنا أمنت وكررت «ولله عاقبة الأمور».

وقد اعتبرت أن هذه الرؤيا معناها عدم وجود داع لأن أصدع نفسى،

فالله هو الذى بيده الأمر والنهى، وكانت بالفعل رسالة جعلتنى أشعر بالراحة، لكن للرؤيا أبعادا أكثر من هذا بكثير، وبعد أن روى السيد حسين الشافعى هذه الواقعة أسأله حول ما إذا كان ذلك الخطاب قد ترتب عليه أى فعل من الرئيس عبدالناصر فيروى قائلا: لم يرد عبدالناصر على هذا الخطاب إلا فى العام ١٩٦٨، حيث كنا فى القناطر الخيرية، وكان ذلك خلال فترة محاكمات محكمة الثورة التى كنت أتولى رئاستها. وكنت أقول له أن من ضمن الملاحظات أثناء المحاكمة أن الاستقالة التى قدمها عبدالحكيم عامر عام ١٩٦٢ بعد الانفصال، وبعد الجلسة التى انتهت بخروجه غاضبا، كان قد طبع منها آلاف النسخ لتوزيعها على النقابات وعلى أعضاء مجلس الشعب. وعند هذه النقطة قال عبدالناصر: مثل الخطاب الذى أرسلته لى عقب تلك الجلسة فأنت تستطيع أن تطبع منه منشور فى يوم من الأيام. ويعلق حسين الشافعى على كلمات عبدالناصر قائلا: فالشك وقوة الذاكرة شيئان يتميز بهما عبدالناصر، ولم أكن أتصور أن يأتى يوم وأسمع من عبدالناصر هذا التعليق على ذلك الخطاب الذى كتبته له بكل الحب والإخلاص.

## صورة غار حراء

أنظر إلى صورة لجمال عبدالناصر معلقة على الجدار فى غرفة مكتب السيد حسين الشافعى بمنزله وأقول له:

من الواضح أن نصيحتك للرئيس عبدالناصر كانت بالفعل نصيحة مخلصة بدليل صورته التى مازالت تتصدر غرفة المكتب بالرغم من مرور كل هذه السنوات.

ثم أسأله عن صورة أخرى معلقة على الجدار فى مواجهته. فيتنهد ويجيب بتأثر: إنه مدخل غار حراء.

ثم يروى لى بحماس وإيمان حقيقى حكايته مع الصورة، وقبل أن يرويها يوضح لى أنه لا انفصال عنده بين الالتزام الدينى وبين المواقف المختلفة فى العمل السياسى.

ويضيف أنه يتعامل مع كل شئون الحياة اليومية بدافع من هذا الالتزام الدينى.

ثم يروى قائلا: فى عام ١٩٥٣ تصادف أن قمت بزيارة إلى شبه جزيرة سيناء مع كلية أركان الحرب. وتصادف أن هذه الزيارة كانت فى يوم الجمعة. وعندما وصلنا إلى جبل موسى حان وقت صلاة الجمعة. فتوقفنا للراحة فى جزء مسطح إلى حد ما من الجبل، وأذنت للصلاة من فوق الجبل وخطبت فى الضباط، وقمت فيهم إماما فى هذا المكان الذى يبعث فى الروح الصفاء والنقاء. ووجدت نفسى أتأمل فى أن الرسالات تهبط على الرسل - عادة - فى الجبال، وتمنيت فى تلك اللحظة أننى مثلما جاءتنى الفرصة لأرى المكان الذى كلم الله فيه سيدنا موسى أن تأتينى الفرصة لأشهد جبل النور، حيث غار حراء الذى نزل فيه جبريل بالرسالة على محمد «صلى الله عليه وسلم».

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لى فى العام التالى مباشرة، حيث ذهبت إلى «مكة» و«المدينة» رئيسا لبعثة الحج فى ذلك العام، فكنت متلهفا بشدة لزيارة غار حراء. ولكننى كنت مقيدا بالاعتبارات الرسمية، وكان المغفور له الملك فيصل هو المرافق لى فى الرحلة، حيث كان وقتها وليا للعهد. طبعا لم تكن الأحوال فى «مكة» و«المدينة» كما هى اليوم. فكان الفندق الوحيد الذى من الممكن أن يقام فيه الاحتفال التقليدى للبعثة المصرية هو فندق بنك مصر.

فى ذلك الوقت كان مازال هناك السبيل المصرى فى «منى» والتكية المصرية فى «المدينة».

أما الذى كان يشغلنى فى طريقى من «منى» إلى «مكة» فهو أننى كنت أجد جبل النور عن يمينى فأشعر وكأن هناك مغناطيساً يجذبنى إلى ضرورة أن أقوم بزيارة غار حراء. ثم ينتابنى الشعور نفسه عند عودتنى من «مكة» إلى «منى»، حيث كان جبل النور إلى يسارى.

وفى الأوقات التى كان الأمير فيصل مشغولا فيها ببعض الأمور، ولا يستطيع الاستمرار فى مرافقتى، كان قائد الجيش السعودى هو الذى يرافقنى باعتبار أننى فى ذلك الوقت كنت وزيراً للحربية فى مصر.

وفى أحد الأيام عند انتقالنا من «منى» إلى «مكة»، وجهت كلامى للسائق بأن يتوجه إلى الجبل، طبعا صدع للأمر، ووجدت نفسى أمام جبل النور. كانت هناك دورية حراسة تمنع من يحاول صعود الجبل

خصوصا في موسم الحج. لكن قائد الحراسة تركني أصعد. وصعدت من المنطقة التي كنا قد وصلنا عندها، دون أن يخبرني أحد بأن هناك مكانا آخر أفضل منه للصعود، وكان الطريق الذي صعدت منه صعبا للغاية لكنني تحملت. طبعا كنا نصعد على الأقدام، وبعد قليل تراجع عدد من أفراد المجموعة التي كانت معي في البعثة عندما رأوا خطورة الصعود، أما أنا فكانت عندي الرغبة في إثبات الإرادة والتصميم، فواصلت الصعود على يديَّ وقدميَّ إلى أن وصلت إلى قمة الجبل التي يستطيع الإنسان أن يقف فيها بأمان. وعندما رأى الزملاء هذا تشجعوا وواصلوا الصعود، وكنت أنا وقتها قد أخذت أبحث عن غار حراء، لكنني لم أجده. إلى أن وجدت أخيرا شقا في الجبل كتلته الأكبر ناحية الشرق، وكتلته الأقل من ناحية الغار. وما بين الكتلتين وجدنا ممرا صغيرا يكفي بالكاد لعبور إنسان، فعبرنا إلى الناحية الأخرى التي تعتبر في اتجاه الشمال، وعند العبور إلى تلك الناحية وجدنا الأرض متسعة ووجدنا الغار في الكتلة الأصغر من الجبل، وكانت فرحتنا شديدة بأن رأينا الغار على الطبيعة، لأن هذا المزار بالنسبة لي كان شيئا كبيرا جدا، ذلك أن أول كلمة قيلت من القرآن الكريم، ونزلت على قلب رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، كانت في هذا الموقع.

لكنني بصراحة، بقدر ما فرحت بقدر ما شعرت بالاستياء والحزن بسبب أنني وجدت متعلقات لأحد الأشخاص متروكة في الغار، ولم يكن صاحب تلك المتعلقات موجودا. لكنني شعرت أنه إنسان غير مدرك لقدر وقيمة تلك المنطقة، وبالتالي فقد اتخذ من غار حراء مكانا للمبيت، ويا ليته احترم المكان، لقد ترك من حول الغار صفائح قديمة وأشياء أخرى متناثرة، فحدث لي شيء من الاكتئاب والحزن، فهذا المكان هو أعظم مزار مقارنة بكل المزارات الأخرى في العالم الإسلامي.

## ما الغرض من الإسلام

وبينما أنا أقف حزينا ومستاء إذا بخاطر لم أفكر فيه أبدا من قبل يقفز إلى ذهني: ما الغرض من الإسلام؟

بالطبع كان هذا سؤالا متجاوزا لمعلوماتي وإمكانياتي وقدرتي، ولو

وجهنا هذا السؤال إلى مائة مسلم لجاءتنا مائة إجابة مختلفة وتصورت أنه مجرد خاطر وسينتهى، ومرت الأيام إلى أن جاء يوم عرفة، وبينما أنا مستغرق فى الدعاء مثل كل الخلق، إذا بالخاطر يفرض نفسه بإصرار بالسؤال مرة أخرى: ما الغرض من الإسلام؟

أخذت أقول لنفسى: إننى لا أتحمل هذا السؤال ولا أستطيع الإجابة عنه. ولكن الذى تفضل بالخاطر تعطف بالإجابة فقال: يا عبدالله، أنت تسأل عن الغرض من الإسلام وأمام عينيك وفى مواجهتك جبل الرحمة.

أقسم بالله منذ تلك اللحظة استطعت أن أصل إلى مفهوم محدد هو أنه ما من أمر أو نهى فى منهج القرآن إلا بهدف تحقيق الرحمة للفرد والمجتمع وللبشرية. وكان هذا الأمر هو خير موجه لجميع تصرفاتى، لأننى كنت أجد أن القرآن هو المرجع لكل شىء، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: «ما فرطنا فى الكتاب من شىء». ويقول أيضا: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا».

## الاتحاد الاشتراكى والمؤمنون

ثم توالت الأحداث فى حياتى فجعلت هذا المعنى وهذا المفهوم ييسر لى كثيراً من الأمور.

فعلى سبيل المثال بعد انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١، وكان هذا الحدث أول لطمة سياسية تتلقاها ثورة ٢٣ يوليو، فى ذلك الوقت كلفنى جمال عبدالناصر بإعادة تنظيم العمل السياسى. وكان عبدالناصر دائما فى المواقف الصعبة أو الشديدة يلقى على هذه المسئولية، وقال لى وقتها أنه من الضرورى إنهاء مسألة «كلنا هيئة التحرير» و«كلنا الاتحاد القومى»، وهذه أسماء التنظيمات السياسية عقب الثورة. وأضاف أنه قد آن الأوان أن نبنى العمل السياسى على قاعدة من المؤمنين.

ويكمل السيد حسين الشافعى قائلا: أخرجت من كتاب الله تعالى جميع الآيات التى تتضمن كلمة «المؤمنين»، فوجدت أنها «١٤٤» آية، وما استرعى انتباهى من بين تلك الآيات آية خرجت منها بخاطر واستنتاج.

طبعا هذه الخواطر تكون نوعا من «الفتح» لا يملكه أحد. تقول الآية: «قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان

فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم إنما المؤمنون» – هنا تعريف للمؤمنين – «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله» – طبعا يؤمنون بالله هدفا ومنهجا واتجاها وقدوة – «ورسوله» هو الذى تجسدت فيه هذه المبادىء والقيم والأهداف والمنهج، وهذا المثل الأعلى.

ثم تبعها بكلمة لابد من تدبرها حيث قال: «ثم لم يرتابوا»، هذه الكلمة تصورتها فى نفسى كمسئولية ضخمة جدا، فلا ارتياب فى أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه. ولا ارتياب فى وعوده.

إن أحد أكبر الأمثلة لهذا المعنى فى عدم الارتياب هو أبو بكر الصديق الذى عندما قالوا له عن «الإسراء والمعراج»، وهم يعتبرون أنه يتجاوز ما يمكن للعقل أن يصدقه، قال لهم أبو بكر: إذا كان قال فهو الحق. هذا هو عدم الارتياب فى درجته القصوى وفى صورته المثالية.

نعود للآيات فنجد فيها ما يدل على أن القضية ليست فقط أن يقول الإنسان أنه مؤمن. لذلك فقد قال: «وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون» فصدق الإيمان لا يتأكد إلا بما نبذله من مالنا ومن أنفسنا حتى الحياة. باعتبار أن الإيمان «هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل». لذلك قال الرسول « صلى الله عليه وسلم»: «ليس الإيمان بالتمنى ولكن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل».

وكذلك فى الآيات: «من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

والخاطر الذى جاءنى بعد أن قرأت هذه الآية فى سورة «الحجرات» – وهى سورة لا تتجاوز صفحتين، وآياتها لا تتجاوز ١٨ آية – هو أن هذه الآية لابد أن تكون هى الدليل للعمل السياسى فى الإسلام.

فإذا أردنا أن ننشىء حزبا وتمسكنا بكل آية من الآيات التى جاءت فى السورة فسيكون هو الحزب الذى يريده الله.

فقرأت، ووجدت أن الخاطر الذى جاءنى هو نقطة فى بحر بالنسبة للكنوز الموجودة فى هذه السورة. ولذلك فعندما يقول الله تعالى: «أفلا يتفكرون» – «أفلا يتدبرون» – فإن الآيات تحتاج إلى تدبر وليس مجرد ترديد للكلمات، ودققت فى السورة، فوجدت أن كل آية فيها تسبقها كلمة

«يا أيها الذين آمنوا». حيث لا يتم الاكتفاء بتوجيه عام، وإنما هو كلام يتم توجيهه إلى الذين آمنوا. لماذا؟ لأن الذين آمنوا هم الذين سيحملون على أكتافهم مأمورية ومسئولية نشر الدعوة وعزة الإسلام وإعلاء شأنه. وبالطبع لابد أن يكونوا على مستوى، ولذلك فإن الله لم يعد أبدا المسلمين بالنصر، وإنما وعد المؤمنين «وكان حقا علينا نصر المؤمنين».

## الحزب والنظام والالتزام

وإذا كان الإنسان عندما يكتب محاضرة فإنه عادة ما يبدأها بعناوين حول المعانى التى تتضمنها المحاضرة. فإننا إذا نظرنا إلى السورة وأخذنا الآيات الأولى منها فإننا نضعها تحت بند النظام والالتزام، فيقول الله تعالى فى البداية: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم». أى لا تقدموا عملا ولا قولا ولا أى تصرف إلا إذا كان الكلام محسوبا وموزونا، لأن هذا ليس مقاما عاديا، وإنما هو مقام القيادة العليا التى ترسى قواعد الإسلام، وليس أية قيادة. فيوضح مدى خطورة الكلمة فى هذا المقام، ومدى خطورة التصرف فى هذا المقام.

ثم يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون».

«إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم إن الله غفور رحيم».

نرى أن الله سبحانه وتعالى يثبت فكرة الالتزام والنظام فى مشاهد ملموسة توضح ما هو الالتزام وما هو النظام، ثم يتبع ذلك مباشرة بدقة المعلومات، لأن المعلومات إذا لم تكن دقيقة فلا يمكن التوصل إلى قرار. فيقول: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين».

ما هذه العظمة. ثم لكى لا يتقاعس الناس أو يترددوا عن التقدم بالمعلومات يقول: «واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون».

والملاحظ أن سورة الحجرات تأتى بعد سورة الفتح، وكأن هذا فتح حقيقى.

بعد ذلك يقول: «فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم».

ثم يتعرض لأكثر شيء يقضى على وحدة المسلمين ويشتتهم فالأخلاقيات التى تتضمنها السورة هى حض على التماسك مثلما يقول الله تعالى أيضا فى سورة «الصف»: «إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص».

ويستطرد السيد حسين الشافعى: فأحد أخطر ما يهدد شأن المسلمين هو أن يقتتلوا. والشيء بالشيء يذكر أننى فى الأيام الأولى من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٠ كنت قد اتصلت بجمال عبد الناصر تليفونيا أسأله عن أخباره. فقال لى أنه ينوى السفر إلى مرسى مطروح ليقضى هناك يومين للراحة فقلت له: هل لديك مانع أن أرافقك فى الرحلة.

رد: ياريت

وأخبرنى أن معه زوجته وابنه عبد الحكيم والفريق محمد فوزى وزير الحربية فى ذلك الوقت. فقلت له. إننى سأتفق مع ابنى أحمد لكى يأتى معى وهو من عمر مقارب لعبد الحكيم ابن جمال عبد الناصر، وهكذا سافرنا معا بالقطار وطوال الطريق كان كل ما يشغله هو المعركة التى يعد لها منذ ١٩٦٧ فيسأل مثلا الفريق محمد فوزى عن أحد المواقع على الطريق فيرد الفريق فوزى فإذا بجمال عبد الناصر يصحح له. وكان أيضا يسأل عن مشروعات زراعة الساحل الشمالى - غرب الإسكندرية إلى مرسى مطروح - حيث كان يتم رفع المياه ٢٤ مترا فى ترعة النوبارية كى تكون أعلى من الهضبة ثم تنزل بالجاذبية لرى منطقة الساحل الشمالى إلى منطقة «الضبعة» كما كانت تستخدم وسائل أخرى عديدة.

وطوال الطريق كان جمال عبد الناصر يتابع الخطوات التى يتم عملها فى ذلك المشروع الضخم الذى يغير وجه الحياة فى المنطقة ويعمل على

تنميتها ، ويكمل السيد حسين الشافعي: قضينا في مرسى مطروح خمسة أيام ثم عدنا أيضا بالقطار ونزل جمال عبد الناصر في «المنتزه» بمدينة الإسكندرية وكان قد عرض عليّ أن أبقى معه لكنني قلت له: «الأفضل أن تكمل أنت الإجازة مع الأسرة» وتركته وعدت إلى القاهرة.

## أيلول الأسود

ولم يمر يومان أو ثلاثة إلا والمعارك تندلع في الأردن مع الفلسطينيين فيما يسمى بأيلول الأسود، في الحال قطع عبدالناصر إجازته - كما هو معروف- ودعا إلى المؤتمر الذي توفى مع نهايته.

ولقد قال عبد الناصر في بداية أيام المؤتمر هل نحن نعد للمعركة الفاصلة ونبذل العرق والدم منذ ١٩٦٧ ونتجرع المتاعب والألم ثم في نفس الوقت يتقاتل العرب مع بعضهم البعض؟ كيف ندخل معركة ونحن على هذه الصورة؟ وتحدث عن وقف نزيف الدم وعن ضرورة وحدة العمل، وغيرها من القضايا والموضوعات المهمة.

ويكاد هذا المؤتمر أن يكون وصية أخيرة له ألا نتقاتل فيما بيننا وأن نركز كل همنا لبناء يستطيع أن يتصدى للهجمة الشرسة من الوجود الإسرائيلي في المنطقة.

وكأنه وصية للم الشمل والاعتصام بحبل الله وعدم الدخول في مناوشات وصراعات ليس لها مردود ولا قيمة ولا نهاية إلا التشتت والتمزق والخسارة لكل بلد عربي ولكل مواطن عربي.

ولقد ذكرت ما ذكرته عن جمال عبد الناصر ووصيته هذه الأخيرة وأنا في معرض تأملي لما ورد في سورة «الحجرات» التي نعود إلى ما جاء فيها في هذا المجال والذي يتضح منه أخلاقيات الحزب الذي يستطيع أن يهزم جميع الأعداء، فنجد قول الله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون».

ففي البداية يتضح من الآيات أن الاقتتال هو المصيبة الكبرى ثم

تتعرض الآيات بعد ذلك للأخلاقيات التى تؤدى إلى التماسك والترابط والتراحم لذلك نجد في الحديث: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

ويقول الله تعالى : «لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب».

ثم تعرض لقضية ثانية لا تقل خطورة عن السخرية فى مجال تفكيك أواصر المودة والترابط لأن الناس تتصور أن السلم يختلف عن الحرب . لا . السلم يحتاج إلى تماسك أكثر من الحرب، ولذلك فقد قال الرسول «صلى الله عليه وسلم» انتهينا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله قال: «جهاد النفس».

«يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم».

انتهى من مسببات التفكك: الاقتتال، السخرية، التنابز بالألقاب، والظن، والنميمة والغيبة، وهذه كلها أشياء تفكك أواصر المحبة وأواصر الترابط، ثم بدأ بعد ذلك يدخل فى القضية العامة لبناء العمل السياسى أنه ليس قاصرا على الرجال، وإنما يشمل أيضا النساء، لذلك قال الله تعالى: «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى».

لماذا؟

«وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

وضع المقياس الذى نقيس به وزن الإنسان «إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير».

- أسأل السيد حسين الشافعى كيف كان تطبيق هذا فى الاتحاد الاشتراكى؟

- يقول: أنا طلبت طلبات محددة وأجيبت كلها، وبذلك جرى بناء بداية التنظيم على هذه الأسس وكان الإقبال يتجاوز كل تصور ولأول مرة يستطيع التنظيم السياسى ألا يعتمد على تمويل الدولة حيث كانت قيمة

الاشتراكات المادية كافية.

■ وكم كانت قيمة الاشتراك وقتها؟

– كانت قليلة لكن مع كثرة العدد ومع القاعدة العريضة ومع الإقبال الهائل الذى حدث كانت هذه القروش القليلة كافية لمواجهة متطلبات العمل السياسى.

■ ومن كان معك فى البداية؟

– كان معى بعض الناس الذين أثق فيهم إداريا وتنظيميا وكانت هناك لجنة عليا كما أصدرنا جريدة محدودة.

ويكمل السيد حسين الشافعى لكن بعد أن تم وضع الأساس حدث تغيير فذهبت أنا لأتولى جهاز المحاسبات، وأصبح «على صبرى» مسئولا عن الاتحاد الاشتراكى. وكان ذلك – كما قلت – بعد أن تم بناء الاتحاد الاشتراكى على الأسس التى حدثتك عنها من قبل، فيبدو أن هذا لم يكن هو المطلوب.

■ لم يكن مطلوبا ممن؟

– من المستفيدين من هذه العملية مجموعة على صبرى وهم الذين اختارهم عبد الناصر فى الوزارة بعد ١٩٦٢ عقب الانفصال بينما اختارنى أنا لإقامة التنظيم السياسى إلى أن تم بناء التنظيم وأصبح له مقومات وبعد ذلك خلال العملية الدورية تولى على صبرى التنظيم في عام ١٩٦٥ وجعلوا الحزب خاضعا لإرادات لا تعبر عن المعنى الذى تحدثت عنه.

■ عدم وجود تنظيم سياسى قوى. هل كان هو إحدى مشاكل ثورة يوليو؟

– طبعا وكان فى مقدور عبد الناصر أن يقيم هذا التنظيم لأن تنظيم الضباط الأحرار أقيم في ظروف صعبة وكانت له فاعلية إلى درجة أن الذى لا ينتمى إلى تنظيم الضباط الأحرار لم يكن من الممكن أن ينجح فى انتخابات نادى الضباط فمن ناحية القدرة على إقامة تنظيم سياسى قوى كان عبد الناصر يستطيع، لكنه كان متعجلا ولم يكن يريد لشىء أن يقف فى طريق انطلاقه، فقد كان لديه دائما شعور بأن الوقت قصير ولا يجب إضاعة أى دقيقة ولكن المتعجل لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

■ هل أحد أسباب ضعف الاتحاد الاشتراكى وجود انتهازيين داخله

يبحثون عن مصلحتهم؟

- المشكلة أن ارتباطهم بروسيا جعلهم ينسون انتماءهم وظنوا أن روسيا هي القادرة على كل شيء مثل الذين يظنون الآن أن أمريكا هي القادرة على كل شيء. هذا لا يجوز. نحن لنا «لا إله إلا الله» هذا هو المحك الحقيقي للاتجاه الصحيح.

■ وكيف كان عبد الناصر يقبل وجود هؤلاء المنتمين للاتحاد السوفيتي؟

- لا تنس أن السياسة لها حسابات وهي بحر كبير فنحن كنا نأخذ السلاح من الاتحاد السوفيتي وهم الذين عاونونا في بناء السد العالي صحيح بإرادتنا نحن، وكان السلاح في تشغيله بإرادتنا لكن يعتبر البعض أن روسيا هي كل شيء في الدنيا فهذا لا يجوز.

## دروس

■ ما الذي بقي من هذا التنظيم السياسي؟

- بقيت حصيلة الخطأ والصواب لأن هذا رصيد للجميع لابد من معرفتها وتقييمها لأنها دروس ندفع ثمنها ولابد أن نعرف الأخطاء كي نتبنى الصحيح ونتجنب الخطأ.

■ هل جاء الخطأ من الأشخاص أم التنظيم سبب الخطأ؟

هناك أشياء متعددة لذلك بعد ١٩٦٧ وفي محاولتي لتشخيص مكان العلة كان لابد أن أصارح بها عبد الناصر وكانت إحدى المرات التي صارحته فيها هو ما قلته في جلسة علنية لمجلس الوزراء بعد يونيو ١٩٦٧ وأظن كنا في شهر يوليو حيث كان عبد الناصر قد عقد أربع جلسات ليستمع إلى كل وزير بالتفصيل وتلك الأيام الأربعة كانت فرصة للـ ٢٨ وزيرا الموجودين أن يقول كل واحد رؤيته وكنا على رأس الاجتماع مستمعين طوال الوقت، ولم أكن أنوي أن أتكلم لأن كلامنا في وجود آخرين مع عبد الناصر كان للضرورة القصوى، وبالفعل جلسنا مستمعين لكنني سمعت بعض الكلمات من بعض الحاضرين وجدت فيها شيئا من النفاق. وإذا كان النفاق مرذولا في كل وقت فما بالنا بعد الصدمة الشديدة في ١٩٦٧ وهذا ما دفعني إلى تجاوز التحفظ بالنسبة

لعدم الكلام وطلبت الكلمة وعلى غير العادة فى اجتماعات مجلس الوزراء بدأت الحديث كالآتى: يقول الحق تبارك وتعالى «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، ثم أضفت: وأنا فى واقع الأمر لم يكن فى نيتى أن أتكلم ولكن الموقف أكبر من أى اعتبار، لذلك فسوف أتكلم فى ثلاثة موضوعات:

الأول هو هل الحقيقة تصل إلى أذن الرئيس؟ وطبعا الإجابة: نعم. بل إن هناك تسابقا بين الأجهزة حول من يكون له شرف السبق فى توصيل المعلومة قبل الآخر ولابد أن يعقب هذا السؤال سؤال آخر هو هل نستجيب لما يصلنا من حقائق ومعلومات؟ والإجابة المذهلة هى أن الاستجابة لا تحدث فى كل الأوقات بل تحدث معاداة للحقيقة فى كثير من الأحيان وبالطبع يترتب على هذا سؤال ضرورى هو: ولماذا نعادى الحقيقة؟ والإجابة أن منجزات الثورة كانت من الضخامة لدرجة تتجاوز تصور أكثر الناس تفاؤلا.

ولكن حجم الهزيمة لم يبق من هذا الرصيد إلا القليل ولماذا نعادى الحقيقة؟ نعادى الحقيقة محافظة على الواجهة ولقد حققت منجزات الثورة واجهة مبهرة لدرجة أن بعض الحقائق إذا اهتزت لها الواجهة تتم المحافظة على الواجهة ومعاداة الحقيقة. إذن كيف نشأت هذه الظاهرة وكيف انتشرت وتفشت حتى أصبحت وباء؟

هذه الظاهرة بدأت فى مناطق حرام لا يجوز الاقتراب منها وعلى سبيل المثال، أليس الإصلاح الزراعى من مشروعات الثورة هل كان فى استطاعة أحد أن ينتقده أو يحاسبه أو يراجعه؟ وأذكر أننى عندما كنت رئيسا للجهاز المركزى للمحاسبات طلبت بيانات عن تكاليف استصلاح الفدان وتكاليف استزراع الفدان وتكاليف الوصول إلى الإنتاجية الكاملة فهل تتصورون أن الإجابة كانت أننا لا نستطيع أن ندلى بهذه البيانات إلا بإذن خاص من الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء إعمالا للقانون إذن كيف نستطيع تقييم أداء إذا كنا فى أكبر جهاز رقابى فى البلد لا نستطيع الحصول على مثل هذه البيانات الأولية. ثم قلت أن ما يقال عن الإصلاح الزراعى يقال عن القوات المسلحة من كان يستطيع أن يناقش أو يحاسب القوات المسلحة فى ميزانيتها أو فى تصرفاتها ثم قلت إننى سأتحدث فى

نقطة ثانية وهى ما حدث فى يومى ٩ و١٠ يونيو وطبعا هذه ظاهرة سبقنى الزملاء في الكلام عنها ولكن لأهمية الموضوع أحب أن أقدم تقييمى، فأنا أعتبر أن ١٠٪ من هذا الإجماع النادر فى مثل هذه الظروف إنما هو تعبير عن بقية ثقة في نظام أنجز ما يتجاوز التصور ولكن الهزيمة لم تترك لنا إلا ١٠٪ ثقة وهناك ١٠٪ أخرى هى الخوف من الفراغ السياسى نتيجة للتنحى أما الـ ٨٠٪ فهو الرصيد الأكبر لكنه رصيد معلق وموقوت وفى تقديرى أنه موقوت بستة أشهر، ومعلق بمدى قدرتنا على تغيير الأسلوب ليتحول هذا الرصيد المعلق إلى رصيد ثابت.

أما النقطة الأخيرة فكانت عن الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى وتقييمى للحكم على نجاح أى عمل سياسى هو أن يقول المسئول فى أى موقع وعلى أى مستوى ويكون فى استطاعته أن يقنع المستمعين دون لف أو دوران، أما إذا تصورنا أن نجعل من العمل السياسى إضافة لأجهزة الأمن فأخشى ما أخشاه أن هذا يجعلنا نتذكر الحواديت التى كنا نسمعها فى الماضى عن «سكة الندامة» و«سكة السلامة» لكن هذه هى «سكة اللى يروح ما يرجعش» وختمت حديثى بهذا الكلام.

## رد عبد الناصر

كان عبد الناصر جالسا عن يمينى فالتفت لى وحول مقعده ناحيتى بعد أن أعطى الكلمة لأحد الموجودين إلى أن يرتب أفكاره وما أن انتهى المتكلم حتى وجدت عبد الناصر يقول: ما هذا؟ حسين الشافعى يقوم بانتقاد الأسلوب. طيب لما كان الأسلوب لا يعجبه.. لماذا لم يستقل؟ ثم أضاف عبد الناصر قائلا: لابد أن يكون معروفا هنا في مجلس الوزراء أن من لا يوافق على الأسلوب فليس أمامه إلا أن يستقيل ويعلق حسين الشافعى قائلا: طبعا لو سمع أحد هذا الكلام فلا شيء أمامه إلا أن يستقيل، إنما أنا لا أستقيل أنا.. مؤسس وصاحب بيت. كيف أترك بيتى وأمشى.. نختلف نعم.. هو على أى حال المتحمل الأول للمسئولية وإذا اختلفنا فإن المسألة تنتهى عند هذا الحد لكن لا أترك موقعى وهذا ما جعلنى رغم كل شيء أقبل العمل بعد ذلك مع أنور السادات فأنا مؤسس وأقول كلمتى لأن الكلمة قدر وأمانة لذلك عندما انتهى عبد الناصر من

تعليقه، وجدت نفسى أضحك وأقول ما أسهل الاستقالة وما أكثرها راحة لكن ممن أستقيل ومن ماذا؟ وكيف؟ أنا الذى وقفت إلى جوارك خمسة عشر عاما هل أتركك في أصعب الظروف وأقسمت لو أن أحشائى تتقطع لجمعتها بيدى ووقفت إلى جوارك حتى نخرج مما نحن فيه.

## ديمقراطية

■ إذا كنا نحاول أن نحاكم ثورة يوليو فهناك رأى يقول أن الديمقراطية كان ترتيبها الأخير فى قائمة مبادىء الثورة الستة فهل تتفق مع هذا الرأى؟

- كان أملنا أن نطبق كل المبادىء لكننا لم نكن فى حالة راحة ولم يتركنا أحد نرتاح فمنذ أن قامت الثورة والعدو كان -ولايزال- موجودا والكل يتربص بالثورة بشكل مرعب والناس الذين يتحدثون عن الديمقراطية قبل أن يتم تطهير المجال هؤلاء يحلمون ويتحدثون فى خيال ويريدون الديمقراطية لأنها وسيلة للوثوب إلى السلطة وهل الشورى فى الإسلام كانت مع الكفار أبدا. الشورى لم تكن إلا مع الصحابة والمؤمنين، ولذلك انتصروا. إنما ندخل فى لعبة الديمقراطية التى يبيعونها لنا ليفرضوا تدخلهم الخارجي وإذا لم تنفع هذه اللعبة يكون الانفتاح لكى يفرضوا تدخلهم الاقتصادى وإذا لم ينفع كل منهما يقولون حقوق الإنسان وبين القوى والضعيف هناك قصة «الحمل والذئب» حيث لابد للحمل أن يخربش وأن يحمى نفسه إلى أن تصبح له أنياب وأظافر وقوة.

لذلك عندما طلب من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى أول عيد للثورة عام ١٩٥٣ أن يفكر كل منا فى شعار يتم وضعه فى الميادين اخترت شعارين الأول تم وضعه فوق كوبرى قصر النيل هو «إن عدوكم على استعداد للتسليم بقدر مافى نفوسكم من تصميم». أما الشعار الثانى والذى تم تعليقه فى ميدان التحرير فكان «لابد للقوة من عقيدة تدفعها ولابد للعقيدة من قوة تحميها».

# السلطة والمال والثورة

حسين الشافعي يروى :

- رفضت بيع «فيللتى» بـ ٢٠ مليون جنيه
- اتهموا ابنى مع خالد عبد الناصر فى تنظيم «ثورة مصر» للنيل من رموز الثورة
- مقدمة كتاب أخرجت ابنى من سلاح البحرية إلى الشارع

ويتذكر :

- حاولت تجنيد عبد الناصر فى تنظيم الضباط الأحرار فاكتشفت أنه على رأس التنظيم
- فى ليلة الثورة هدد ثروت عكاشة ضابطا كبيراً بمدفع من دون ذخيرة

---

- مايو ١٩٩٩

يبدو كلام حسين الشافعى عن الالتزام الدينى متسجما مع ملامحه التى يلاحظها كل من يراه، وهو يتمشى فى الصباح بنادى الجزيرة الرياضى بالقاهرة حيث لحيته البيضاء وشعره الأبيض، الذى يبدو وكأنه يشع نورا وسكينة، فى منزله حيث التقيت به ومع كلماته يتأكد أن هذا الصفاء المشع ليس مجرد صورة فمع الصوت والكلمات وعلى الواقع يتأكد هذا الإيمان، فبيت حسين الشافعى يقع على ناصية رئيسية لأحد أشهر الشوارع المتميزة فى حى المهندسين بالقاهرة، الفيلا التى تحمل ذوقا كلاسيكيا راقيا بحديقتها الرقيقة وهدوئها المنعش تسحب منا الحوار من السياسة إلى دردشة عن المساكن فى مصر، وإذا بالدردشة فى حد ذاتها سياسة، فنائب رئيس الجمهورية المصرى الأسبق يروى أن هناك من يلح عليه لشراء هذه الفيلا بمبلغ يقترب من العشرين مليون جنيه، وأنه هو نفسه يندهش -أو بمعنى أدق ينزعج- من ضخامة المبلغ ويعتبر أنه لا يمكن أن يبيع لأنه لا يمكن أن يساهم فى هذا القفز الفظيع للأسعار.

وقبل أن يحكى حكاية من يريدون شراء الفيلا منه يروى كفاحه ليمتلك أصلا هذه الفيلا منذ بداية الثورة، وهو كفاح يؤكد نزاهته المعروفة وعدم محاولته فى أى لحظة من اللحظات استغلال سلطته للحصول على أية مكاسب.

## المـال

يبدأ القصة من أولها قائلا: هذا البيت الذى أقيم فيه بنيته ضمن جمعية تعاونية كانت قد أنشئت فى وزارة الحربية العام ١٩٥٤ ، أيام عبد اللطيف البغدادى، وكانت تشمل حوالى ١٧٦ عضوا، ولم يكن عندى وقتها المال الذى يكفى لدفع مقدم الحجز، وكنت أقيم فى العباسية فى فيلا من الفيلات التى تركها الجيش الانجليزى عندما ترك القاهرة والإسكندرية العام ١٩٤٧، وقد أقمت فى فيلا العباسية ما يقرب من تسع سنوات من العام ١٩٤٩ حتى العام ١٩٥٨ حيث انتقلت إلى هذه الفيلا التى كان مقدم الثمن لامتلاكها كبيرا بالنسبة لى مما اضطرنى إلى أن أستدين لأول مرة فى حياتى حيث اقترضت سبعة آلاف جنيه، وكان الدين بفائدة مركبة ٧٪، فكان مبلغا كبيرا جدا فى ذلك الوقت، وكان يترتب على هذا الدين قسط شهرى قيمته سبعون جنيها، تلتهم فى ذلك الوقت ما يقرب من ثلث المرتب، الثلث الثانى كان «خدمة» ما بين طباخ وسفرجى وجناينى وشغالة، فما الذى يتبقى؟

كان الباقى يكفى بالكاد. كل هذا مع ألقاب عضو مجلس قيادة الثورة، وزير، قائد سلاح الفرسان.

وببساطة وصراحة أبناء البلد فى مصر يفتح حسين الشافعى قلبه ويروى: فى الفترة التى كنت فيها قائد سلاح الفرسان كان المرتب ٥٨ جنيها، ولكن طبعا البركة وحسن تدبير الزوجة الحريصة بقلبها على حياتنا كل هذا كان يجعل الأمور تسير، كنت أملك سيارة فولكس اشتريتها العام ١٩٥٣ واضطررت لبيعها حتى أسدد جزءا من الدين، زوجتى كان لديها خاتم قمنا ببيعه وأخذنا ثمنه. وفى العام ١٩٦١ كانت بداية دفع الأقساط، ووقتها جاءنى الوالد -يرحمه الله- وكانت زيارته لى قبل وفاته بحوالى أسبوعين، وجلس معى فى آخر حديقة المنزل وأخرج من جيبه مظروفا أعطاه لى، فتحته، فوجدت ثلاثمائة جنيه، سألته: ما هذه الفلوس؟ قال لى: أشعر أن هذا المبلغ فى ذمتى لك لأنك لم تكلفنى شيئا ولم تتعبنى فى أى شىء. قلت له أنا غير محتاج ومن الممكن أن تعطيه لأخى «فلان». قال: لا. هو أخذ حقه، قلت له: إذن أعطه لفلان،

رد هذا أيضا أخذ حقه ثم أضاف أبى: لا تتعب نفسك هذا المبلغ لن يأخذه أحد سواك، قلت له: على أى حال سوف آخذ هذا المبلغ بركة منك، وأخذته وسددته بالفعل فى بئر ذلك الدين. لماذا أقول هذا الكلام؟ أقوله لأن الظروف اضطرتنى بعد ذلك عندما أردت تزويج أبنائى أن أبيع ٤٠٠ متر من حديقة الفيللا، وقد تمت إقامة عمارة كبيرة على هذا الجزء الذى قمت ببيعه.

طبعا كان هذا قرارا صعبا لكننى كنت مضطرا لأن هذه الفيللا هى الشىء الوحيد الذى نملكه. كان إجمالى مساحة الفيللا بالحديقة ١٢٥٠ مترا. المساحة التى تبقت بعد البيع هى ٨٥٠ مترا.

بعد فترة جاءنى من يريد شراء بقية الأرض بما فيها البيت وعرضوا أسعارا خرافية فآخر سعر تم عرضه هو ٢٢ ألف جنيه فى المتر.

طبعا اقتصاديا هناك من يقول أن هذا المبلغ الذى يقترب من العشرين مليون جنيه هو مبلغ يجعل الإنسان يعيش حياة مرتاحة جدا لكننى قلت هذه حياة مرتاحة على حساب من. على حساب الناس الذين لا يجدون مسكنا ويؤجلون زواجهم لأنهم لا يجدون ثمن شقة فمن الذى يدفع ثمن ارتفاع الأسعار بهذا الشكل إنهم أولادنا وشبابنا. فإذا كنت أنا قد اضطررت لبيع ٤٠٠ متر كى أغطى التزامات لابد أن أقوم بها إلا أننى من غير الممكن أن أشارك فى جريمة البيع، صحيح هناك من يقولون ولماذا تعتبرها جريمة. هذه هى الأسعار، إنما أنا بضميرى الثورى وإحساسى بالمسئولية وما أعبر به عن قيمة لا يمكن أن أشارك فى هذه المذبحة.

## السلطة

وعندما أقول للسيد حسين الشافعى أنه مثلما لم يحاول استغلال سلطته وهو مسئول فإنه أيضا لم يحاول أن يستغل فرصة تتاح له حاليا فإذا به يتحدث عن السلطة باعتبارها ابتلاء من الله، وأن من يعبر هذا الابتلاء يكون قد عبر الصعب فيصف السلطة بأنها مسئولية ويشرح الأسباب قائلا: مسئولية لأننى مع القدر الذى كتبه الله على بالسلطة قد اكتسبت خبرة وتجربة ووزنا سياسيا ليست ملكا لى إنما ملك لبلدى، التجارب التى مرت بنا والظروف التى عشناها هذا رصيد لا أملك أن أفرط

فيه فلابد أن تستمر الصورة المأخوذة عن الإنسان فى أذهان الناس على ما هى عليه، فلا يقدم الإنسان على عمل فيه مجرد شبهة. لأننى لا أدرى هل انتهى دورى بمجرد خروجي من السلطة أم من الممكن أن الظروف والأحداث تلقى على الإنسان بمسئولية فى أية صورة من الصور، هذا هو مجال المسئولية، الإحساس بالمسئولية.

ويضيف أنه إذا كان المنصب فيه مسئولية ومشغولية فمع عدم وجود المنصب مازالت هناك مسئولية تاريخية ووجدانية فالضمير هو الذى يحاسب. لقد سأل شخص سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام قال له: كيف أكون مستجاب الدعاء، قال له: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة».

فطبعا لا يمكن أن يسمح الإنسان بأن يدخل بيته أو طعام أبنائه أو أى شيء من مستلزمات حياته ما يتضمن شبهة لحرام. لقد كانت أمامى فرص كثيرة جدا لكن كان من المستحيل أن أستغلها لدرجة أننى عندما توليت وزارة الأوقاف مرتين فى العام ١٩٧٢ والعام ١٩٦٧ لم أفكر حتى فى أن أحصل لأبنائى على شقق من التى تقيمها الوزارة لدرجة أن ابنى الدكتور الجراح عندما أراد أن يتزوج بنينا له مسكنا فوق الجراج الملحق بحديقة الفيلا.

فالحمد لله الذى حفظنى وحفظ لى أولادى وبيتى وسمعتى. فالسلطة والمال هما أكبر ابتلاء من الممكن أن يبتلى به الإنسان، ومن يعبر ابتلاء السلطة يكون قد عبر أصعب امتحان.

## الثـــورة

■ كيف بدأ ارتباطك بعبدالناصر والثورة؟

– أنا كنت فى إدارة الجيش المصرى منتدبا من خارج سلاح المدرعات «سلاح الفرسان» حتى العام ١٩٥١، وتصادف أن جمال عبد الناصر كان مارا بإدارة الجيش فقابلته، ولم أكن أعلم فى تلك اللحظة من شهر سبتمبر العام ١٩٥١ أنه على رأس تنظيم الضباط الأحرار الذى أنا مشارك فيه فأخذت أتحدث معه بطريقة من يريد تجنيد شخص أو استفزازه وحثه على القيام بعمل لأن الوقت لم يعد يسمح بالانتظار.

قلت لـه: إن السرايا والأحزاب يتلاعبون بالبلد، وكلهم خاضعون للإنجليز وفى النهاية الجيش هو الذى سيدفع الثمن، ونحن أصبحنا نخجل من ارتداء بدلتنا العسكرية، وإذا لم نقم بعمل فإننا سنصبح معرضين للوم لأن الجيش هو الورقة الوحيدة الباقية. أخذ يسمع وبطبيعته لم يعلق لدرجة جعلتني أتشكك في أنه مهتم أو متابع، لكن هذا التصور لم يستمر طويلا فعند المغرب وجدته قد أرسل لى الدكتور ثروت عكاشة وضابطا آخر هو عثمان فوزى يبلغانى أن الرأى قد استقر على أن أكون قائدا لسلاح الفرسان «المدرعات» لحساب الثورة.

أنا كنت أردد دائما أن الكلمة قدر وأمانة ومسئولية، قدر لأننى لولا قولى لهذا الكلام لما ترتب عليه أن أكلف بهذا التكليف، فلما كلفت به كنت خارج السلاح لمدة لا أعرف خلالها الضباط الذين من الممكن أن يكونوا السند الأساسى للتنفيذ، ولكن القدر يتدخل مرة أخرى فالنحاس باشا فى ٨ أكتوبر ألغى معاهدة ١٩٣٦ وقال كلمته المشهورة «لقد وقعنا المعاهدة من أجل مصر وها نحن نلغى المعاهدة من أجل مصر»، ولقد كانت مناورة سياسية لشعوره أن الملك كان يريد أن يقيله فقام هو بالتعجيل بهذا المطلب الشعبى لأن أول خسارة للوفد كانت معاهدة ١٩٣٦، حيث كانت إقرارا بالوجود الانجليزى من الناحية الرسمية لأول مرة، طبعا عندما بدأت حركة الفدائيين فى القناة أراد الوفد أن يركب الموجة ويعتبر أنه الذى سيحرر البلد بقوات الأمن، هذا الحدث ساعد على أن يوضع قدر الله موضع التنفيذ.

عندما عدت من انتدابى فى إدارة الجيش إلى سلاح الفرسان يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٥١ التقيت بضباط السلاح خارج القاهرة عند الكيلو ٤٠ فى طريق السويس كانوا من دون خيام ولا أحد يسأل فيهم، وكان الضباط يلتفون من حولى نأكل ونلعب ونمارس رياضة معا وتكونت ألفة وثقة لو حاول أحد أن يوجد هذه الالفة وهذه الثقة وهذا الارتباط بأى أسلوب لما كان من الممكن أن يتحقق لدرجة أن هؤلاء الشباب الذين تخرجوا العام ١٩٥٠ فى النشرة العسكرية نفسها التى ترقيت أنا فيها بكباشيا هم الذين نفذوا الثورة.

وعندما أقول هم الذين نفذوا الثورة فإننى أقولها لأن سلاح المدرعات

كان المقدمة والدرع ورأس الحربة الذى كان أساسيا فى نجاح الثورة.

فلا توجد وحدة من وحدات الجيش كان من الممكن أن تتحرك إلا عندما تؤمنها المدرعات. من الذى فعل هذا إنه الله، فالله سبحانه وتعالى عندما يخاطب رسوله بأن النصر من عنده وليس من عند محمد، فمحمد وسيلة. «وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم».

فالتأليف بين القلوب هو أول إشارة لقضاء الله أن يوضع موضع التنفيذ.

الإشارة الثانية هى السكينة فعند تنفيذ الثورة ليلة ٢٣ يوليو لاحظت وجود سيارة تتبعنا ونحن فى طريقنا للتنفيذ، وعند دخولنا من فتحة السلك الذى خلف الوحدة لكى لا ندخل من الباب الرئيسى فنجد هذه السيارة السوداء الكبيرة مازالت تتبعنا طبعا ألقت شيئا من الشك والقلق، ثم بعد أن دخلنا وجدنا النور كله قد انطفأ. فى مجال التفاؤل والتشاؤم هذا يلقى ظلا فى العقل الباطن على الأقل، ولكن جئنا فى مفترق الطرق ما بين الدبابات والسيارات. سرنا فى اتجاه السيارات لكن بقي الشك فى العقل الباطن موجودا إلى أن التقيت بالضباط. كنت أنا وثروت عكاشة قد كتبنا كل الواجبات فى ورق بحيث لا نضيع وقتا فى إلقاء التعليمات، وبحكم علمى بكل الضباط خلال الفترة التى قضيتها فى الجبل معهم فكان من السهل أن أحدد واجبات كل منهم وقمنا بتسليمها لهم مكتوبة.

## ساعة الصفر

هذا الكلام كان بالضبط فى الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق، وكانت ساعة الصفر قد تم تحديدها فى الحادية عشرة. لكن فى الاجتماع قبل التنفيذ والذى تم عقده فى الساعة الثانية والنصف ظهر يوم ٢٢ اتفقنا على أن ساعة الصفر تصبح الثانية عشرة. بدلا من الحادية عشرة. أنا أبديت تخوفا وقلت لهم أن هذا يعنى أن الضباط سيذهبون قبل الموعد بساعة، وهذا من الممكن أن يكشف الأمور قالوا لقد تقرر أن

.لموعد هو الثانية عشرة ونتحمل نحن مسئولية هذه الساعة. لكن قدر الله أن هذه الساعة هي التي تنقذ الثورة. بوجودنا في الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق دق التليفون من المنطقة المركزية وتكلم الضابط أركان حرب عبد الخالق عابد فرد عليه أحد الضباط الذين كانوا معي حيث أخذ يسأل هل كتيبة الطوارىء جاهزة فسألني قلت له ستكون جاهزة بعد ساعة فاتصل بالتليفون بعد خمس دقائق أخرى وقال أنه يطلب أن تأتي كتيبة الطوارىء إلى قسم القاهرة فورا قلت له اقطع سلك التليفون ولا ترد على أحد، وكان هذا أول خروج على النظام. في الساعة الحادية عشرة والربع، والنور مطفأ وجدت شخصا يلهث قادما كشبح في وسط الليل ينهج ويقول لي أن قائد اللواء المدرع «الأميرالاي حسن حشمت» قد دخل الوحدة، وكان من المفروض أن أي أحد برتبة فوق رتبة البكباشي لا يدخل، لكن بما أنه القائد فقد تجاوز النظم ودخل، كنت وقتها أقوم بتوزيع ذخيرة الأسلحة الصغيرة وأملأ الخزنة الخاصة بالمدفع الذي في يدي، ولأول مرة قلت لنفسي أن هذا ربما يعني أن الثورة قد تم اكتشافها، وهو ما يعني الرعب من انهيار التخطيط حيث المصير معروف لكن الله عندما يريد أن ينفذ قدره فإنه ينزل السكينة. أخذت المدفع وخرجت أعدو لألتقي بقائد اللواء المدرع قبل أن يذهب إلى مكتبه ليحرك الإمكانيات ويجرى اتصالات، ومن حسن الحظ وجدت أحد الضباط الذين معي قد أوقفه بسيارته وكان قادما بسيارة خاصة ويرتدي قميصا وبنطلونا مما يدل على أنه قد تم استدعاؤه على عجل، وعندما جاء مع رئيس الأركان حسين فريد قال له : تفضل أنت في مكتبك وأنا سأتولى الأمر، وعندما دخل قبض عليه الضباط الذين كانوا معي.

## اعتقال القادة

عندما وصلت كنت بجوار مكتب قائد الخيالة، وعند خروجي رآني وكان يقف وسط مجموعة من العساكر يحيطون به ويرفعون السلاح في وجهه، عندما رآني عرفني لأنه كان «قومنداني» عند بداية تخرجي، وكانت هناك انتخابات نادي الضباط، وكنت قد رشحت نفسي عن الضباط الأحرار، ورغم أن النجاح كان مؤكدا فإنني لشيء إلهي قبل

الانتخابات بيوم انسحبت من الترشيح وفاز هو بالتزكية واعتبرها مجاملة وثقة وتسبب ذلك في ألا يكون اسمي معروفا وأن أتحرك بكل الحرية قبل قيام الثورة.

عندما رآني قال لي : هل أنت أيضا معهم؟. فلم أرد بالطبع، ثم تقمصته شخصية القائد المهان وصاح: هل ترفع السلاح في وجه قائد اللواء أنا هنا قائد اللواء؟ بسكينة كان ردي:على كل حال عليك أن تحمد الله على وصولي في الوقت المناسب وإلا كانوا قد قاموا بذبحك، بدأ يفيق وقال لي: أنتم تلعبون بالنار، لا تعرفون ما الذي تفعلونه وأنتم ستتجهون بالبلد وجهة خطأ. قلت له: على كل حال لن تكون اسوأ مما نحن فيه، قال لي : هل تفعل هذا معي وأنا الذي ربيتك في الوحدة؟ قلت له: لو أن والدي في الموقع نفسه لتصرفت معه بالطريقة نفسها وفي تلك اللحظة جاء ثروت عكاشة بسيارة جيب أما هو فكان يريد أن يستقل سيارته. قلت له: على كل حال لقد وصلت السيارة وتفضل، وطلبت منه الجلوس إلى جواري وقمت أنا بقيادة السيارة وثروت عكاشة جلس خلفه واضعا مدفعا رشاشا في ظهره ومن المفارقات المضحكة أن المدفع الذي كان في يد ثروت عكاشة من دون ذخيرة؟

■ ما هي حالتك الاجتماعية وقت قيام الثورة؟

– وقت قيام الثورة كنت متزوجا وكان عندي ولدان لكن لم يكن أحد يشعر بشيء ولم أشرك أحدا في شيء، ولم أحمل أحدا القلق الذي من الممكن أن يحدث، وكتمت الأمر تماما عن زوجتي لكن لم أتركها إلى أن تقرأ الخبر في الجرائد ففي الساعة السادسة صباح يوم ٢٣ يوليو، وبعد أن تم تنفيذ كل شيء، اتصلت بها تليفونيا وقلت لها: يا ماجدة صباح الخير أولا الحمد لله قبضنا على الذين كانوا سيقضون على البلد، وقلت لها: الساعة الآن السادسة وأن عليها أن تستمع إلى المذياع في الساعة السابعة لكي تسمع بيان الثورة، أما ولداي شريف وأحمد فكانا مازالا صغيرين فابني الكبير شريف ولد يوم ١٠ فبراير ١٩٥٠، وهو اليوم الذي ترقيت فيه إلى رتبة بكباشي، وابني احمد ولد يوم ٨ سبتمبر العام ١٩٥١ ، مع تكليفي بقيادة سلاح الفرسان لحساب الثورة، أما ابنتي «ليلى» فقد رزقنا الله بها بعد أحمد بعشر سنوات، وهي الوحيدة التي أنجبتها بعد

الثورة، وبعد أن أصبحت نائبا لرئيس الجمهورية.

## ابنى وخالد عبد الناصر

الكلام مع حسين الشافعى عن اسرته وأبنائه ليلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لابد أن ينقلنا إلى الكلام عن ابنه أحمد واتهامه بالاشتراك فى تنظيم ثورة مصر المعادى لإسرائيل، وهو الاتهام نفسه الذى تم توجيهه للمهندس خالد نجل الرئيس جمال عبد الناصر.

وعن الاتهام يقول حسين الشافعى: لقد أرادوا أن ينالوا من رموز الثورة سواء من ابن جمال عبد الناصر أو ابن حسين الشافعى.

ولقد سألونى فى ذلك الوقت تليفونيا من صحيفة الأهالى عن شعورى تجاه هذا الاتهام فكان ردى أن هذا شرف لا ندعيه، وجهاد لم ندع إليه، ومعركة لم نشارك فيها، وجاءت هذه الكلمات عفو الخاطر على التليفون وإذا بالصحيفة تنشرها مانشيتا رئيسيا.

## قصة الخروج

ويروى حسين الشافعى تفاصيل اتهام ابنه الذى انتهى بخروجه من القوات البحرية وهو يتنهد قائلا:

كان هناك شخص لا أريد أن أذكر اسمه قد أعد كتابا وأراد منى أن أكتب له المقدمة وكان عدد صفحات الكتاب ألفا وخمسمائة صفحة، فكان لابد بالطبع أن أقرأ الكتاب كى أكتب له المقدمة، ولكن فكرة المقدمة لم تتبلور عندى كما ينبغى فطلبت منه تأجيل تسليمها له، وفى ذلك الوقت كان أحمد ابنى منتدبا من السلاح البحرى إلى قيادة الدفاع الجوى بالقاهرة، فكان مقيما معنا فى الفترة التى كان ذلك الكاتب يتردد فيها على البيت وعندما تبلورت المقدمة قمت بإملائها عليه.

إلا أن مؤلف الكتاب لم يتمكن من طباعته فى مصر وعندما أراد أن يسافر كى يطبعه فى الخارج وجد اسمه مدرجا على قوائم الممنوعين من السفر فلجأ لأحمد ابنى كى يرسل الكتاب مع أحد فى الخارج لطباعته فإذا بالمخابرات متربصة بالموضوع، وتم ضبط الكتاب والقبض على أحمد ابنى والتحقيق معه ثم أرادوا تقديمه للمحاكمة ولكن لم تكن هناك أركان

للجريمة، وفى النهاية تم توقيع جزاء إدارى أو محاكمة إدارية لعدم وجود أركان للجريمة فاجتمعت لجنة الضباط لمحاكمته، كانوا طوال فترة المحاكمة ينصحونه بتقديم استقالته فنصحته بألا يستقيل لأن الاستقالة تعنى عدم القدرة على المواجهة، فاستجاب ولم يستقل، وكان الجزاء الذى تم توقيعه عليه هو ستة شهور فى الاستيداع يحصل خلالها على نصف المرتب، وقضى تلك الفترة معنا هنا فى القاهرة ونصحته بتقديم مظلمة فقدم مظلمة بالفعل لكنهم لم يردوا عليها إلا بعد شهر أو أكثر وقالوا له فى الرد أنه ليس له حق فى هذه المظلمة لأن الجزاء الذى تم توقيعه عليه من سلطة لجنة الضباط فهم لم يفسروا الجزاء موضوعيا، ولكن فسروه من ناحية السلطة فقلت له إنه يمكننا الاكتفاء بهذا أما هو فيستطيع الآن تقديم استقالة مسببة يروى فيها كل ما جرى وعندما قدمها حجزوها شهرا وردوا بأنها غير مقبولة وأن عليه أن يكتب استقالة غير مسببة، فقلت له مادامو أنهم قد تسلموا الاستقالة الأصلية وهذا أمر ثابت إذن لا يهمنا ولتقدم لهم الاستقالة بالصيغة التى يريدونها، وبالفعل قدم الاستقالة وتم قبولها وأخذ يبحث عن رزقه.

## إلى الشارع

ويروى حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية الأسبق حكاية ابنه مع العمل والرزق مثل أى أب مصرى بسيط دون استغلال لعلاقاته فيحكى: سافر ابنى إلى إيطاليا وكتب طلبات عديدة بأنه ربان أعالى البحار، وبعد أن كان على وشك اليأس جاءته إجابة من شركة يونانية، ووجد أن المركب الذى سيعمل عليه سيقلع من أثينا ويمر على بورسعيد فضل أن يأخذه من بورسعيد وجاء ليرانا قبل الغربة، وذهبنا جميعا وقابلناه، كنا وقتها فى شهر رمضان المبارك وكان هو الوحيد الصائم على المركب، وكان يحمل أسلحة ومتجها إلى الدمام ثم إلى موريشيوس وعاد محملا بقصب السكر وبدأوا يتلاعبون معه على المرتب الذى كانوا قد اتفقوا عليه فوجد أن الأمر لا يساوى فنزل فى السويس وعاد إلينا، بعد ذلك عمل على مركب يونانى آخر يعبىء الأسمنت فى الإسكندرية، وعانى صحيا بسبب الأسمنت، وقد كان الإعلان عن هذا العمل يتضمن أن الأجر

الذى سيحصل عليه هو ألف ومائتا دولار لكن إذا بهم يقولون له أنه قد جاء للعمل فى الوقت الذى جاء فيه شخص آخر وأنهم سيقسمون الاجر بينهما، ورفض وترك العمل ايضا.

وأخيرا عمل غطاسا فى شركة اسمها «ميرى دايف» واستمر فيها ست سنوات فى البحر الأحمر والغطس هوايته وأخوته وأنا أيضا فهى الرياضة المحببة لنا، وبالفعل عمل بمرتب معقول واستطاع أن يكون نفسه، ولكن كان متغربا باستمرار وينزل فى المياه على عمق ٤٥ مترا، وهى عملية تحتاج لشباب وقوة ونفس، والحمد لله أن الله قد وفقه وتزوج واستقر فى الاسكندرية حيث التحق بالعمل فى شركة سوميد ووجد فيها نوعا من الاستقرار.

## مقدمة الاتهام

لكن ما الذى تضمنته تلك المقدمة التى كتبها حسين الشافعى، والتى تم استخدامها لاتهام ابنه؟ يقول: المقدمة كانت لكتاب «مصر إلى أين وما العمل»؟ ولقد ترددت فى التقديم للكتاب حتى لا يكون فى تقديمى تعويق للكتاب أو للكاتب، ويبدو أن الله ألهمنى بما سيحدث.

الباب الأول يسأل فيه الكاتب هل مصر إلى النظام الرئاسى أم إلى النظام البرلمانى؟ هل مصر إلى النظام الاشتراكى أم النظام الرأسمالى؟ هل متجهة إلى واشنطن أم متجهة إلى موسكو؟ هل مصر متجهة إلى طرابلس أم إلى الرياض؟ وقلت أن هذا الأسلوب فى الكتاب قد سبق أن تم اللجوء إليه من قبل لكن طريقة السؤال إذا لم ترتبط بالهدف فإن الإجابة عن السؤال من الممكن أن تقودنا إلى نتائج ناقصة، وهذا الأسلوب قد لجأ إليه القرآن الكريم فى ١٥ آية، وبالطبع فإن هذه الآيات الخمس عشرة لا تغطى كل الأسئلة التى من الممكن أن تسأل، ولكنها بالتأكيد تغطى جميع أفرع الأسئلة، فهناك من يسأل ليعلم وهناك من يسأل ليتعلم وهناك من يسأل ليطمئن، وعندما تختلط الأمور فإن الكثيرين لا يفهمون من أين يبدأون، فهناك من يقول أنه لو ظهر البترول فى أرضنا لأصبحت مشاكلنا محلولة، وهناك من يقول لو ازداد دخل قناة السويس لصار من الممكن حل مشاكلنا، وهناك من يقول لا هذا ولا ذاك بل السياحة هى

المخرج، وهناك من يقول بل الحل فى تحديد النسل وأنا من شأنى فى أمورى عندما أبحث موضوعا أن أرجع إلى كتاب الله، ولقد وجدت أن الله سبحانه وتعالى يقول: «يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون».

إذن لابد أن نعرف الباب الذى ندخل منه لكى نفلح.

عندما كتبت هذه المقدمة وهى تتضمن نقدا غير مباشر لكل السياسات، وأشير فيها إلى نقطة الأساس التى تنبه لها سيدنا أبو بكر الصديق فى أول خطاب له عندما تولى الخلافة حيث كان آخر بند قاله: «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا».

ومع هذا المعنى الذى يثير التأملات يتوقف الحوار العميق مع حسين الشافعى لكن لا تتوقف التأملات.



# ماذا فعلت السلطة فى عبدالناصر وفى السادات

حسين الشافعى يقول:

■ المقارنة بين عبدالناصر والسادات ظالمة

■ الأول كان يحب الانفراد بالسلطة والثانى كان يعشق الاستمتاع بالحياة

■ ثورة يوليو كانت غطاء لبذرة إسلامية لايعلم إلا الله متى يأذن بإنباتها

■ فبراير ١٩٩٩

حسين الشافعى ليس رجل سياسة فقط، بل هو رجل اغترف من علوم الدين والكتاب والسنة، وتأمل فيها من خلال خبرته الواسعة فى دنيا السياسة والثورة والحكم، فخرج بوجهة نظر تزن الأمور جيدا من خلال عين ترصد الحاضر بعمق، وتستوعب دروس الماضى بوعى، وتنظر إلى المستقبل بشفافية.

لقد وجدت نفسى وأنا أنقل للقارئ على الورق حوارى هذا معه. أحذف الأسئلة، وأترك إجاباته وحدها التى يسترسل فيها وينتقل من السياسة إلى الدين، ومن السلطة إلى التاريخ ومواجهة الأعداء. كل هذا من موقع رجل كان له دور فى تغيير واقع الوطن فى مصر.

عندما طلبت منه أن نبدأ كلامنا بالحديث عن السلطة وتأثيرها على عبدالناصر والسادات عضوى مجلس قيادة الثورة المصرية اللذين وصلا إلى قمتها، سرح ببصره بعيدا ثم بدأ يروى قائلا: المقارنة بين عبدالناصر والسادات لابد أن تكون ظالمة، فكل منهما من نوعية مختلفة، جمال عبدالناصر كان شخصية قيادية وأعطاه الله مميزات، وطبعا كل شيء له ثمن، ولم يكن عبد الناصر يهتم بالمسائل الدنيوية، وكان رئيس دولة متفرغا، وهب وقته وحياته كلها لهدف يسعى إلى تحقيقه، ولكى يحافظ على القدرات التى وهبها الله له أرهق نفسه جدا، وكان يحمل نفسه أعباء أكثر من طاقته، وهذا مثلما هو ميزة، فإن له

عيوبا: أن هذا يجعل الإنسان يشعر أنه لابد أن يكون منفردا بالسلطة، ولكى يكون منفردا بكل شيء لابد أن يبذل جهدا مضاعفا. وهذا الجهد المضاعف من الممكن أن يقضى على الإنسان. وكانت هذه الرغبة تضع عليه عبئا كبيرا كى يكون فى المقدمة باستمرار.

## السادات والاستمتاع بالحياة

■ .........؟

- أما السادات فقد كان شخصية مختلفة وتركيبة غريبة، كان يحب الاستمتاع بالحياة، ويريد أن يعيش فى الدفء. وفى أحضان ورعاية شخص. وقد أخذ الأمريكان من أنور السادات ما يريدون، وقد أجهض انتصار ١٩٧٣ على الوجه الأكمل لأن الجهد الذى بذله جمال عبدالناصر من العام ١٩٦٧ إلى العام ١٩٧٠ وبنى من خلاله أساسا كان يمكنه تحقيق انتصار أكبر عشر مرات مما تحقق فى أكتوبر، ولو استمر عبدالناصر حيا وقام هو بالمعركة لكان من الممكن أن يكون فيها نهاية إسرائيل، لذا فقد أصبح ضروريا القضاء عليه، ليأتوا بمن يستطيع أن يستجيب لجميع الطلبات.

وكانت مأمورية السادات هى إجهاض المجهود الذى تيسر للبلد وللجيش فى الفترة من العام ١٩٦٧ إلى العام ١٩٧٠ وأنا أعتبر أن قرار العبور الحقيقى هو قرار تهجير أهالى منطقة قناة السويس من القناة، لأن إسرائيل بعد العام ١٩٦٧ كانت فى انتظار أن نستسلم ولو أن الخسائر التى وقعت لنا قد حدثت لهم لكانوا قد استسلموا.

لكن هذه الخسائر حفزت كل القوى لكى تتكتل وترفض الهزيمة بكل أبعادها.

وأول رفض للهزيمة هو تمسك الشعب بجمال عبدالناصر عندما أعلن التنحى، لقد حاربونا فى ١٩٦٧ من أجل إسقاط عبدالناصر وعندما لم يسقط فكأن العدوان لم يحقق هدفه، وكان لابد لهم من تحقيق هدفهم.

ومن المهم القول أن ما حدث فى ١٩٦٧ كان فى جزء منه يعود إلى خيانة فى الداخل، وهو ما ذكرته فى مؤتمر شعبى كبير فى أسيوط العام ١٩٧٢،

حينما قلت أن ما حدث فى العام ١٩٦٧ كان خيانة ومؤامرة اتفقت فيها الأطراف: الاتحاد السوفيتى، وأمريكا كلتاهما اتفقتا علينا واستدرج فيها من استدرج، وانطلى الأمر على السذج لكى نعيش النتيجة.

ومادام الغرض لم يتحقق، إذن لابد من حدوث انقلاب على جمال عبدالناصر، وبالفعل حاولت الخيانة من الداخل عمل انقلاب على عبدالناصر، وتم ضبط المؤامرة فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٧، وأقيمت محكمة وكنت أنا رئيس المحكمة التى حكمت بأحكام تتراوح ما بين المؤبد والسجن خمسة عشر عاما.وعشر سنوات وثلاث سنوات على ٥٢ شخصا.

وعندما لم يتحقق الهدف بالحرب أو بالانقلاب كان لابد أن يفرضوا العميل وأن يقضوا على جمال عبدالناصر هذا هو منطق السيناريو الذى وضعوه.

■..........؟

– أنا قلت كلمة فى حق جمال عبدالناصر سنة ١٩٧٢ فى أسيوط، وكانت الدعوة قد وجهت لى بعد أن اندلعت المظاهرات فى جميع الجامعات فى مصر، على أثر إعلان أنور السادات أن العام ١٩٧١ هو عام الحسم، فلما لم يتم الحسم فقد الناس صبرهم مع بداية عام ١٩٧٢ واندلعت المظاهرات وكانت على أشدها فى أسيوط. وتم إرسال من يحاولون تهدئة الموقف لكن أحدا لم يقتنع، وجدت وفدا من اتحاد الطلاب ومجلس إدارة الجامعة جاءوا يدعوننى كى أذهب إلى أسيوط وأتحدث إلى الطلبة. وصلت إلى أسيوط فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا قابلونى على المحطة، ذهبت إلى المدينة الجامعية، ووجدت الطلبة يتناولون طعام الغداء. أخذت صينية ووقفت معهم فى الطابور، وتناولت معهم الطعام، ولم أكن أريد مظاهر و«لاهيلمان» ولا حاشية ولا مأدبة»، وكنت ذاهبا إلى هناك من أجل مهمة محددة.

بعد أن ارتحت لبعض الوقت وأديت صلاة العصر، طلبت من الله أن يوفقنى، وأنا أعتبر الخطاب الذى ألقيته هناك فى ذلك اليوم هو أعظم ما قيل خلال الثورة كلها، ليس لأننى الذى ألقيته ولكن لأن الله أراد أن يبرز بعض الحقائق.

## إنجازات ١٥ سنة

فى بداية الخطاب قلت: إن هذه هى أول مرة أزور فيها أسيوط بعد وفاة جمال عبدالناصر، وأن من حق هذا الرجل علينا أن نذكر ما أنجزه خلال ١٥ سنة، والذى لايقع تحت حصر أنه استطاع وبثورة ٢٣ يوليو أن يحرك واقع المنطقة العربية، إلا أنه قد مات العام ١٩٦٧ لكنه تشبث بالحياة ليستر انسحابه من الحياة سنة ١٩٧٠. وفى هذه المرحلة خاض أمجد معاركه عندما أعاد بناء الجيش وأقام قاعدة الصواريخ وبدأ حرب الاستنزاف، فلما شعر بالأمان مات مطمئنا فتحية لنضاله وفاتحة لروحه.

ويكمل حسين الشافعى ما قاله فى خطابه فى ذلك اليوم قائلا: ألقيت المسئولية على عاتق الأخ الزميل أنور السادات وهى مسئولية لايسعى إليها عاقل، ولكن إذا ألقيت المسئوليات على عاتق الرجال فينبغى عليهم أن يحملوها كما يحمل الرجال مسئولياتهم وإنى أدعوكم أن تقفوا إلى جانبه وتساندوه وتدعوا له بالتوفيق.

وقلت فى ذلك الخطاب أن مصر هذه هى المكان القائد فى العالم، وإذا أخذنا قطاعا مستعرضا فى التاريخ نجد أن مصر هى محور الأحداث العالمية فى التاريخ كله، لكن فى دورات الزمن إذا لم يكن أهلها على مستوى المكان، فلابد أن تتصارع أقوى القوى، ومن يسبق يكون له موطئ قدم فى هذا المكان القائد، ولذلك فإن الصراع مستمر، ويفرض علينا معركة مستمرة.

**ماذا نفعل نحن فى المعركة وهى صراع القوى الكبرى ضدنا؟ ليس لنا من سبيل إلا الارتباط بالأكبر وهو الله، لكن هذا الارتباط ليس شعارا، ولكنه التزام وأدب وتكاليف وتضحيات وبذل، فى اليوم الذى نكون فيه قادرين على هذا سيكون النصر مؤكدا.**

■ ..........؟

– النصر يأتى بإصلاح أنفسنا وبالارتباط بالله، هذا بالنسبة للمعركة مع الدول الكبرى، أما بالنسبة لإسرائيل فهو أن نجرجرها إلى المناطق التى لنا فيها القوة، أول سلاح هو الاتجاه إلى الله، وهم يعلمون ويخشون كل

الخشية أن نتجه إلى الله ولذلك يحاربوننا إسلاميا ويجعلوننا نحارب الإسلام تحت زعم أنه هو الإرهاب. يريدون أن يجردونا من سلاحنا هذا. فهم يستطيعون أن يمنعوا عنا السلاح المادى. لكن هل يستطيعون أن يمنعوا عنا سلاح الله، أبدا. لكن من يستحق سلاح الله؟ إنهم المؤمنون وليسوا المسلمين، لقد قال الله تعالى عنا: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» فالإخراج مربوط بالالتزام بالمنهج، ولذلك عندما يتحدث الله تعالى عن الفاسقين يقول: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه» أى خرج عن المنهج، والأشد والأثقل خطورة «ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل».

حيث أصبحوا مفككين لا رابطة جيرة ولا رابطة نضال، ولا رابطة عقيدة ولا رابطة هدف، فعندما تكون كل هذه الروابط مفككة يكون المجتمع قابلا للاختراق، ويكون من السهل السيطرة عليه فهما بندان: خروج عن المنهج والتفكك.

بينما الإيمان الحقيقى هو الذى يلقى فى قلوبهم الرعب فعندما أخرج اليهود من الجزيرة العربية كانوا وقتها ثلاث قبائل متحكمة فى الاقتصاد والسياسة والقوة العسكرية، لأنهم كانوا يؤلبون القبائل على بعضها، ثم يتفضلون عليها بالمنح ويستدرجونها إلى أن يكونوا هم العون لانتصار قبيلة على أخرى، وفى النهاية يأخذون منهم الأرباح المضاعفة والذى ينتصر يلجأ إليهم مرة أخرى وهكذا.

## دروس من التاريخ الإسلامى

■ .........؟

– بالضبط هذا ما يفعلونه فينا الآن، لذلك فإن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دخل المدينة وبعد أن أقام المسجد آخى بين الأنصار والمهاجرين، وكانت هذه هى أعظم حركة لشد الأرض من تحت أقدام اليهود، لأنه بهذا لم تعد عندهم فرصة لأنه لو كان قد ترك الأنصار والمهاجرين لتحولوا إلى أحزاب. حزب للأنصار وآخر للمهاجرين. فهو لم يصالح الأوس والخزرج فقط، ولكنه قام بما هو أعظم لدرجة أن المهاجرين والأنصار كانوا يتقاسمون أموالهم ويتقاسمون المعرفة. ويتبادلون الرأى ويحفظون القرآن معا ويراجعونه معا، فهذه المؤاخاة

كانت حركة سياسية عميقة جدا، وعندما أدرك اليهود هذا تأكد لديهم أنهم لن يستطيعوا العيش لكن لكى يهدئهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه عمل معهم صلحا بعدم الاعتداء وبحسن الجوار، ثم قاموا هم تحت ظل هذا الاتفاق بتأليب القبائل عليه إلى أن أحاطت به من كل جانب وفى هذه الحالة قام اليهود بنقض العهد والميثاق.

وذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليهود وقال لهم: لماذا نقضتم العهد، سأحكم فيكم التوراة. وبعد ذلك طردهم سيدنا عمر تماما من الجزيرة، ويقول الله تعالى: «سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم» وعندما يقول الله تعالى: «العزيز الحكيم» إذن الموضوع منته لانقض ولا إبرام.

«هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر».

فهو الذى أخرجهم وليس محمد ولا أصحابه إذا كان عليكم أنتم: «ما ظننتم أن يخرجوا» لأن اليهود كانت معهم القوة العسكرية والسياسية وأيضا الاقتصادية «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار».

## يا بيوت القدس

أليس اليهود الآن يقيمون لأنفسهم البيوت فى القدس. غدا بإذن الله سيهدمونها بأنفسهم، لأن الله تعالى يقول: «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا» فالله يسجلها عليهم، ولكى يبين أن من يقول هذا الكلام الفارغ هم اليهود فلابد أن يعطى عبارة تختمهم بالختم فيقول «وقتلهم الأنبياء بغير حق»، فماذا يفعل الله؟ يقول: «ذوقوا عذاب الحريق» هم فى هذه المنطقة سيحترقون حريقا، والعملية اقتربت بإذن الله، وليس أمامهم أجيال، وهم يسعون لحتفهم لأن حرب العراق وحرب الخليج هم الذين بدعوها وهم يتصورون أن حرب آخر الزمان سيكونون فيها هم المنتصرون أبدا.

■ ..........؟

– لابد من ارهاق الوجود الإسرائيلى حاليا فدائيا وليس عسكريا. فهم

لايستطيعون أن يواجهوا ألف مليون مسلم لو أصبحوا فدائيين مثلما لم يكونوا قادرين على مواجهة أطفال الحجارة بمجرد حجارة.

■..........؟

– نحن لن ننتصر إلا كمؤمنين، والكلام الذى سأذكره الآن له صلة بكل ما أشرت إليه من التاريخ، فمن ضمن الخطب التى كنت «أنبط» فيها على أنور السادات وهو لم يكن يتعرض لى لأنه يعرف وزنى ويعرف حجمى. فلم يكن يحاول الاقتراب منى، لكنه قال: «سأتركه يذبل فيسقط كما تسقط أوراق الخريف». فأنا طبعا فى المقابل لم أترك مسجدا ذهبت إليه إلا وكشفت كل ما يجب أن يكشف، وقلت ما يجب أن يقال. فمن ضمن الخطب التى قلتها وكانت فى قاعة «محمد عبده» بالأزهر وحضرها أكثر من عشرة آلاف يوم ٥ أبريل العام ١٩٧٥. قلت «يارنج جاء هنا ١٨ مرة بلا نتيجة وفى النهاية جاءوا لنا بكيسنجر ومن يارنج لكيسنجر..» وسكت فضحك الجميع لأن المعروف أن بقية الجملة هى «يا قلبى لاتحزن» ثم أكملت: «وإذا كان يارنج عنده النية فلم تكن عنده القدرة، إنما كيسنجر بالتأكيد عنده القدرة، لكن ليست لديه النية، ثم ألقيت بعده خطابا يوم ١٠ أبريل ١٩٧٥ فى جمعية الشبان المسلمين، وفيه قلت كلمة خارج الموضوع من دون مناسبة لا أدرى ما الذى جعلنى أقولها فقد قلت: «ولكى تنبت قلابد أن تدفن أولا».

أنا خرجت يوم ١٤ ابريل ١٩٧٥ أى بعد هذه الخطبة بأربعة أيام وتم حل جمعية الشبان المسلمين، وتم حل مجلس إدارة الجمعية، فقال لى ابراهيم الطحاوى وكان رئيس الجمعية فى ذلك الوقت «أنت الذى حكمت بهذا» ألم تقل «لكى تنبت لابد أن تدفن أولا» وأنا أقول عندما ستذكر ثورة ٢٣ يوليو سيقال إنها لم تكن إلا مجرد غطاء لبذرة إسلامية لايعلم إلا الله متى يأذن بإنباتها، وأكرر نحن لن ننتصر إلا كمؤمنين وليس مجرد مسلمين، قدر الله يبدأ بمن يصطفى، بعد أن يأتى من يصطفيه، ويمكنه ويجرى على يده الخير لأن الانتصار بيدالله سبحانه وتعالى وحده، ولايعطيه لأى أحد مهما أخذ بالأسباب المادية، لأن العملية أكبر من ذلك بكثير، لذلك عندما يتحدث عن الأمم يقول: «لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون».

# الفهرس

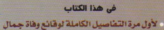
| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

- سهام ذهنى
- من مواليد ١٦ يناير ١٩٥٦
- حاصلة على بكالوريوس كلية الإعلام ١٩٧٧
- صحفية بمجلة «صباح الخير» منذ عام ١٩٧٦ حتى اليوم
- مسئولة تحرير مجلة سيدتى فى مصر لمدة ثمانى سنوات منذ عام ١٩٨٤ وحتى عام ١٩٩١
- حصلت على جوائز:
  - على وعثمان حافظ للتحقيقات الصحفية عام ١٩٩١
  - جائزة نقابة الصحفيين لأحسن حوار عام ٢٠٠٠
- صدر لها :
  - كتاب كلام خاص جدا.
  - الحب والزواج السرى.
  - ثرثرة مع نجيب محفوظ.

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٤٧٤ / ٢٠٠٣

I.S.B.N . 977 - 01 - 8348 - 2



**فى هذا الكتاب**

- لأول مرة التفاصيل الكاملة لوقائع وفاة جمال عبدالناصر.

وكيف عاش عبدالناصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧.

- يوم إغتيال السادات: على المنصة، وفى بيته، وفى المستشفى التى تم نقله إليها.

وكيف كان يعيش وقتها «محمد حسنين هيكل» و«فؤاد سراج الدين»، ورجال الدين المسيحى والمثقفات داخل السجون.

- وقائع إنتقال السلطة عقب اغتيال السادات.

والرئيس الدستورى المؤقت لمصر ينام فوق قش الأرز.

- السادات وعبدالناصر بعيون بعض من عرفوهما عن قرب.

- جيهان السادات فى أمريكا بعد رحيل السادات تدعو جيرانها على «الكنافة» و«البوفتيك» من صنع يديها.

وتدلى برأيها فى حكاية «كلينتون» و«مونيكا» و«هيلارى» والخيانة الزوجية.

••••••••••

تصميم صبرى عبدالواحد

مطابع الهيئة
المصرية العامة للكتاب

الثمن: ٣,٢٥ جنيه